الدين والثورة

في مصر

١٩٥٢ - ١٩٨١



الدين والثورة في مصر ١٩٥٢ - ١٩٨١

٦- الأصولية الإسلامية

دكتور حسن حنفي

الناشر
مكتبة مدبولي

الاصولية الاسلامية[1]

---

(۱) فى غمره الفرح بانفجار اكتوبر ۱۹۸۱ وتخليص مصر من أسوأ عقد فى تاريخها والذى ما زلنا نعانى منه حتى الآن وبعد التعاطف الكبير الذى وجده خالد الاسلامبولى ورفاقه من جموع الشعب طلب منى أحد كبار الصحفيين دراسة عن « ملف القضية » فقمت بها وفى ذهنى كتابة « مذكرة دفاع » تقدم للمحامين للاستفاده بها فى الدفاع عن خالد الاسلامبولى ورفاقه وحتى يتفهم القضاة العسكريون حقيقة هذه الجماعة ودوافعها ووضعها فى اطارها التاريخى . كانت الغاية التأثير على القضاه من أجل تخفيف الاحكام الصادره . وقد كتبت بأسلوب خطابى جدلى وان لم يخل من البرهان . كتبت وانا خارج الجامعة بعد مذبحة سبتمبر ۱۹۸۱ . ونشرت فى جريدة « الوطن » بعد ذلك بعام .

والمخطوط نفسه لم أستطع استعادته . واعادة نشر هذه الدراسة انما تمت مما نشر فى جريدة « الوطن » فى خمس عشرة حلقة . ولما كانت الصحف اليومية لا تتحمل الهوامش اسفل الصفحة فقد ادخلت بعضها فى صلب النص وأسقط البعض الآخر على ما اذكر . ومع ذلك يظل المنشور يعبر عن الاصل المخطوط باستثناء هامش هنا وهامش هناك . وقد تم تزويرها فى طبعة صدرت فى بيروت بعنوان « الحركات الاسلامية المعاصرة » باستثناء بعض الحلقات الاخيرة التى لم تنشر دوره الاعلان عن الناشر .

ونشكر للاستاذ محمود المراغى الذى كان مديرا لتحرير « الوطن » فى ذلك الوقت على قبوله الدراسة للنشر وحسن اخراجه لها .

وقد صدرت جريدة الوطن سلسلة المقالات الخمسة عشرة بالفقرة الآتية : « الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها » لأول مرة دراسة علمية للتحقيقات الخطيره فى قضية السادات . ابتداء من اليوم ، تقدم الوطن دراسة فريدة من نوعها موضوع الدراسة : الحركة الاسلامية المعاصرة ، جذورها التاريخية ، روافدها الفكرية ، وانفجاراتها السياسية سواء فى ايران او مصر أو غيرها .

الدراسة فريدة لانها ترد على ادبيات الغرب التى انتشرت حول هذا
=

١ ــ المصطلح والموضوع والمنهج(٢) :

لا أجد مفرا من أن تكون هناك مقدمة للدراسة . فمن الصعب

=

الامر ، ونظرت له من زاوية سياسية واحدة ، هى زاوية الاستقرار أو عدم الإستقرار السياسى .

الدراسة فريدة لانها تتم بمنهج خاص ، لا يعتمد على المادة النظرية ، وانما على الواقع والوقائع . والوقائع هنا : ما حدث فى مصر ... من خلال ملف التحقيق فى قضية اغتيال الرئيس السابق انور السادات .

لقد عكف الدكتور حسن حنفى المفكر وأستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعتى القاهرة وفاس لمدة عام كامل على دراسة أوراق التحقيق . درس أقوال طايل ، وحميده ، والاسلامبولى ، وغيرهم . ودرس كتاب « الفريضة الغائبة » ، وعاد للتاريخ ليقدم دراسة شاملة تجيب على أسئلة قديمة وجديدة تمتد من ابن تيمية الى الافغانى ومحمد بن عبد الوهاب وحركة الاخوان المسلمين والجهاد وجماعة الاسلامبولى .

ومن الاسئلة المثارة :

● متى وكيف ازدهرت الحركة الاسلامية المعاصرة ؟

● كيف وقع الصراع بين الاخوان المسلمين وثوره يوليو فى مصر ؟ وما هو موقع الناصرية من الحركة الاسلامية ؟

● كيف اتفقت مصلحة الاخوان والثورة المضادة ابان عهد السادات ... وكيف وقع التناقض ... ثم وقع الانفجار ... والاغتيال فى ٦ أكتوبر ؟

والاهم من ذلك كله ، ومصر هى الحالة الماثلة للدراسة ، ماذا عن المستقبل ؟

انها واحدة من الدراسات التى تجمع بين الرؤية السياسية والاسلامية والفكرية فى وقت واحد . وهى لا تتم ، كما يقول صاحب الدراسة ، من منظور بوليسى ... وانما تتم من منظور رصد الحقائق ، ومناقشة الافكار ، واستقراء المستقبل ... ليس فى مصر فقط ، وهى نموذج الدراسة ، وانما فى المنطقة كلها « والحبلى بمختلف الاحتمالات » .

(٢) جريدة « الوطن » السبت ٢٠ نوفمبر ١٩٨٢

=

ايجاد مصطلح دقيق لما جرى تسميته فى الآونة الاخيرة خاصـة فى الغرب Islalic Fondamena Lism كأفضل تسمية لما يوصف الآن بالصحوة الاسلامية ، أو البعث الاسلامى ، أو الاحياء الاسلامى . فالترجمة الحرفية « الاصولية الاسلامية » لا تعبر عن تيار فكرى أو سياسى معين فى تاريخ الامة الاسلامية ، ولو أن لفظ « الاصول »

ووضعت الجريده المانشتات الآتية :

● الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضوء قضية السادات دراسة فى التحقيقات يقدمها المفكر الاسلامى دكتور حسن حنفى .

● السلفية لا تعنى التخلف ومعاداة المدنية .

● السادات دفع حياته ثمنا لفهم خاطىء للتيارات الاسلامية .

ووضعت فى برواز يقول « د. حسن حنفى صاحب هذه الدراسة انه قد عاش الاحداث المعاصرة منذ أكثر من ثلاثين عاما ، ويعتبر نفسه أحد روافد الاصولية الاسلامية ، « كنت عضوا فى جماعة « الاخوان المسلمون » ثم اشتغلت بالثورة المصرية ، وعاصرت انجازاتها ، وحاولت أن أساهم فى وعى جديد بعد الهزيمة عام ١٩٦٧ ... ثم تحسرت على ضياعها فى مرحلة الردة ، وحاولت المساهمة فى ايقاف الردة » .

ويرى د. حسن حنفى أن دوره الرئيسى هو خلق تيار جديد بجمع بين الاصولية الاسلامية والثورة العربية ... ومن هذا المنطلق فهو يتبنى فكرة « اليسار الاسلامى » كمحاولة لرأب الصدع بين الحركة الاسلامية والثورة العــربية .

والدكتور حسن حنفى استاذ للفلسفة بجامعتى القاهرة وفاس . وقد بدأ اهتمامه النظرى واضحا فى اخباره لموضوع دكتوراه الدولة التى حصل عليها من السربون فى ثلاثية كان موضوعها « مناهج التفسير » ، « تفسير الظاهريات » ، « ظاهريات التفسير » . وله العديد من الكتب والابحاث الاسلامية . وهو مؤسس مجلة « اليسار الاسلامى » فى القاهرة . وانتهى من الجزء الاول من مشروع « التراث والتجديد » الذى أصدر منه المقدمات النظرية . ووضعت الجريدة صور السادات ، والاسلامبولى وحسن البنا . وأعلنت فى آخر الحلقة : غدا دكتور حسن حنفى يواصل دراسته بفصل حول : الحضارة الاسلامية فى عصرها الذهبى .

لفظ اسلامى كما هو معروف فى علمى « أصول الدين » . و « أصول الفقه » . فالاصل هنا يعنى الاساس الذى ينبنى عليه الشىء ، الاساس العقلى عند علماء أصول الدين ، والاساس المادى «المصلحة» فى علم أصول الفقه . الاصولية الاسلامية بهذا المعنى تعنى البحث عن « الاساس » أو « الشرعية » . فكل واقعة وكل نظام وكل دولة تقوم على فكرة أو على تصور هو الاساس . فكما تقوم الدول الرأسمالية على تصور للحرية ، والدول الاشتراكية على تصور للعدالة الاجتماعية ، فكذلك تقوم الدولة الاسلامية على تصور للشرعية الاسلامية . والاصولية الاسلامية فى أحد معانيها تحاول صياغة هذه الشرعية وتحقيقها ، وتأسيس النظام الاسلامى وتدافع عنه بصرف النظر عن النظم القائمة انجازاتها . تعتمد على بحث شرعى وليس على تحليل واقعى ، وتقوم على فكرة مبدئية وليس على ضرورة عملية ، وتستعمل منهجا استنباطيا يقوم على تأويل النصوص وليس منهجا استقرائيا يعتمد على رصد الوقائع وحصرها .

كما يترجم هذا المصطلح أيضا بلفظ اسلامى هو « السلفية » . فالسلف هم القدماء أفضل من الخلف بنص القرآن « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات » (١٩ : ٥٩) . السلف أكثر طهارة من الخلف . وهو المعنى المعروف أيضا فى المأثورات الشعبية « نعم السلف وبئس الخلف » . ويتضح ذلك أيضا فى وجداننا الشعبى وارتباطه بالآباء والاسلاف كما يبدو فى حبنا لكل ما هو قديم ، « الجبن القديم » ، والحسرة على أيام زمان ، والبكاء على الزمن الضائع ، وهو العنصر المكون لثقافات المجتمعات التراثية . وقد ظهر هذا المعنى فى التاريخ فى الحركة السلفية التى أسسها الامام

أحمد بن حنبل ، وسار فيها فقهاء المسلمين حتى ابن تيمية وابن القيم • ثم أخذت طابعا شعبيا فى الحركة الاصلاحية الحديثة عند محمد بن عبد الوهاب ، والشوكانى ، والمهدية ، والسنوسية أو عند زعماء الاصلاح مثل الافغانى ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، والكواكبى ، وابن باديس ، والبشير الابراهيمى ، وعبد القادر الجزائرى ، والطاهر بن عاشور ••• الخ •

ولا تعنى « الاصولية الاسلامية » بالضرورة المحافظة والتخلف ومعادات المدنيــة الحديثة • فهناك اصلاحيون تقدميون مســتنيرون يأخذون بوسائل التقدم وأساليب النهضة الحديثة ، ويدعون المسلمين الى الاخذ بالعلم والصناعة ، ونظم الحرية والديمقراطية • كما لا تعنى التعصب ، وضيق الافق ، ورفض الحوار ، والانغلاق على الذات • فهناك من ممثليها مفكرون متحررون ، عقلانيون ، واســعو الافق ، ملمون بتاريخ الشعوب ، ويقبلون تحديات العصر ، ومنفتحون على الحضارات الحديثة ، يكتبون فى التســامح وفى التعاون ، ويدعون الى الاخاء والمحبة • ولا تعنى أيضا الجماعات المغلقة ، السرية منهــا والعلنية ، وجماعات المضطهدين المنبوذين ، بل تدعو الى بناء الفــرد الكامل من أجل القيام بعمليــة توحيد شامل للامة ككل ، وتجنيــد جماهيرها ، واقامة دولتها ، والحفاظ على هويتها • كما لا تعنى بالضرورة ممارسة العنف واستعمال أساليب القوة ، والعمل على قلب نظم الحكم، والتخطيط للاغتيالات • فهناك حركة تقوم على نشر الوعى الدينى ، وايقاظ الوعى الوطنى ، وتأسيس الوعى السياسى ، باستعمال وسائل الاصلاح مثل التربية الدينية ، والحفاظ على اللغة العربية ، والدعوة الى الطهارة والنقاء ، وتنشيط العقائد فى قلوب المؤمنين •

ولا تعنى « الاصولية الاسلامية » أخيرا مجرد التمسك بالمظاهر واطلاق اللحى ، ولبس الحجاب ، والدعوة الى تطبيق الشريعة ، واقامة الدولة الاسلامية ، وبناء المساجد • فقد ولدت « الاصولية الاسلامية » حركات تحرير شعوب ضد الاستعمار فى السودان وليبيا ومصر وتونس والجزائر والمغرب وفلسطين • وقد دفع الرئيس الراحل أنور السادات حياته ثمنا لهذا الفهم المشوه للاصولية الاسلامية • وكانت سخريته فى خطابه الاخير من المرأة التى تمكث فى المنزل « مثل الكرسى والخيمة » التى تضعها الاخت المؤمنة على الرأس أحد الاسباب المباشرة التى أدت الى تنفيذ خطة الاغتيال • ويبدو ذلك فى التحقيقات التى قامت بها النيابة العسكرية مع خالد الاسلامبولى ورفاقه الثلاثة وباقى المتهمين الاربعة والعشرين •

الاصولية الاسلامية أو السلفية اذن ليست وليدة العصر الحاضر ، كما هو شائع فى الغرب ، منذ اندلاع الثورة الاسلامية فى ايران ، واشتداد المقاومة الافغانية ضد الغزو السوفياتى ، وظهور حركة « أمل » الشيعية بزعامة الامام موسى الصدر فى لبنان ، وازدهار الطرق الصوفية لدى المسلمين فى أوربا الشرقية ، وظهور حركة الاحياء الاسلامى فى الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، ودخول الاسلام فى المعترك السياسى فى الملايو واندونيسيا والفلبين ، وانتشار الزى الاسلامى فى مصر ••• الخ • فالاصولية الاسلامية — أو السلفية — موجودة على مدى التاريخ الاسلامى ، لها جذورها التاريخية ، وروافدها الفكرية ، وانفجاراتها السياسية ، كما ان لها ظروفها النفسية والاجتماعية التى تتكرر فى كل عصر ، فتتجدد الاصولية الاسلامية ، وتتواصل حركاتها منذ الامام ابن حنبل والامام ابن تيمية

وتلميذه ابن القيم حتى الجماعات الاسلامية المعاصرة وانفجاراتها السياسية فى « حزب التحرير الاسلامى » .. عند صالح سرية والاستيلاء على الفنية العسكرية فى مصر عام ١٩٧٤ حتى اغتيال الرئيس السادات على يد جماعة الجهاد فى أكتوبر ١٩٨١ . وهى توجد على ثلاثة مستويات :

● الاول ، الافعال الخارجية لافراد الجماعة والتنظيمات الاجتماعية التى ينتسبون اليها ، وهو المستوى الذى يدرسه علماء الاجتماع .

● والثانى ، الافكار والنظريات التى يتبناها أفراد الجماعة والتى تعطيهم تصوراتهم النظرية للعالم ودوافعهم للسلوك ، وهو المستوى الذى يدرسه المفكرون والفلاسفة .

● والثالث ، الدوافع والبواعث النفسية والتاريخية التى تكمن وراء الافعال والنظريات ، وهو المستوى الاكثر عمقا والذى توجد فيه ظاهرة « الاصولية الاسلامية » فى مرحلة الكمون والتى لا يمكن الا لعالم النفس والمؤرخ وفيلسوف الحضارة دراستها ووصفها ، مشاركا معها فى الموقف ، ومتعاطفا مع موضوعها ، ويكون هو ذاته جزءا منها ، ومطورا لها ، واحدى مراحلها . ومع ذلك فان تضافر المناهج ورؤية المستويات الثلاثة تساعد على اكتمال الرؤية وشمولها . فالمنهج الاجتماعى ، والعرض الفكرى النظرى ، والتحليل النفسى والتاريخى كل ذلك يساعد على فهم الظاهرة ، ورؤية جوانبها المختلفة دون الوقوع فى الرد المنهجى واعتبار الظاهرة اجتماعية خالصة أو نفسية خالصة أو سياسية صرفة أو اقتصادية تعبر عن الازمة الاقتصادية فى

المجتمع • فذلك كله ابتسار للظاهرة ناتج اما عن تعصب للمنهج أو عن رغبة دفينة للتقليل من أهميتها واستقلالها • وبالرغم مما تكشف عنه التحقيقات التى جرت حول مقتل السادات ، من وجود مثل هــذه الظروف الاجتماعية والنفسية التى فرضت نفسها على أعضاء الجماعة الاسلامية الا أنها كانت وسيلة فى لحظات الضعف البشرى لايجــاد الاعذار ، وتخفيف الاحكام ، والخوف من المجهول • ولا بديل غير التعاطف مع الظاهرة وفهمها من الداخل حتى يمكن اعادة تمثلها وادخالها فى الحركة الاسلامية المعاصرة ، وارجاعها الى رافدها الاعظم ، الحركة الاصلاحية مع مزيد من الجرأة على الواقع ، والتأصيل النظــرى ، والاستنارة العقلية ، والرؤية الحضارية ، والاحساس التاريخى •

هــذه الدراسة اذن نموذج من الدراسات الوطنيــة تفترق عن الدراسات الغربية التى يقوم بها الغرب أو التى يكلف بها الباحث المحلى خوفاعلى مصالحه بعد اندلاع الثورة الاسلامية فى ايران ، وطرحه السؤال الابدى : هل يمكن لما حدث فى ايران أن يحدث فى مصر أو السعودية أو دول الخليج ؟ وهى الدول التى يهتم الاستعمار بها نظرا لثروتهــا البترولية وودائعها أو نظرا لثقلهــا السياسى وزعامتها فى المنطقة ، ودون أن يطرح نفس السؤال بالنسبة للسودان أو تونس أو حتى سوريا والاردن • وقد تابع الباحثون المحليون لدينا هذا النمط من الدراسات الغربية كى ينفع بها الغرب ســواء بما تقدمه من معلومات أو تحليلات أو نتائج دون ما مراعاة لظروف الامن الداخلى أو لحماية الجماعات الاسلامية ، فهى على الاقل جزء منا ونحن جزء منهــا ، ولسنا غرباء عن أعضائها ، فهم طلبتنا وخريجونا ، أبناؤنا واخواننا •

الهدف اذن من هذا البحث هو التوجه الوطنى وليس «الاستشراق» الغربى ، لحماية أمننا القومى وليس لضربه من الظهر • ليس الهدف اعطاء معلومات عن الجماعات الاسلامية ، أنواعها ، وقياداتها ، وأعضائها، وتنظيماتها ، حماية لها ولامن البلاد • هذا بالاضافة الى أن رؤيتهـا كواقع حالى ، وكباعث لدى الجمـاهير ، وكرصيد تاريخى ، وكبديل مطروح ، يتجاوز مستوى المعلومات الكمية التى لا تحتاجها الا أجهـزة القمع الداخلية أو أجهزة المخابرات الخارجية •

المنهج المتبع اذن هو منهج تحليل الخبرات الفردية والاجتماعية التى يمكن للجميع الاحسـاس بها والمساهمة فيها والاتفاق عليها دون ما حاجة الى نظريات اجتماعية حول نشأة الجماعات الدينية تتبنى نظرية أو مذهبا من علم الاجتماع الغربى حتى لا تضيع اشـكالية الموضوع فى اشكالية النظرية • المهم هو الابقاء على وضوح الرؤية ، وحقيقة الموضوع ، وصدق التحليل ، وموضوعية الاحكام ، وشـمول النظرة ، بصرف النظر عن المواقف السياسية أو الاختيارات الفكرية •

والمادة الاساسية هى التحقيقات التى أجرتها النيابة العسكرية فى قضية اغتيال السادات مع المتهمين الاربع وعشرين والتى استدعت التقديم بمنظور تاريخى كاطار نظرى • تتم الاحالة لها باستمرار كما تؤخذ منها نصوص عدة من أقوال أعضاء الجماعة الاسـلامية خاصة جماعة الجهاد التى قامت باغتيال الرئيس الراحل وحدوث الانفجـار فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، وهو ما يعادل انفجار الثورة الاسلامية فى ايران فى أواخر فبراير ١٩٧٩ • ولا يرجع اختلاف صـور الانفجار الا بسبب اختلاف الظروف : وجود قيادة دينية جاهزة ، ووجود جماهير شعبية منظمة فى حالة الثورة الاسلامية فى ايران وغيابها فى مصر •

٢ ــ الجذور التاريخية (الحضارة الاسلامية فى عصرها الذهبى)(٣) :

قد يكون المنظــور التاريخى أحــد العوامل المســاعدة لرؤية « الاصولية الاسلامية » أو السلفية فى شمولها ، وتحديد نشــأتها ومسارها ، والظواهر الاجتماعية فى نهاية الامر ، بمــا فيها الافكار

---

(٣) جريدة « الوطن » ، الاحد ٢١ نوفمبر ١٩٨٢

ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضووء قضية السادات (٢) .
- لماذا كان العصر الذهبى للحضارة الاسلامية بوصلة الجماعات الجــديدة ؟
- كيف تحولت حركة الافغانى الاصلاحبة الى حركة محافظة قليلة التــأثير ؟

وصدرت هذه الحلقة الثانية بالآتى :

بدأ أمس د. حسن حنفى المفكر وأستاذ الفلسفة الاسلامية دراسته حول الحركة الاسلامية المعاصرة . قال انه يختار منهجا يختلف عن السائد فى الغرب . فهو لا يدرس من منظور بولبسى ... لكنه يدرس ، وعلى ضوء الوقائع والنظريات ، ماهو حادث فى الساحة باستقلال علمى ... وانصاف « مسلم مستنير » .

ورغم ان الدراسة فى جزء كبير منها سوف تعتمد على « حالة مصر » ... أو السادات والجماعات الاسلامية ... فانه لا مناص من رؤية عامة لهذا التيار ، ولا مناص من الرجوع قليلا للتاريخ لنرى جذور ما يحدث .

وهذا ما يقدمه د. حسن حنفى اليوم . انه يتحدث عن الجــذور التاريخية ... عن الحضارة الاسلامية فى عصرها الذهبى ، وكيف أصبحت الفترة الذهبية بوصلة الجماعات الاسلامية التى ظهرت أخيرا .

وأعلنت فى آخر الحلقة : غدا يكتب د. حسن حنفى حول ازدهار الحركة الاسلامية المعاصرة « الاخوان المسلمون » ١٩٢٧ — ١٩٥٢ .

والمعتقدات تراكم تاريخى ، وحصيلة عوامل عدة أدت الى ظهورها فى وقت محدد ، لا يمكن فصله عما سبقه سواء كان ظاهرا أو فى حـــالة كمون • وقد لا تكون هذه الرؤية التاريخية واضحة وفعالة بما فيــه الكفاية عند ممثلى « الاصولية الاسلامية » أفرادا أو جماعات ، وان بدت أحيانا فى كتابات منظريها وأقوالهم • ومع ذلك فهى التى تفسر ظهورها ونشاطها فى وقت محدد ولدى جيل معين بل وقادرة أيضـــا على تحديد مسارها فى المستقبل ومعرفة اذا كان يمكن قيام الدولة الاسلامية فى هذا الجيل أم فى عدة أجيال •

ويظهر هذا البعد التاريخى بوضوح فى التحقيقات التى جرت فى قضية اغتيال السادات ، وشغف أعضاء الجماعات بقراءة التـــاريخ خاصة « ابن كثير » لمعرفة مسار الحضارة الاسلامية ، كيف نشأت وتطورت واكتملت • ثم كيف انهارت واضمحلت وحاط بهـــا الاعداء من كل جانب • ويتضح ذلك أيضا من مقدمة « الفريضة الغائبـــة » التى يتحسر فيها محمد عبد السلام فرج على ضياع الدولة الاسلامية ، ويرنو الى المستقبل لاقامتها من جديد ، والاعتزاز بتراث الماضى عند الفقهاء • كما يبدو ذلك أيضا من أقوال أنور عكاشـــة وقراءته فى التاريخ الحديث « التحقيقات ص ٢٩٠ » وفى نفس الوقت مع قراءة التاريخ يقرأ أعضاء الجماعة كتب التفسير • فغالبا ما كان المؤرخون هم المفسرون مثل ابن كثير فى تاريخه وتفسيره ، والطبرى فى تاريخه وتفســيره • وكأن الجماعات كانت ترصد تحقق الوحى فى التاريخ ، وتفسر القرآن تفسيرا عمليا بالرجوع الى تاريخ الامة • فتـــاريخ الامة هو تحقق للوحى ، والوحى نفسه تحقق فى التاريخ •

وهذا هو ما حدث بالفعل ، فعندما ظهر الاسلام لم يكن لدى العرب حضارة الا الشعر والتجارة • ففى الشعر سجلوا حياتهم ، وفى التجارة أقاموا معيشتهم . هذا بالاضافة الى مجموعة من العادات والعرف والتقاليد والقيم الموروثة التى كانت تحكم علاقاتهم الاجتماعية، وتتفق مع طبيعة البنية الاجتماعية العربية كقبائل رحل • ثم بفضل الاسلام ، تحولوا من قبائل رحل ، وبدو وتجار الى قواد ومعلمين • أنشأوا حضارة ، وأقاموا دولا ، وأسسوا « امبراطورية » استطاعت أن تقف فى مواجهة الامبراطوريتين الكبيرتين آنذاك ، امبراطورية الفرس ، وامبراطورية الروم • واستطاع العرب بفضل الاسلام البزوغ كقوة ثالثة فى العالم القديم ، يرثون القوتين الكبيرتين ، ويؤسسون حضارة ابتداء من القرآن الكريم والسنة النبوية • أقاموا الدولة الاسلامية بنظمها ودساتيرها ، بجماهيرها وجيوشها ، بمنطلقاتها وأهدافها ، بواقعها ومثلها حتى استطاعت أن تكون نموذجا يحتذى به فى العالم القديم • استمرت الدولة الاولى ، دولة الخلفاء الراشدين أربعين عاما نمطا مثاليا تربى عليه الاجيال • فاذا ما عم البلاء ، وتوالت الهزائم ، وانتشر الفساد فى البر والبحر ، فلا غرابة أن يبرز هذا النموذج الاول فى الذهن ، ويبدو لنا نحن الزمن وكأنه عودة الى الماضى ، حركة سلفية ، محافظة رجعية ، تريد ترك الطائرة والصاروخ والعودة بنا الى الجمل والبعير ! وهو فى حقيقة الامر احياء للنمط المثالى فى الشعور كبديل للواقع الموجود • وبالتالى تكون « الاصولية الاسلامية » رد فعل على « انحطاط المسلمين » • ولا غرابة أن يكون أحد كتبها « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » لابى الحسن الندوى والذى كان له أعظم الاثر فى نشأة الحركة الاسلامية المعاصرة منذ جماعة « الاخوان المسلمين » حتى الجماعات الاسلامية الحالية •

ونشأت العلوم الاسلامية القديمة ، سواء العلوم النظرية مثــل علم أصول الدين وعلوم الحكمة أو العلوم العملية مثل علم أصول الفقه وعلوم التصوف • وبعد أن تطورت هذه العلوم واكتملت ، وقف منها الفقهاء موقف العداء ، منذ أحمد بن حنبل حتى ابن تيميــة أو ابن القيم دفاعا عن العقيدة ضــد البدع ، وعن الاصالة ضد التبعية ، وعن النص « الخام » ضد تعقيله وتفسيره وتأويله • كان الفقهاء حراسا للعقيدة الاصلية ضد محاولات فهمهــا وتحديثها بحيث يقضى على خصوصيتها ومصدرها وفاعليتها • فبينما قام العلماء بالتمثل والفهم قام الفقهاء بالنقد والرفض ، وبالتالى أصبح الفقهاء ، بالرغم مما قد يوصفون به من تزمت وتعصب وضيق أفق ، يعبرون عن الاصالة الاسلامية • لذلك ارتبطت الجماعات الاسلامية المعاصرة بهذا التراث الفقهى القديم عند ابن تيمية ، ابن القيم ، والصنعانى ، والسيوطى ، والشوكانى ، وابن حزم ، وابن حجر من القدماء ، وسيد سابق ومحمد الغزالى من المحدثين • يقوم دعاتها بنفس المهمة التى قــام بهــا القدماء وهو الدفاع عن الاصيل ضد الدخيل ، وحماية العقيــدة من الشرك ، والمحافظة على النص « الخام » من التأويل ، فكانوا مثــل الفقهاء أهل نقل لا أهل عقل • وكما حوت فتاوى الفقهاء على اجابات اسلامية أصيلة على قضايا العصر ، وكانت نماذج فى الوجدان الدينى عند الناس على قدرة الاســلام على قبول التحدى العصرى ، أصبحت مجموعة « فتاوى ابن تيمية » موسوعة اســلامية ضخمة تكشــف عن الحلول الاسلامية لمشاكل العصر • يشير أعضاء الجماعة الاسلامية فى التحقيقات باستمرار الى « فتــاوى ابن تيمية » كأنهــا المرجــع الاساسى لكتاب « الفريضة الغائبة » •

ولما كانت معظم القضايا والمســائل القديمة تدور حــول موقف المسلمين من القهر الداخلى والعدوان الخارجى ، الاول من حكـــام المسلمين وأمرائهم وسلاطينهم ، والثانى من الصليبيين والتتار والمغول والغارات التى لم تتوقف على العالم الاسلامى فقد وجدت صــدى فى قلوب المسلمين المعاصرين نظرا لان الاحــوال لم تتغير ، والاعداء لم يتغيروا وان تغيرت الاسماء ، فسلاطين الامس وخلفاؤهم كثيرا ما يكونون كحكام اليوم • وصليبية الامس وهجمات التتار مثــل صهيونية اليوم وهجمات الاستعمار • وقد كان الهدف واحدا عند الفقهاء على مر العصور ، الدفاع عن مصالح الامة فى الداخل ، والدفاع عن أراضى المسلمين سواء فى أواسط آسيا أو فى الاندلس أو فى فلسطين • وقد كان ســلاح الفقهاء بناء الوعى الدينى ، والدفاع عن الاصالة ضــد التبعية ، ونقد تشبه المسلمين بأعدائهم فى الفكر والســلوك والعادات اليومية • ولم يكن الفقهاء أهل نظر وفتوى فحسب بل كانوا طليعة الامة فيما يتعلق بالتصدى الفعلى لاعداء الامة فى الخــارج أو فى الداخل • قادوا الجيوش ، ودافعوا عن الثغور ، وحثوا على الجهاد ، ودعوا الى الشهادة • كما قاموا الظلم والطغيان ، وتصــدوا للامراء والسلاطين الذين لا يحكمون بما أنزل الله ، ورفضــوا أن يكونوا « فقهاء السلطان أو فقهاء الحيض والنفاس » • قضى معظمهم نحبه فى السجون والقلاع ، وبالتالى لم يكن غريبا أن يتصدى فقهاء المسلمين لقضايا العصر بالعمل دون الاكتفاء بالقوم وحده • ولم يكونوا فى ذلــك خارجين على القانون أو ساعين لقلب نظام الحكم بالقــوة بل كانوا يدافعون عن الشرع الاســلامى بالقول والعمل • وهذا ما يفسر شــدة انتساب أعضاء الجماعات الاسلامية الى هذا التراث

الفقهى والاقتداء به • فالشرعية لديهم تأتى من الاصـــول وليس من النظم القائمة • والاصول لديهم الكتاب ، والسنة ، واجماع المسلمين • أما الاجتهاد فانه لا يخرج عن هـــذه الاصول الثلاثة الاولى ، وهـــو موقف جميع الفقهاء بلا استثناء فى أن الاجتهاد ليس أصلا مستقلا من أصول التشريع ، ولذلك كانت معظم قراءات أعضاء الجماعات الاسلامية فى الكتاب والسنة والفقه أى فى الاصول • وكان الاجتهاد لديهم ضمن هذه الاصول واستنباطا منها كما قال عطا طايل حميدة فى تحقيقات قضية السادات •

وامتدت الحضارة الاسلامية على مدى سبعة قرون حتى جاء ابن خلدون ليؤرخ للفترة الاولى لهـــا نشأة وتطورا وازدهارا ثم افولا وانهيارا • ارخ لهذا العصر الذهبى الاول ، وهو أمر طبيعى أن تؤرخ الحضارات لنفسها فى فترات انهيارها حتى تدون روحها بعد أن يدب فى جسدها الفناء • ثم جاء بعده عصر الشروح والملخصات والموسوعات حين عاشت الحضارة على ذاتها ، تهمش نصوصها ، وتجتر علوما ، وتشرح متونها على مدى خمسة قرون منذ الفتح العثمانى حتى فجـــر النهضة الحديثة فى القرن الماضى • فاذا ما توقف ابداع الخلف سجلت ابداعات السلف ، وحافظت الحضارة على نفسها بالتدوين مســـجلة تاريخ روحها •

تم جاء فجر النهضة الحديثة منذ محمد بن عبد الوهاب مرتبطا بالاصولية الاسلامية عند فقهاء أهل السلف ، أحمد بن حنبل ، وابن تيمية ، وابن القيم ، ومحاولا تخليص التوحيد مما شابه من شرك ، وتأسيس دولة اسلامية فى الحجاز • ثم جاء الافغانى فى مواجهـــة

الاستعمار والعدوان الخارجى والتخلف والتسلط الداخلى محاولا تخليص الامة من عدويها الرئيسيين • ثم جاء الكواكبى داعيا الى تأسيس دولة عربية اسلامية فى الشام تحيى الخلافة وتحيا بها الامة • وقامت حركات مشابهة فى كل أنحاء العالم الاسلامى ، المهدية فى السودان ، والسنوسية فى ليبيا ، وعبد القادر الجزائرى فى المغرب ، وعلماء الجزائر وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعمر المختار فى ليبيا ، والالوسى فى العراق ، والشوكانى فى اليمن لبحث أسباب انهيار الامة وضعفها ، وتحديد شروط الاصلاح ووضع مناهجه من أجل استئناف دورة ثانية للحضارة الاسلامية بعد خمسة قرون من التوقف ، وتأخذ الدورة الاولى فى القرون السبعة الاولى نبراسا لها ، كعصر ذهبى كشاهد تاريخى على أنه لا يصلح هذه الامة الا ما صلح به أولها • فنشأت حركات احياء المعاصرة من أجل بعث الامة ونهضتها من جديد ، لذلك يشير أعضاء الجماعات الاسلامية باستمرار الى الشوكانى ويقرأون « نيل الاوطار » ، « فتح القدير » ، ويواصلون هذا البعث الاسلامى المعاصر ، كحركة تاريخية لا يمكن ايقافها لانها تعبر عن استئناف حركات الاصلاح الدينى وبداية دورة ثانية للحضارة الاسلامية تعيد للامة أمجاد السلف • ويجدون فى أنفسهم صدى لكل الحركات الاسلامية المعاصرة سواء فى العالم العربى أو فى العالم الاسلامى • ويقرأون رسائل جهيمان قائد ثورة الحرم المكى • ويطلعون على رسائل صالح سرية منفذ حادثة الاستيلاء على الفنية العسكرية فى مصر • ومازال سيد قطب يمثل بالنسبة لهم دعوة صريحة لتكوين جيل قرآنى جديد ، صفوة مؤمنة قادرة على تحرير الوجدان البشرى فى العالم كله من « الطاغوت والجاهلية والكفر » •

وبالاضافة الى هذا المد التاريخى الذى لا يمكن ايقافه ظهرت عدة عوامل مادية مساعدة لهذا الانبعاث الحضارى الجديد أهمها :

١ — محاولات الانفصال عن العثمانيين وتأسيس دولة عربية كرد فعل على القومية الطورانية ، وظهور العروبة مواكبة للاسلام خاصة لدى الكواكبى وحركة الاصلاح الدينى بوجه عام حتى استحال التمييز حاليا فى وجداننا القومى بين النهضة العربية والنهضة الاسلامية ، بين الفكر العربى الحديث والفكر الاسلامى الحديث ٠

٢ — مواكبة الانبعاث الحضارى لحركات التحرر الوطنى ٠ فقد ناضلت شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية منذ أوائل هذا القرن للحصول على استقلالها دون أن يكون هناك وعى اسلامى شامل يجمع بين معظم هذه الشعوب وان كان هناك تعاطف وتآزر واثر متبادل ، ووحدة هدف ومصير وتاريخ بينها ٠ ولما كان الافغانى أحد روافدها ومؤسسا للحزب الوطنى المصرى ، ورافعا شعار « مصر للمصريين » فقد استحال التمييز بين البعث الاسلامى والحركة الوطنية ٠ وقد وضح ذلك فى آخر الحركات الوطنية الاسلامية فى الثورة الوطنية فى الجزائر وفى الثورة الاسلامية فى ايران ٠

٣ — الوعى بالاهمية الجغرافية والاستراتيجية للمنطقة ، وباطماع الغرب والشرق فيها ٠ فقد كانت من ممتلكات الدولة العثمانية بعد الحرب الاوربية الاولى وقيام ثورات وطنية فيها ، توحدت كلها فى رحكة القومية العربية ، وظهور الاسلام فيها كأحد مكوناتها التاريخية الحضارية واللغوية والدينية ٠ وقد بدا ذلك واضحا فى « الناصرية » التى رأت فيها الشعوب العربية والاسلامية استئنافا لحركة الاصلاح

الدينى بالرغم مما يبدو عليها من علمانية واستخدام الاسلام لتأييد الحركة الوطنية التقدمية ولتدعيم الاشتراكية العربية .

٤ — اكتشاف القدرات الاقتصادية الهائلة للمنطقة من حيث المواد الاولية ، والاسواق والعمالة والخبرات الفنية ، والرؤية السياسية . وكان آخرها الثروة البترولية وعائدات النفط والذى ازدادت أهميته بعد أزمة الطاقة فى الغرب ، وتعاظم العائدات بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، واعتماد الغرب الصناعى ، أوربا واليابان ، على البترول العـــربى ؛ واستثمار العائدات فى المصارف الاوربية .

ولكن هذه النهضة الاسلامية المعاصرة وتقويتها بالعوامل المادية المساعدة ، بالرغم من بداياتها الجذرية فى القرن الماضى ومنطلقاتها المستنيرة سواء فى الحركة الاصلاحية « الافغـــانى » أو فى التيـــار الليبرالى « الطهطاوى » أو فى التيـــار العلمى « شبلى شميل » فقد انتهت فى منتصف هـــذا القرن على عكس ما بدأت منه ، فكانت قصيرة المدى ، قليلة الاثر على الاجيال الحاضرة . انتهت الحركة الاصلاحية الى محافظة دينية ، وتحولت الليبرالية الى نظم فردية تسلطية ، كما انقلب التيار العلمى الى ممارسات للخرافة وعودة الى الايمان .

بدأت الحركة الاصلاحية على يد الافغانى مستنيرة تعتمـــد على العقل خاصة عند محمد عبده بالرغم من انتماءاتها السلفية والصوفية . تدعو الى الاخذ بأساليب التقدم الحديث ، العلم والصناعة . وتدعو الى تأسيس نظم سياسية تقوم على الحرية والديمقراطية ممثلـــة فى المجالس النيابية ، والحكومات الدستورية والملكيات المقيـــدة ان استحالت النظم الجمهورية . وواجهت بجرأة شديدة قضايا الاستعمار

والعـــدوان الخارجى ووسائل التخلف والطغيان الداخلى • وحاولت توحيد الامة فى كيـــان واحد مركزه مصر ، مصر والشـــام ، مصر والسودان ، مصر وشـــمال افريقيا ، أو مصر والامة الاســـلامية ، أو مصر والجامعة الشرقية فى مواجهة الاستعمار الغربى الواحد البريطانى أو الفرنسى أو الهولندى أو البرتغالى أو الاسبانى • ثم خبت الى النصف عند محمد عبده ارتدادا عن الثورة السياسية الشاملة وايثارا لمناهج التربية والاصلاح الدينى والخلقى ، ونكوصا عن التغير السياسى فى جيل واحد ، ورغبة فى حركة طويلة الامد تمتد عدة أجيال ، وتراجعا عن وحدة الامة الشاملة الى وطنية ضيقة محدودة بالحدود السياسية • اشترك فى الثورة العرابية ثم نكص عنها وطعنها فى الخلف ، عـــادى الانجليز ثم صادقهم ، قاوم توفيق ثم صادقه ، اقترب من المعتزلة فى العـــدل وتراجع عنهم فى التوحيد ، فكان نصفه مستنيرا تقدميا ونصفه الآخر محافظا سلفيا • لذلك كان الافغانى يمسك بتلابيبـــه ويقول له : والله انك لمثبط !

ثم خبت الحركة الاصلاحية الى المنتصف مرة أخرى على يـــد تلميذه رشيد رضـــا الذى تحولت الحركة الاصلاحية على يديه الى سلفية معلنة • فعـــاد الى محمد بن عبد الوهاب الذى أعاده الى ابن القيم وابن تيمية أولا ثم الى أحمد بن حنبل ثانيا • فبدلا من الانفتاح على أساليب المدنيـــة الحديثة آثر الانغلاق والهجوم على الغرب • وبدلا من الدفاع عن الاستقلال الوطنى للشـــعوب ، وكرد فعل على الحركات العلمانية فى تركيا دافع عن الخلافة بعد اصلاحها ، ضعف العقل لحساب النبوة ، وقل تحليل الواقع ووصف حركة التـــاريخ لحساب تفســـير المنار ، وشرح النصوص ، وتحولت « العروة الوثقى »

من جريدة نضال يومى ومعـارك الاستعمار والتخلف الى مجـلة « المنار » ، مجلة ثقافية حضارية عامة تتوارى عن السياسة ، وتظهر فى العلم والمعرفة • وهنا ظهر « حسن البنا » تلميذ رشيد رضا فى دار العلـوم فى ١٩٣٥ محاولا احياء المنار من جـديد فى ١٩٣٦ ، فأخذ السلفية ، وحاول العـودة بها الى حماس الافغانى ونشاطه ، ونظرته الشمولية ، وعدائه للاسـتعمار والتخلف ، وحاول اكمـال ما نقص الافغانى محققا هدفه فى تجنيد الجماهير الاسـلامية • فأسس جماعة الاخوان المسلمين كبرى الحركات الاسلامية المعاصرة والتى خرجت الجماعات الاسلامية الحالية من ثناياها دون وعى كاف بمصادرها ، وتتجلى فيها الحركة الاصلاحية المعاصرة بعد أن خبت الى النصف عدة مرات •

أما التيار الليبرالى الذى بدأه الطهطاوى فقد ارتبط بالاسلام فى تصوره للدولة الحديثة ، وأعاد اكتشاف مبادىء الحرية والاخاء والمساواة التى سمع بها فى فرنسا فى التراث الاسلامى • وكتب فى سيرة النبى « ساكن الحجاز » فى نفس الوقت الذى يعجب فيه بحضارة الغرب فى « تلخيص الابريز فى وصف باريس » • كان المنظـر لدولة محمد على ، مؤسس الدولة المصرية الحديثة ، دولة قوية تخلف الدولـة العثمانية ، فأسس الروح الوطنية المصرية ، وجعـل حب الوطن من الايمان ، ونظـر للنهضة القومية فى « مناهج الالبـاب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » ، ودعا الى تربية البنات فى « المرشد الامين فى تربية البنات والبنين » ، وأيد الدعوة بنظرة الاسلام للتعليم الذى يتساوى أمامه المسلم والمسلمة • ترجم هو وأعضاء البعثات العائدين أمهات الكتب فى شتى نواحى العلوم والآداب ، لا فرق بين العـلوم الطبيعية والعلوم الادبية •

ولكن خبت هذه الحركة أيضا الى النصف على يد ممثلى الليبرالية فى الجيلين الثانى والثالث عند لطفى السيد ، وطه حسين والعقاد . فقــد دعا لطفى السيد الى مصر للمصريين ، ولكن خبا روح الاسلام من النداء كما أطلقه الافغانى لصــالح الحركة الوطنية العــامة . وزاد الانفتاح على التراث الغربى المعاصر أو فى روافده الاولى فى التراث اليونانى القديم . ثم جــاء طه حسين ، واستمرت الاستنارة العقلية ، وتحولت الليبرالية على بديه الى اعمــال للعقل فى نقــد التراث الادبى وفى نقــد الاوضاع الاجتماعية . ولكن خبا الاســلام لصــالح الغرب ، وحاول ربط مصر بحضارة البحر الابيض المتوسط التى يمحى فيهــا الصراع بين الاسلام والغرب ، وكما وضح ذلك فى « مستقبل الثقافة فى مصر » . وقد أثار ذلك التيار الاسلامى السلفى وبدأت موجات التكفير . وقد دفع ذلك العقاد الى تغليب الاســلام ، والعودة به الى الصفاء الاول ، وجمــع بين الرومانسية الادبيــة والرومانسية الدينية . فكتب « العبقريات » ، وسير الابطال الاوائل ، ووضع الاسلام فى مواجهة الغرب ، والقديم فى مقــابل الجديد ، مما جعل الحركة الاسلامية فى مواجهة الغرب ، والقديم فى مقابل الجديد ، مما جعل الحركة الاسلامية تجد فيه منطلقا جديدا لها ، تحرم مؤلفات طه حسين فى معارض الكتب الاسلامية فى الجامعات وتبرز العبقريات . ثم انتهت الليبرالية تماما عند خلفاء العقاد ، وظهر كتاب اسلاميون أقرب الى الســلفية منهم الى العقلانية ، يكفرون طه حســين من جديد ، ويضعون الاسلام فى مواجهة العقل والعلم والنظم الديمقراطية، ويظهرون جوانبه الالهية على حســاب الجوانب العقلانية . فانتهت الليبرالية فى هذا القرن وسادت موجات التكفير لكل فكــر جديد ،

وأصبح كل اجتهـــاد بدعة • وظهرت كتابات دينية عن عالم الجن والملائكة ، وأولياء الله الصالحين ، وصحابة رســـول الله • وتاب على عبد الرازق عن « الاسلام وأصول الحكم » • وكفر خالد محمد خالد عن ذنبه « من هنا نبدأ » • وقد أعطى هـــذا الانقلاب فى الحـــركة الليبرالية دفعة جديدة للاصولية الاسلامية. وانصب فيها بعد أن كان قائما عليها فى البداية •

أما التيار العلمى العلمانى الذى بدأه شبلى شميل ، ويعقوب صروف ، ونقـــولا حـــداد ، واســـماعيل مظهـــر ، وزكى نجيـــب محمود فقـــد بدأه المســـيحيون فى الشـــام المهـــاجون الى مصر ، كرد فعل على الحركة الاسلامية ، دفاعا عن الاقليـــات ، وتحت أثر المبشرين ، دعوا الى القومية والوطنية والعلمانية ، كمـــا دعوا الى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية وحقوق الانسان • نقلوا العلم الحديث والعقلانية الحديثة ، والنظم الديمقراطية الحديثة ، وعلوم العمران • ولكنهم أيضا جعلوا الدين علاقة خاصة بين الانسان والله ، والقانون الوضعى علاقة الانسان بالانسان • ازداد الارتباط بالغرب ، وأصبح الغرب هـــو نمط التحديث ، تقلده كل الشـــعوب وتقتفى أثره كل الحضارات بل وأصبح المصدر الوحيد للعلم والادب والفكر والاجتماع والسياسة والقانون • وظهرت الدعوات للتتلمذ على الغرب ، « هؤلاء علمونى » : فولتير ، وجيته ، وداروين ، وفيســـمان ، وابسن ، ونيتشه ، وريـنـــان ، ودستويفسكى ، وثورو ، وتولستوى ، وفرويد ، وسميث ، واليس ، وجوركى ، وشـــو ، وغاندى ، وولز ، وشفيتزر ، وجون ديوى ، وسارتر ، وانتهى ابن حزم ، وابن تيمية ، وابن القيـــم ، والسيوطى ، فلم يعلموا أحدا منا شيئا ! وبدأت النظم العلمـــانية

المغربية كالاشتراكية أو القومية تظهـر كبديل عن النظام الاسلامى •
وبدأت الحياة اليومية تبتعد شيئا فشيئا عن التقاليد الاسلامية باسم
المدنية والحياة العصرية • وبالرغم من أن الافغانى كان صديقا لشبلى
شميل الا أن هذه الصداقة بين الحركة الاسلامية والفكر العلمانى
فى البداية انتهت الى العداء ثم الى القطيعـة عند سلامة موسى
واسماعيل مظهر ، وزكى نجيب محمود ، وكى يعيش التيار ، انقلب
واسماعيل مظهر ، وزكى نجيب محمود • وكى يعيش التيار ، انقلب
« الاسلام •• أبدا » • وحاول زكى نجيب محمود التأقلم ويعيد اكتشاف
التراث مسقطا عليه ولاءاته للمذاهب الغربية • ولكن ما خلفه التيار
العلمى العلمانى من آثار انطوى ولم يظهر الا ما سببه من ردود أفعال
لدى الاصولية الاسلامية • فربى فيهـا العداء الشامل للغرب بكل
محامده ومآسيه • فانتهى العلم ، وانتهت منجزات العصر الحديث ،
وعادى أعضاء الجماعة الاسلامية الراديو والتلفزيون • وانتهى كل
ذلك الى المادية والالحاد ، والطعن على الاسلام والمسلمين • ويظهر
ذلـك من التحقيقات فى معاداة خالد الاسلامبولى سـماع الراديو
والتلفزيون ، ورفض أعضاء الجماعة الاسلامية العلاج فى عيـادة
التكافل الاجتماعى والاكتفاء بالطب النبوى ، (التحقيقات ص ٣٠٨) •

وهكذا انتهى فجر النهضة الاسلامية العربية الحديثة ، ولم نر
ضحاها أو ظهرها ، وحل ليلها بسرعة ، وسادت روح المحافظة الدينية ،
وكأن الصاروخ قد هبط الى الارض بمجرد أن ارتفع ، ولم يستطع
خرق حجب السماء الى رحب الفضاء ، فظهرت الاصولية الاسلامية
على انها الرصيد التاريخى الوحيد الباقى على مر العصور ، حامى
حمى الاسلام ضد الغرب •

٣ ــ ازدهار الحركة الاسلامية المعاصرة (الاخوان المسلمون ١٩٢٧ ــ ١٩٥١) (٤)

بدأ حسن البنا دعوته فى الاسماعيلية على ضفاف القناة ، وهو يشاهد جنود الاحتلال ، فارتبطت الدعوة الاسلامية بالحركة الوطنية منذ البداية فى مصر • وعاصرت تطورها وازدهارها فى الاربعينـــات

---

(٤) جريدة « الوطن » ، الاثنين ٢٢ نوفمبر ١٩٨٢ ، ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضوء قضية السادات (٣)
- الاخوان المسلمون وازدهار الحركة الاسلامية المعاصرة .
- عشر ايجابيات ... وعشر سلبيات فى الحركة الاسلامية .
- كيف تحول الدعاة والهداة الى عصاة للقانون تتعقبهم أجهزة الامن ؟ وصدرت هذه الحلقة الثالثة بالآتى :

منذ يومين بدأ الدكتور حسن حنفى دراسته الهامة حول : الحركة الاســـلامية المعاصرة والتى يطلقون عليها فى الغرب اسم « الاصـــولية الاسلامية » كناية عن الفكرة القائلة بالعودة للاصـــل • شرح د. حسن حنفى منهجه فى الدراسة . والحالة التى اختارها هى مصر أو حالة السادات والجماعات الاسلامية ... لكنه آثر ــ وهو ما حدث بالامس ــ أن يضـــع مقدمة تاريخية حول الجذور .... وينتقل اليوم لمرحلة ثانية أسماها مرحلة ازدهار الحركة الاسلامية وفيها يركز على حركة الاخوان المسلمين ما بين عامى ١٩٢٧ ــ ١٩٥١ .

ووضعت عناوين فرعية مثل : وطنية وشعبية ، الجوانب السلبية .

ووضعت الجريدة صورة حسن البنا وجمال الدين الافغانى وسيد قطب والشيخ محمد الغزالى .

وأعلنت فى نهاية الحلقة : فى الحلقة القادمة يقدم د. حسن حنفى الجزء الرابع من دراسته للصراع بين الاخوان المسلمين وثورة يوليو .

حتى وقع الصدام بينهما فى الخمسينات بعـد اندلاع الثورة المصرية فى أقل من عامين ، وأصبحت الدعوة على مدى خمسة وعشرين عاما « ١٩٢٧ — ١٩٥١ » معادلة للصحوة الاسلامية الجديدة ، محاولة تجديد الحركة السلفية كما وصلت عند رشيد رضـا بالرجوع الى مشروع الافغانى الاول : الاسلام فى مواجهة الاستعمار فى الخارج والتخلف فى الداخل ، بالاضافة الى تأسيس تنظيم شعبى تكـون ركيزته فى مصر نظرا لاسفار الافغانى التى منعتـه من الاستقرار وتأسيس مثل هذا التنظيم •

وقد امتازت الحركة بالآتى :

١ — ارتباط الدعـوة بالحركة الوطنيـة المصرية خاصـة فى الاربعينات ، ودخول بعض أعضائها اللجنة المصرية للطلبة والعمال فى ١٩٤٧ بالرغم من عدم انضمام الجماعة الرسمى خطأ منهـا فى التحليل السياسى ، ونظرا لسيادة وجهة النظر الشمولية على تصورها للاســلام الذى لا يقبل التعاون مع أى تيار علمانى آخر بعـد أن خسرت العلمانيـة أرضيتها الاســلامية ، وارتبطت بمشروع مصر القومى ، مناهضة الاستعمار ، والنضال من أجل الاستقلال • وكان الاستعمار ينظر اليها بحق على أنهـا العدو الرئيسى له فى المنطقة بعد أن استطاع احتواء بعض الاحزاب وخلق البعض الآخر مـع القصر ، واستمالة بعض أعضاء الاحزاب الوطنية •

٢ — شعبية الدعة ، وتغلغها فى أوساط العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين ، وانتشارها فى محافظة الشرقية فى مواجهـة جنود الاحتلال ، وفى الجامعات فى الاوســاط الطلابية حيث كان الاسلام هو الانتماء

الفكرى الوحيد الاصيل فى مواجهة العلمانية والماركسيه الغربيــة .
وكان المركز العــام للاخوان المسلمين بالحلمية وكأنه بيت جــديد
للامة ، تنصهر فيــه جميع الطوائف ، وتظهر فيه وحدة مصر الوطنية .
وكانت انتخابات اتحادات الطلاب بالجامعة قبيل الثورة تعطى مرشحى
الاخوان ٩٥٪ من أعضاء الاتحاد فى الوقت الذى كان فيــه المد الشعبى
الوفدى ، وكما ظهــر فى انتخابات ١٩٥١ ، فى الذروة . وكان نداء
« الله أكبر ، ولله الحمد » كفيل بهز الجامعة ، وخروجها عن بكرة
أبيها مما يجعل أى تحليل طبقى لنشأة حركة الاخوان المسلمين مستحيل
التطبيق عمليا ، ومما يكشف قدرة الدعوة الاسلامية على اختراق كافة
الطبقات والطوائف .

٣ ــ نشاط الدعوة وفاعلية التنظيم بحيث كان يمكن الدعوة لاى
مؤتمر عام فى أقل وقت ممكن . وكان التنظيم الهرمى من القمة الى
القاعدة أو من القاعدة الى القمة كفيلا بتماسك الجمــاعة ولم يكن
يضــارعه الا التنظيمات الشيوعية السرية . وكان نظــام الاسر ،
والتعارف بين أعضائها كفيلا أيضا بتجنيد أعضاء جدد ثم الترقى فى
السلم الهرمى « حتى مكتب الارشاد » . وقد ركزت الجماعة على
الجانب الرياضى والكشفى وفرق الجوالة والمعســكرات الصيفية من
أجل تربية البدن لان المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، بالاضافة
الى العبادة والتربية الروحية من أجل خلق « فرسان بالليل ورهبان
بالنهار » . وبهذه الروح تم انشــاء تنظيم سرى من أجل التدريب
على حمل السلاح سواء فى مواجهة الاستعمار فى الخــارج أو قوى
التسلط والطغيان فى الداخل ، من أجل تأسيس الدولة الاسلامية . ولا
ضير فى استعمال القــوة اذا ما حانت الفرصة ولو بالاســتيلاء على

السلطة ، فذاك مقرر شرعا عند الفقهاء ، لذلــك لم تكن الاغتيالات السياسية مستبعدة « النقراشى ، أحمد ماهر .. الخ » . ولم يكن العنف الثــورى مستهجنا ، فقد كان احدى الوســائل المطروحة فى الاربعينات للتغير الاجتماعى والسياسى كعنف مضاد ضد عنف السلطة الممثلة فى الجيش والبوليس والانجليز والقصر وشتى أجهزة القمع ، أمين عثمان ، سليم زكى ، محافظ القاهرة . وقد بلغ ذلك العنف الذروة فى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ .

٤ — وبالرغم من كل ما يقال عن التعاون بين الاخوان والقصر ، والاستشهاد بالعبارة المشهورة التى قالها زعيم الاخوان اثر مقابلته للملك « مقابلة كريمة لملك كريم » الا أن العــداء بين حركة الاخوان المسلمين ، باعتبارها جــزءا من القوى الوطنية فى مصر ، وبين القصر كان مشهودا . فلم يكن الاسلام ليقبل النظام الملكى أو يعترف بامام للمسلمين لا تقــوم ولايته بيعة وشورى . وكان القصر يبادل الجماعة عداء بعداء مما كلف الامام الشهيد حسن البنا حياته فى ١٩٤٩/٢/١١ كهدية قدمتها له أجهزة الامن فى عيد ميلاد الملك . وقد قيل نفس الشىء ، مهادنة القصر والتعاون معه ، بالنسبة لحزب الوفد من أجل تشويه الحركة الوطنية المصرية برافديها الدينى والعلمانى والغــاء الفارق بين الاحزاب والوطنية وأحزاب القصر .

٥ — اشتراك الجمــاعة فى حرب فلسطين فى ١٩٤٨ ، واندفاعها فى الحرب الشعبية طلبا للشهادة مما أثار اعجاب الجيش ، وكذلــك اشتراكهم فى المقاومة الشعبية فى قنــاة السويس ١٩٥١ بالتنســيق مع الضباط الاحرار (كمال الدين حسين ، كمال رفعت) . فأصبحت

احدى القوى الوطنية الرئيسية مما جعل الانجليز واسرائيل يتربصون بهـا ويخشونها باعتبارها تمثل مستقبل مصر وقوتها القـادرة على التصـدى للاستعمار والصهيونية دون هوادة أو مسـاومة ، واستمرار هـذا الخط الوطنى حتى الجماعات الاسلامية فى عدائها للاستعمار الصليبى والصهيونية ، والتعـبير عن أخص خصائص الاسـلام فى التحامه بالشعوب حتى يصبح مرادفا للحركة الوطنية كما هو الحال فى مصر والجزائر والمغرب والفلبين والسودان وليبيا وتركيا ، ومحافظا على خصائص الشعوب القومية كما هو الحـال فى أوربا الشرقيـة والجمهوريات الاسلامية بالاتحاد السوفيتى •

٦ ـ الانفتاح على العالم العربى والاسلامى اذ أصبح « المركز العام » للاخوان المسلمين محور التقاء لشتى الحركات الاسـلامية ، وفيه بدأت أواصر مصر مع دوائرها الطبيعية • كانت حركة الاخوان وثيقة الصلة بحزب الاستقلال وبعلال الفاسى فى المغرب ، وبرابطة علماء الجزائر ، وبالحركـة الاسلامية بالسودان وسوريا والاردن واليمن • وشاركت فى الثورات الوطنية فى اليمن ضـد نظام الائمة • وكانت ذا صلات قوية بالنهضة الاسلامية فى الهنـد واندونيسـيا والملايو والفلبين وتركيا وايران • وكانت كتابات أبى الحسن الندوى من الهند وابى الاعلى المودودى من باكستان تعادل كتابات حسـن البنا وسيد قطب وعبد القادر عودة ومحمد الغزالى فى مصر ، وتساهم فى التثقيف الدينى والوعى الاسـلامى للشباب • وكانت من أهـم أهدافها الدعوة الى وحدة العـالم العربى والاسلامى واستقلاله وعدم انحيازه شرقا أو غربا ، وتأسيس حركة الاسيوية الافريقية على أسس

اسلامية كما كانت معظم الشعوب الاسلامية فى آسيا وافريقيا • فقدمت مصر للعالم الاسلامى كما قدم العالم الاسلامى لمصر •

٧ — الانفتاح على تجارب الامم ، والتعلم من الآخرين ، فالاصالة لا تعنى الانغلاق ، والحفاظ على الهوية لا يعنى العداء للآخرين ، وبالتالى استمرت فى تيار الحركة الاصلاحية الدينية عند مؤسسيها الاوائل وان كان بدرجة أقل • وكان تعلم وسائل التقدم الحديث وسبل النهضة المعاصرة من علم وفن وصناعة ؛ والاخذ بعلوم الوسائل أحد مقومات المسلم المعاصرة • فكانت دعوة عصرية تجديدية خاصة عند مؤسسها « حسن البنا » قبل أن تنغلق على نفسها نظرا لظروف الدعوة واصطدامها بالثورة المصريه فى الخمسينات والستينات وتولد الجماعات الاسلامية الحالية •

٨ — صياغة برنامج اصلاحى شامل تظهر فيه أفكار العدالة الاجتماعية والمساواة ، والحرية والوحدة والسلام ، وعدم الانحياز ، والاستقلال عن مناطق النفوذ • كانت قادرة على أن تكون بديلا مطروحا على الساحة المصرية فى الحياة الوطنية اما بمفردها أو بالتعاون مع القوى الوطنية الاخرى ، وتقديم برنامج اصلاحى مشترك بين الاخوان ، والطليعة الوفدية ، والاحزاب الماركسية ، ومصر الفتاة ، والحزب الوطنى حول شخصية المفكر الاسلامى الكبير الامام الشهيد سيد قطب فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات حين كان يكتب فى جرائد الاحزاب السياسية ومجلات القوى الوطنية جميعا وبلا استثناء • وقد وئدت الحركة فى مهدها بعد الصراع بين الثورة والاخوان واختفت تماما فى الجماعات الاسلامية كنتيجة طبيعية لهذا الصراع باستثناء بعض المشايخ ضحايا سبتمبر ١٩٨١ •

٩ — كانت الجماعة تمثل دعوة طاهرة ونقية فى أذهان الناس . بالمقارنة بالاحزاب القائمة وقتئذ ، وانتشر الحديث عن صدق الدعـوة فى مقابل فســاد الاحزاب . وبالتالى كانت تحظى باحترام الجميع . حاولت جميع الاحزاب الوطنية مخاطبة ودها . ولا يوجد زعيــم وطنى الا واتصل بهـا اما بالانضمام اليها أو بالتعلم منها وحضور ندواتها والاستماع الى محاضراتها . فكانت « الدعـوة » مدرســة للتربية الوطنية والدينية . وكان الاختيـار الوحيد المطروح أمـام طهارة الشباب وحكمة الشـيوخ . وكانت القدوة أحد مظاهر الصدق . فكان أعضاء الجماعة يركزون عليهـا حتى يكون الاخ المسلم اسلاما يتحرك ، يجذب اليه الانظار كقدوة حسنة .

١٠ — تنشيط الازهر ، أكبر جامعة اسلامية ، وانتشار الدعوة بين أساتذتها وطلابها ، وتكوين حركة معارضــة فيه تقاوم التعاون مع السلطة القائمة وتبرير قراراتها ، وتدعو الى اســتقلال المؤسسات الدينية عن الســلطة السياسية ، وتكوين خطباء وأئمة من الازهر والدعوة . أصبحت لهم شهرة وسمعة حتى أصبح الازهر المكـان الطبيعى للدعوة مثل الجامعات . ونشطت وزارة الاوقاف فى الدعوة ، وتغيرت الى حد ما صــورة « رجل الدين » فى أذهان الناس ، فأصبح رجل قول وعمل ، طهارة وسلوك ، وموضع تقدير واحترام من الجميع . وقد ضاع ذلك كله فيما بعد بتحويل الازهر الى تابع للسلطات حتى كفرت الجماعة الاسلامية مشايخه وكل من يصلون فى مساجد الاوقاف !

ومع ذلك ، وبالرغم من هذه الصورة الناصعة التى كانت لدعوة الاخوان منذ نشأتها حتى بداية الثورة المصرية كانت لها بعض الجوانب

السلبية نظرا لظروف التخلف العامة فى البلاد • وهى الجوانب التى تظهر فى القوى الوطنية والاحزاب السياسية الاخرى • وهى الجوانب التى استمرت فى الجماعات الاسلامية فى السبعينات بعد اظلام الصورة الناصعة الاولى التى جهلها صغار السن ، أعضاء الجماعات الاسلامية الحالية والذين نشأوا فى ظروف اضطهاد الحركة الاسلامية • وأهم هذه الجوانب السلبية هى :

١ — انحسار العقل عما كان عليه فى الحركة الاصلاحية الاولى خاصة عند محمد عبده ، والتركيز على أولوية الايمان على العقل ، مما جعل الجماعة دينية أكثر منها عقلانية ، تبدأ من الايمان كمسلمة لا تقبل النقاش ، وبالتالى سادت العاطفة ، وعم التعصب أحيانا ، فزاد التصلب ، وقل الحوار ، وضاق الافق • وهو ما ظهر فى الجماعات الاسلامية فى السبعينات مضاعفا مرتين أو أكثر نظرا لتهيئة الظروف على تقلص الايجابيات وتضخم السلبيات •

٢ — سيطرة فكرة « الحاكمية » كأساس للدولة الاسلامية مما يقوض النظام القائم تماما من حيث الشرعية دون بحث للنظم القائمة بحثا موضوعيا ، فليس كل ما فيها حكم الشيطان ، وقانون الكفر ، ومجتمع الجاهلية ، بل يمكن تأييد ما اتفق مع الشرع وتغيير ما خالف الشرع • وهى الفكرة التى استخدمت فيما بعد كأهم معول للانقضاض على السلطة القائمة واغتيال الرئيس الراحل أنور السادات بعد أن ترسخت فى أذهان أعضاء الجماعة الام وما تولد عنها من جماعات صغيرة من خلال سيد قطب وتحت أثر أبى الاعلى المودودى ، وسيادتها على معظم الجماعات الاسلامية ، وفى مقدمتها جماعة الجهاد •

٣ ــ اقامة الدولة الاسلامية ، وتطبيق الشريعة الاسلامية تنفيذا للقانون الالهى وطاعة للارادة الالهية دون ابراز جوانب المصلحة العامة التى هى أساس التشريع ، ودون نظر الى الاضرار التى قد تنجم عن هذا التطبيق فى المجتمعات المعاصرة اذا ما كان تطبيقا فوريا صوريا مفروضا دون تهيئة الظروف الملائمة له والاعداد الصحيح لذلك. لذلك بدأ الناس يتخوفون من الدعوة ، وينفرون من صورتها خاصة وان الشريعة الاسلامية كانت تعنى الحدود أى قانون العقوبات اى المحرمات دون المباحات ، ومطالبة المسلم بواجباته قبل اعطائه حقوقه . وهو ما ظهر فى السبعينات كاحتكار للسلطة وكدعوة للجماعات فى آن واحد .

٤ ــ احداث التغير الاجتماعى عن طريق احداث انقلاب فى السلطة ، والاستيلاء على السلطة السياسية عملا بالقول المأثور « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ، ودون انتظار لانتشار الدعوة بين الناس ، ومطالبة الجماهير بها ، فتأتى على أكتاف الجماهير بدلا من أن تأتى فوق رقاب الناس . وطالما استولت أحزاب على السلطة دون أن تحدث أى تغيير اجتماعى مثل بعض أحزاب الاقلية قبل الثورة المصرية . وطالما ظلت اتجاهات خارج السلطة وكان لها أكبر الاثر فى احداث تحولات أساسية فى المجتمع مثل الاخوان المسلمين ، والحزب الوطنى ، وحزب مصر الفتاة . لذلك تحدث الانفجارات السياسية ، وتتهم الجماعات الاسلامية بين الحين والآخر بتهمة محاولة الاستيلاء على نظام الحكم بالقوة كما حدث لجماعات الاخوان المسلمين فى ١٩٥٤ وفى ١٩٦٥ ولحزب التحرير الاسلامى وحادثة الاستيلاء على الفنية العسكرية فى ١٩٧٤ ثم لجماعة الجهاد فى ٦

أكتوبر ١٩٨١ • ومما يبين عودة الاخوان المسلمين والجماعات السلامية الى مشروع الافغانى للانقلاب السياسى بعيدا عن المنهج التربوى الاخلاقى لمحمد عبده •

٥ — استخدام القوة الفعلية لاحداث هذا التغيير فى السلطة السياسية ، واستعمال الجهاز السرى لهذا الغرض ، وانشاء نظام عسكرى شبه مسلح يكون نواة الجيش فى الدولة الاسلامية المستقبلة • لذلك دخلت الجماعة فى صراع مع السلطة والنظام السياسى القائم ، وفى صراع مسلح فى أغلب الاحيان بعد اطلاق النيران • اذ يقع الصدام بين أجهزة الامن وبين الجهاز السرى بالرغم من تفاوت القوى ، ويكون الشعب فى النهاية هو الخاسر • فلا الدولة الاسلامية قامت ولا الامن قد استقر • ولا الدعوة الاسلامية قد استقرت ولا أصبح أعضاؤها مواطنين صالحين • وبالتالى تتقدم الدعوة خطوة وتتراجع خطوتين •

٦ — الوقوع فى جدل الكل أو لا شىء فاما أن يقبل النظام الاسلامى ككل أو يرفض ككل واما أن ترفض الدولة العلمانية ككل فيكون موقفا اسلاميا أو أن تقبل ككل فيكون موقفا مناهضا للاسلام • وغابت فكرة التدرج ، وغاب منهج المراحل الذى كان أهم ما يميز محمد عبده • فعاش أعضاء الجماعة مسلمين فى دولة لا اسلامية ، يكونون أسرهم الخاصة ، ويتصاهرون فيما بينهم ، ويكونون جماعاتهم وشركاتهم ودورهم حتى تقوم الدولة الاسلامية ، بؤرة ايمان وسط مجتمع كافر • وهو ما ظهر بوضوح فى السبعينات عندما انغلقت الجماعات تماما ، وكفرت الدولة العلمانية كما هو واضح فى جماعة التكفير والهجرة أو ناصبتها العداء كما هو واضح فى جماعة الجهاد[*] •

٧ — تحول أعضاء الجماعة الى خارجين على النظام ، وعصاة القانون ، تتعقبهم أجهزة الامن وكأنهم مجرمون بعد أن كانوا دعاة وهداة • وتتم محاكمتهم ، وتصدر عليهم أحكام الاعدام لتصفية زعمائهم ، واستعداء الازهر عليهم حتى لقد أصبح الداعية الاسلامى باستمرار خريج سجون أو دخيل سجون مما جعل البسطاء يخشون منه ، وجعل الاسر تخاف على أبنائها وبناتها من الانضمام اليه ، حفاظا على مستقبل الآباء والابناء • أصبح جزء منهم هاربا من العدالة، والجزء الآخر شهداء ، والبعض الثالث فى السجون والمعتقلات • بدأ ذلك قبل الثورة المصرية على نطاق محدود ، ثم اتسع بعد الثورة وفى عهدها على أوسع نطاق • وكان حسن الهضيبى قد نبه لهذا الامر فى « دعاة لا قضاة » ولكن الامور تطورت فى اتجاه آخر •

٨ — بالرغم من وجود بدايات تعاون بين كافة القوى الوطنية الا أن الرفض كان أكثر من القبول • وقد كان ذلك الموقف أحد أسباب انشقاق الحركة الوطنية المصرية فى ١٩٤٧ وكان أحد أسباب الصدام مع الثورة فى بدايتها عندما رفض الاخوان الاشتراك فى الوزارة بعد أن اعترضت الثورة على صغر سن أحد المرشحين • ثم فصل الشيخ الباقورى من الاخوان بعد قبوله الوزارة مع أن الحركة الاسلامية هى الوعاء الاكثر شمولا والاقدر على أن يكون بوتقة تنصهر فيها كل القوى الوطنية كما حدث أخيرا لدى بعض الائمة والمشايخ والخطباء المستنيرين الذين كانوا ضحية انفجار سبتمبر / اكتوبر ١٩٨١ • وكيف يتم للجماعات الاسلامية الرافضة الدعوة فى مجتمع وهى خارجه ، تعيش على هامشه ، تناصبه العداء وهو يخشاها ويترقبها بحذر وان كان يتعاطف معها ، ويعطف على دعاتها ، ويبكى على شهدائها ؟

٩ — اتسم نظام الجماعة بالطابع الهرمى الذى يستلزم الطاعة المطلقة من القاعدة الى القمة • وبالرغم من فاعلية التنظيم الا أنه كان ينحو نحوا تسلطيا ، وهـو الاتجاه العام فى معظم التنظيمـات فى المجتمعات المتخلفة حتى فى الاحزاب الديمقراطية والتقدمية والماركسية فيها • كان المطلوب من الاعضاء الطاعة المطلقة والا كان جزاؤهم الفصل أو التأديب • صحيح أنه كانت تحدث مناقشات وحـوار داخل الاسر على كافة المستويات ، ومع ذلك كان المطلوب طاعة الرؤساء مما جعل الامارة فيما بعـد لدى الجماعات الاسلامية الحالية محور التنظيم ، وموضعا للتنافس ، ومطلبا فى حد ذاته ، وسببا للفرقة والتشـتت ، وخلق نوعا من الحسـد والغيرة حول المناصب ، والانتقال من درجة الى درجة ، والارتفاع من مرتبة الى أخرى ثم الانتقال من التنظيم العلنى الى الجهـاز السرى • فاذا ما حدث العصيان انشق الصف ، وضاعت الوحدة ، وانهارت الجماعة ، وهـو ما يسبب الصراع على السلطة داخل الجماعة كما حدث فى بدايات الثورة المصرية • وقـد ظهر الخلاف على الامارة فى « التحقيقات » ، الامارة العامة للدكتور عمر عبد الرحمن والامارات الخاصة والقسم على الطاعة للامير ، وان طاعة الامير من طاعة الله ورسوله • (التحقيقات ص ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٤٤٧) •

١٠ — بالرغم من عداوة الجماعة للاسـتعمار الغربى وللمادية الالحادية للمعسكر الشرقى الا أنها فى فكرها وممارستها راحت ضحية التصور الرأسمالى للعالم ، وركزت على الاقتصاد الحـر ، والربح ، والتجارة ، والملكية ، كله رزق من الله طبقا للجهـد ، واستشهدت بتاريخ المسلمين وبكبار الصحابة وبتجار مكة وبأغنياء قريش ، ماداموا

يجهزون الجيوش ، ويشترون العبيد ويطلقون سراحهم ، ويطعمون الفقير ، ويساعدون المحتاج . وبالتالى ظهر العداء للاستعمار والصليبية دون أن يظهر عداء للرأسمالية . فى حين ظهر العداء للاتحاد السوفيتى عداء نظريا خالصا ، ضد المادية والالحاد والماركسية دون أن يظهر أى قبول لنظم العدالة والمساواة وتقديس العمل وتحريم الاستغلال .

وبالرغم من هذه السلبيات الا أن الجماعة كانت تزهو بنفسها بايجابياتها . ولم تتضخم السلبيات وتتوارى الايجابيات الا فى السبعينات فى الجماعات الاسلامية الحالية . كانت ايجابيات الدعوة تجذب الانظار . وكانت الدعوة قبيل الثورة المصرية قاب قوسين أو أدنى من النصر ، أو هكذا خيل لها . ولم يكن يضارعها فى الشعبية الا الوفد فى اكتساحه الهائل لانتخابات ١٩٥١ . ولكن بعد حريق يناير ١٩٥٢ ، واقالة الحكومة الوفدية ، واعلان الاحكام العرفية ، وتوالى الوزارات ، واشتداد الازمة الوطنية وقع ما لم يكن فى الحسبان، وانفجرت الثورة المصرية بقيادة الضباط الاحرار .

٤ ــ اضطهاد الحركة الاســلامية ، الصراع بين الاخوان والثــورة (١٩٥٢ ــ ١٩٧٠) (٥) :

كان الضباط الاحرار وعلى رأسهم جمال عبد الناصر على اتصال دائم بكل الحركات الوطنية والقوى السياسية قبل الثورة . كان على

---

(٥) جريدة « الوطن » الأربعاء ٢٤ نوفمبر ١٩٨٢
ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضوء قضية السادات (٤) .
- الاخوان والثورة .
- بداية الخلاف : اختيار ممثل للاخوان فى وزارة الثورة ؟
- هل هناك علاقة بين حادث المنشية عام ١٩٥٤ ... وحادث المنصة عام ١٩٨١ ؟

وصدرت هذه الحلقة الرابعة بالآتى :

فى يوم السبت ، بدأ المفكر وأستاذ الفلسفة دكتور حسن حنفى دراسته الهامة حول الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها . اتخذ من مصر ، وصدام السادات مع التيار الاسلامى حالة الدراسة ... وقال انه لا يقدم دراسة بوليسية تعنى بالأشخاص وانما هى دراسة علمية تعنى بالافكار .

ولأن الفكر عملية متصلة ، ولأن الاصولية ، أو العودة الى الاصل أو السلفية الى آخر المرادفات التى يمكن أن نضعها عنوانا لهذا التيار لها تاريخ قديم ، بدأت الدراسة بتناول سريع لهذا التاريخ ، وكيف ازدهرت التيارات الاسلامية مرتين ابان عهد الأفغانى وفى فترة نشوء « الاخوان المسلمون » .

اليوم ينتقل الى نقطة جديدة هى العلاقة بين ثورة يوليو والتيــار الاســلامى .

ووضعت الجريدة صورتى جمال عبد الناصر وسيد قطب .

واعلنت فى نهاية الحلقة : غدا ، يواصل دكتور حسن حنفى دراسته حول ثورة يوليو والتيار الدينى ، ويجيب على السؤال الهام : كيف تحول الصدام الى وفاق فى السبعينات .

اتصل بالوفد ، وبمصر الفتاة ، وبالشيوعيين ، والاخوان • وعـرف « حسن البنا » ، وكشف له عن تنظيم الضباط الاحرار وأهدافه ونواياه، ولكن لم يحدث الوفاق المطلوب • فقد طالب الاخوان أن يكون تنظيم الضباط الاحرار الجناح العسكرى للاخوان فى الجيش ولكن حرص الضباط الاحرار على ابقاء تنظيمهم مستقلا استقلالا تاما عن كـافة القوى والاحزاب السياسية فى مصر وانه لا يجوز على الضابط الحر أن يكون عضوا فى تنظيم آخر غير تنظيم الضباط الاحرار ، وعليه أن يختار بينهما • ومع ذلك ظلت الاتصالات مستمرة ، وساد الوفاق وعم الوئام بين الضباط الاحرار والاخوان • فقد كان هناك ضابط اتصال بينهما « أبو المكارم عبد الحى » للتنسيق بين التنظيمين • وكان هناك أعضاء من الاخوان من شـعبة الجيش فى تنظيم الضباط الاحـرار « عبد المنعم عبد الرؤوف ، رشاد مهنا •• » ، بالاضافة الى وجـود بعض الضباط الاحرار المتعاطفين مع الاتجاه الاسلامى بوجه عـام « كمال الدين حسن ، حسين الشافعى مثلا » ، وقـد كان الضباط الاحرار يخفون الاسلحة التى يهربونهـا من الجيش داخل مخابئ أعدوها لدى الاخوان حتى تحين الفرصة للقيام بالثورة ، وكانوا قد تعرفوا على بعض فى ساحة القتال فى فلسطين وفى قناة السويس ١٩٥١• ولقد بلغت الثقة بين التنظيمين أقصى درجة عندما أخطر الضباط الاحرار الاخوان بموعد الثورة ، وتكليفهم بحراسة المنشآت العامة والبنـوك والمؤسسات والوزارات والمصـالح الحكومية والسفارات والهيئـات الاجنبية عشية الثورة وبعد قيامها •

واندلعت الثورة المصرية ، وظهر الوئام بين الاخوان والثـورة منذ الساعات الاولى • فقد أصبح الاخوان السند الشعبى والتنظيم

الجماهيرى الذى اعتمدت عليه الثورة فى أيامها الاولى نظـرا لغياب أى تنظيم شعبى آخر وقبل انشاء هيئـة التحرير كبديل عن الاخوان . كما ظهر التيار الاسلامى بوضوح داخل مجلس قيادة الثورة ولدى رئيس المجلس اللواء محمد نجيب والذى دعا الى الوحدة الاسلامية الشاملة فى جامعة القاهرة أمام جماهير الطلاب من الاخوان . كمـا استثنت الثورة الاخوان من تطبيق قانون حل الاحزاب لانها لم تتسم بالفساد الذى استشرى فى الاحزاب . كما أعلنت الثورة فى بياناتها الاولى ان من بين دوافعها التحقيق فى اغتيال الامام الشهيد حسن البنا والاقتصاص من القتلة ارضاء للاخوان وكسبا لتأييدهم .

ومع ذلك فقد ظهرت بدايات الخلاف بين الثورة والاخوان نظرا للصراع الداخلى بين الضباط الاحرار ولصراع داخلى آخـر داخل الاخوان مما شتت الجهود ومزق الصفوف ، ونظرا لما تتسم بـه المجتمعات المتخلفة دائما على الصعيد السياسى من الصراع حـول السلطة وغياب الوحدة الوطنية . فقـد أحس الضباط الاحرار بأن الاخوان يمثلون تحديا شعبيا لهم ، وبأنهم يظهرون قوتهم وقـوة تنظيماتهم الرياضية والكشفية فى كل المناسبات خاصة داخل أسـوار الجامعة ، وان الحركة الاسلامية نظرا لرسـوخها وشعبيتها مازالت تمثل قطب جذب لم تستطع المبادىء الستة أن تقـوم بمثلها بالرغم من التأييد الشعبى الهائل للثورة . وقد بدأ الخلاف حول اشـتراك الاخوان فى الوزارة ، ورفض مجلس قيادة الثورة مرشح الاخـوان الشاب ، ورفض الاخوان ترشيح غيره وكأن الاخوان يستصغرون سن الضباط ، ويرسلون اليهم من هم فى مثل سنهم . كما بدأ ظهـور الشقاق بين أعضاء مجلس قيادة الثورة بين التيار الديمقراطى الذى

يريد عودة الجيش الى الثكنات ، والعودة الى الحكم المدنى والنظام الدستورى والتيار التسلطى الذى يريد الاحتفاظ بالسلطة والحكم باسم الثورة • وكا على رأس التيار الاول ، وهكذا بدا الامر أمام الشعب ، رئيس مجلس قيادة الثورة وخالد محى الدين ، وعلى رأس التيار الثانى جمال عبد الناصر وباقى الرفاق • فانحاز الاخوان الى نجيب • ورأى نجيب فيهم سندا وعونا ضد صغار الضباط • ثم تمت تصفية التيار الاسلامى الاخوانى من مجلس قيادة الثورة ، فهرب عبد المنعم عبد الرؤوف ، وازيح رشاد مهنا بعد أن كان وصيا على العرش • ومع ذلك سيطر الاخوان على الجامعة ، وبدأ التوتر بين الاخوان وبين هيئة التحرير كتنظيم جديد منافس ، ورفض الاخوان الحد الادنى للملكية الزراعية فى قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر بعد أقل من شهرين من انتصار الثورة مما يدل على تسرب التصورات الرأسمالية الى أذهان الجماعة •

ولقد دام هذا التوتر أقل من سنتين حتى حدثت أزمة مارس ١٩٥٤ • وكانت بداية الصراع بين رفقاء الامس • وتفاقمت الازمة يوما بعد يوم حتى انتهت بالصدام الحتمى الدموى فى يوليو ١٩٥٤ اثر حادث المنشية • وقد اشتدت الازمة خاصة بعد عقد معاهدة الجلاء بين مصر وبريطانيا فى مارس ١٩٥٤ والتى تعطى بريطانيا الحق فى العودة الى قاعدة التل الكبير ، واستعمال مطارات القناة فى حالة الحرب ، وبالتالى ارتبطت مصر ببريطانيا من جديد • وبدأ الاخوان ينقدون بنود المعاهدة ، ويخطبون فى المساجد وعلى المقاهى حفاظا على استقلال مصر • فقد قبلت الثورة أقل مما كانت تنادى به الحركة الوطنية مجتمعة فى ذات الوقت ومنذ اشتعالها فى الاربعينات • كما

ظهر الطابع التسلطى على مجلس قيادة الثورة ، ورغبة عبد الناصر فى الاستئثار بالسلطة ، وعجزه عن الـــرد على انتقادات الاخـــوان للمعاهدة • ثم وقعت حادثة نواب صفوى زعيم فدائيان اسلام فى ايران فى الجامعة المصرية عندما حمله الاخوان على الاعناق داخل الحرم الجامعى ، والصدام بينهم وبين هيئة التحرير وحرق عربتها ، وضرب أتباعها • ثم وقع حادث المنشية ، ومحاولة اغتيال عبد الناصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٤ فى ميدان عام ، وفشل المحاولة •

وقد تكون محاولة العرض العسكرى فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ من الجماعة الاسلامية وليدة الاخوان اغتيال الرئيس ، خليفة جمـــال عبد الناصر ، ونجاحها أكبر رد فعل من التيـــار الاسلامى وأخذا بالثأر مما حدث للجماعة فى عمر الثورة • وبصرف النظر عن التحقق التاريخى من صدقها ، ومن الذى دبرها ، وتنكر الاخوان لها ، وان قام بعض أعضائها بتنفيذها على مسؤوليتهم الخاصة فقد كان الحادث البداية الفعلية للصراع ، فحلت الجماعة ، وقبض على أعضائها ، وتمت مطاردة زعماء الجهاز السرى ، وتمت محاكمات علنية للاخوان ، واستشـــهد ستة من أعضائها من بينهم غرغلى قائد المقاومة ضد الانجليز فى القناة ، وعبد القادر عودة من كبار مجددى الاسلام فى القانون الجنائى • وتمت أكبر حركة تعذيب شهدها التاريخ فى الســجون والمعتقلات ؛ وبلغت حدا لا يصدقه عقل ، تحتويه عشرات الكتب التى خرجت فى السبعينات عن أهوال التعذيب مما كان له أبلغ الاثر على تكوين الجماعات الاسلامية الحالية داخل السجون وخارجها وكما يبدو ذلك بوضوح فى « التحقيقات » وفى الدرس المستفاد من الصلة بين تجربة الاخوان

مع الثورة(٦) .

ثم حدث داخل السجون والمعتقلات ، وتحت أهوال التعذيب وآلام البدن وعذاب النفس أكبر تحول خطير فى فكر جماعة الاخوان والابنية النفسية لاعضائها ومناهج سلوكها فى فكر داعيتها ومفكرها الاول الامام الشـهيد سيد قطب . فقد بدأ سيد قطب ناقدا أدبيا وشاعرا منذ أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات . وأصدر ديوان شعر « الشاطىء المجهول » ، ودراسة نقدية «مهمة الشاعر فى الحياة» . وكان يبشر بمولد ناقد وأديب من الادباء الشبان ، يدافع عن الشباب ضد الشيوخ ، ويدافع عن الجديد الذى كان يمثله العقاد فى مواجهـة القديم الذى كان يمثله طه حسين . وفى أواخر الاربعينات بدأ يكتشف الجانب الادبى فى الاسلام عن طريق النقد الادبى ، والتصوير الفنى فى القرآن ، ومشاهد القيامة فى القرآن . وكان اعجاز القرآن الادبى بداية تحول لاكتشاف الاسلام ذاته فى جوانبه العقائدية والفلسفية والتشريعية . وفى أتون الحركة الوطنية ، وفى معترك النضال السياسى ، وهى البيئة التى خرج منها أيضا تنظيم الضباط الاحرار كان الامام الشهيد محور الحياة الوطنية ونقطة التقـاء بين التيارات السياسية وحلقة وصل بين القوى الاجتماعية . فكان على صلة وطيدة بالتنظيمات الماركسية « حدتو » ، والوطنية « مصر الفتاة » ، والوفد « الطليعة الوفدية » ، يكتب فى جرائدها ومجلاتها ، وهى تفسـح له صـدرها

---

(٦) يقول محمد عبد السلام فرج « منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ والحركة الاسلامية تعانى من عداء شديد من قبل هذه الثورة ، ونحن المسلمين قد صبرنا كثيرا ، وثورتنا ليست انتصارا لأنفسنا ولكنها تطبيق لأمر الله سبحانه وتعالى » التحقيقات ص ٢٤٦

وصفحاتها • وكانت القضية الاجتماعية ملحة للغاية ، فكتب فى ١٩٤٩ مقالا مطولا عن « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » تحول الى كتاب فيما بعد فى ١٩٥١ قبيل الثورة المصرية ، يعرض فيه للاسلام الاشتراكى أو للاشتراكية الاسلامية • وبعدها بعام واحد حرر « معركة الاسلام والرأسمالية » متحدثا عن البطون الجائعة والافواه المفتوحة واضعا بذلك الاسلام فى أتون المعركة الاجتماعية • ونشر فى نفس الوقت « السلام العالمى والاسلام » يتحدث فيه عن رؤية الاسلام للعلاقات الدولية ، وواضعا أسس السلام العالمى ابتداء من السلام فى الضمير والاسرة حتى السلام فى المجتمع وبين الدول • ظهر سيد قطب معبرا عن أمانى الحركة الوطنية التى عبرت عنها ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وزاد عليها انبثاقه عن الاسلام ، وخروجه من تراث الامة ، وقدرته على أن ينشىء تيارا جديدا فى الفكر الدينى عن الاسلام الاجتماعى أو الاسلام السياسى أو الاسلام الاشتراكى أو « اليسار الاسلامى » • ثم ذهب الى أمريكا لمدة عام فى أوائل الخمسينات فى بعثة تربوية لدراسة نظم التعليم ، وحدثت صدمة لديه بالنسبة للغرب واكتشافه الاسطورة ، فبدأ فى أخذ موقف من الغرب كحضارة ، ورد على نظرياته ابتداء من « الانسان والحضارة » ردا على « الانسان ، ذلك المجهول » لكاريل • فبدأ لديه الوعى بالآخر بناء على التجارب الذاتية • وأعد لذلك خلاصة تجاربه ومشاهداته فى « أمريكا التى رأيت » والذى لم يصدر حتى الآن • ومن ثم جمع سيد قطب فى موقفه المحاور الرئيسية الثلاثة : الموقف من التراث القديم من أجل اعادة تنقيته وتصويبه نحو حاضر المسلمين وقضاياهم الكبرى ، الموقف من التراث الغربى ناقدا له ومحجما اياه وحاميا لحاضرنا من آثار التقليد والتبعية ،

والموقف من الواقع الحالى ، ونقد النظم القائمة من أجل المساهمة فى قضايا التغير الاجتماعى واقامة نظام أفضل ، وهى المواقف الثلاثة التى تعبر عن الموقف الحاضر لجيلنا كله(٧) .

ولما كان تنظيم الاخوان فى ذلك الوقت هو المنبر الاسلامى الذى يسمح بمثل هذه المنطلقات باعتباره تنظيما شعبيا وطنيا اسلاميا فقد انضم اليه سيد قطب أمام دهشة أعضاء الجماعة . فما شأن هذا الذى يتعامل مع الوطنيين والاشتراكيين والقوميين والليبراليين بالدعوة الاسلامية ؟ ولكن نظرا للفراغ الذى تركه الامام الشهيد حسن البنا سرعان ما أخذ سيد قطب مكانه ومكانته ، وحرر برنامج الجماعة « دعوتنا » بناء على طلب من مجلس قيادة الثورة للاحزاب بصياغة وثائق تعلن فيه كل منها عن برنامجها السياسى والاجتماعى ، وكان برنامج الاخوان وطنيا اشتراكيا قوميا وحدويا ، كل ذلك باسم الاسلام . ولو انه كان أقرب الى الثورة منه الى الاخوان . وقد قام بعدة أحاديث فى الاذاعة المصرية فى الاشهر الستة الاولى للثورة تعبر عن الاهداف القومية التى أجمعت عليها الامة والتى عبرت عنها « المبادىء الستة » الاولى للثورة . كان جزءا من الحركة الوطنية المصرية وليس منعزلا عنها . وكان يبشر بالخير لولا زحمة المنافقين والمتسلقين والطامعين الذين التفوا حول الضباط الاحرار

---

(٧) أنظر « التراث والتجديد » موقفنا من التراث القديم ص ٢٠٣ — ٢١٦ ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ وأيضا « اليسار الاسلامى » ص ١٣ — ٣٨ ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

لعرض خدماتهم عليهم بأى ثمن(٨) .

ولم يدخل سيد قطب فى الصراعات التى بدأت تظهر فى الجماعة بين أنصار المرشد الجديد « حسن الهضيبى » وأنصار الجهاز السرى « عبد الرحمن السندى » . وكان لا يهتم الا بالجانب الفكرى للدعوة محاولا صياغة ايديولوجية اسلامية ثورية وبما امتاز به من وضوح الرؤية ودقة الاسلوب ، ثم حدثت أزمة مارس ١٩٥٤ وراح سيد قطب ضحية الصراع بين الاخوان والثورة . لم يؤثر فى الاخوان فكريا بل أثروا هم فيه عمليا ، ولم يؤثر هو فى الثورة فكريا ولكنه راح ضحيتهم عمليا . قبض عليه ، وحوكم ، وأودع السجن . وفى غياهب الجب ، وبين الجدران ، وفى الظلمات ، بدأ يخرج فكر جديد ، فيه مرارة وحزن ، الابرياء الاطهار فى السجون ، والاشرار المذنبون أحرار .

بدأ فكر سيد قطب يتحول من الاسلام الثورى الاجتماعى الى الاسلام المستقبلى النظرى فى « هذا الدين » ، « المستقبل لهذا الدين » . ومادامت الممارسة العملية قد توقفت فمن الطبيعى ألا يبقى الا العرض النظرى ، ومادام الواقع قد تقلص أمامه وانسد فلم يبق أمامه الا الحلم والخيال . وبدأ يكمل « فى ظلال القرآن » ، فقد كان القرآن عدته الوحيدة فى السجن وبعد عدة سنوات وفى داخل السجن قرأ كتيبا صغيرا لابى الاعلى المودودى بعنوان « المصطلحات الاربعة » وهى الحاكمية ، والالوهية ، والربانية ، والوحدانية .

---

(٨) سيد قطب : دراسات اسلامية ص ٢٣٧ — ٢٤٢ . دار الشروق ، القاهرة ١٩٧٣م — ١٣٩٣هـ .

فابرزت لديه مفهوم الحاكمية وجعلته محورا لتفكيره ، حاكمية الله ضد حاكمية البشر ، والوهية الله ضد الوهية البشر ، وربانية الله ضد ربانية البشر .. الخ . ولا بقاء لاحدهما الا فى غياب الآخر ، وظهر صدى هذا الفكر الجديد فى المراحل الاخيرة من « فى ظلال القرآن » . وهى الفكرة التى نبتت فى جماعات المضطهدين وفرق المعارضة فى التراث الاسلامى سواء عند الشيعة أم الخوارج لقلب النظم القائمة التى لا تقوم على أسس من الشرعية والتى تظهر من جديد طبقا لحاجات العصر وظروف اضطهاد الحركة الاسلامية ومعارضتها للنظم اللاشرعية القائمة .

وافرج عنه فى أوائل الستينات ، وقبل أن يفيق من مرارة السجن الاول أودع السجن من جديد فى ١٩٦٥ بعد أن نشر كتاب « معالم فى الطريق » والذى يعبر فيه أصدق تعبير عن حال الدعوة الاسلامية فى ظروف الاضطهاد ، والتعذيب البدنى والنفسى والذى أصبح حتى الآن انجيل الجماعات الاسلامية كلها بلا استثناء . تمسك به الاخوان القدامى والجدد ، وتنكروا لكل ما قاله سيد قطب قبل ذلك سواء فى المرحلة الادبية أو فى المرحلة الاجتماعية ، وكأن « معالم فى الطريق » هو خاتمة المطاف ، أو نهاية تجربة ، وحصيلة عمر ، مع أنه بالنسبة للمرحلة الاجتماعية أسوأ ما كتب سيد قطب . قرأه عبد الناصر وهو فى طريقه الى موسكو فى رحلة للعلاج ، وبحسه التنظيمى نبه أجهزة الامن الى ضرورة وجود تنظيم سرى وراء هذا الكتاب ليحقق الهدف الداعى اليه ، تحرير البشر من خلال الصفوة المؤمنة . فصيغت مؤامرة ١٩٦٥ بنفس التهمة التقليدية ، تشكيل نظام سرى لقلب نظام الحكم ، والاستيلاء على السلطة بالقوة . وسيق الآلاف الى السجون من جديد.

كان الهدف هذه المـرة سيد قطب بشخصه لما يمثله من ثقـل فكرى وتنظيمى • ولم تشفع تدخلات العالم الاسلامى وقتئذ لانقاذ حياته والابقاء عليه رصيدا للفكر الاسلامى •

والى الآن يمثل « معالم فى الطريق » محورا أساسيا فى تطور فكر الاخوان ، يعكس فكر الجماعات المضطهدة ، ولدته ظروف الصراع بين الاخوان والثورة ، وسيظل معبرا عن أية جماعة اسلامية مضطهدة حتى تتغير ظروف الاضطهاد وتصبح الدعوة الاسلامية شرعية فى مجتمع اسلامى ، ويصبح أعضاء الجماعة مواطنين عاملين فى البنـاء والتشييد والمشاركة فى المشروع القومى الوطنى وليس أعضاء خارجين على القانون على هامش المجتمع ، يعادون المجتمع ، ويبادلهم المجتمع عداء بعداء • ويرسم « معالم فى الطريق » ببساطة ووضوح منهاج الدعوة على النحو الآتى :

١ — هناك تعارض شديد بين فكرتين ، وتصورين ، ومجتمعين ، ونظامين ، وحقيقتين : الاسلام والجاهلية ، الايمان والكفـر ، الحق والباطل ، الخير والشر ، حاكمية الله وحاكمية البشر ، الله والطاغوت ••• الخ ، وانه لا بقاء لطرف الا بالقضاء على الطرف الآخر ، ولا سبيل الى المصالحة أو الوساطة بينهما •

٢ — ان الاسلام هو الحق والخير والعدل ، مجتمع الايمان حيث تكون فيه الحاكمية لله ، وان نظام الدولة القائم هو الباطل والشر والظلم ، مجتمع الكفر ، مجتمع تكون الحاكمية فيه للطاغوت • وبالتالى تتحول التصورات النظرية الى مواقف عملية ، فتنشأ الثـورة على

المجتمع والتمرد عليه لما كان الايمان قولا وعملا ، وكان الاسلام مشروعا ممكنا ، وكانت الشهادة مطلبا وأمنية .

٣ - لا يمكن أن يحدث التغير الا عن طريق الانقلاب ، الانقلاب فى السلطة ، والقضاء على أئمة الكفر ووضع أئمة الايمان محلهم ، بل ان الكلمة الاردية التى تعنى ثورة هى « انقلاب »(٩) . ولا توجد مراحل أو تدرج فى عملية التغير . وكما يحدث الانقلاب فى الفـرد عن طريق الهداية يحدث فى المجتمع عن طريق تغيير السلطة .

٤ - ويقوم بهذه العملية الصفوة المؤمنة ، جيل قرآنى جديد مثل جيل الصحابة الاوائل ، قادر على قيادة مجتمع الايمان ضـد مجتمع الكفر . فالاولوية للصفوة وليس للجماهير ، والصدارة للنخبة وليس للشعب ، ومحرك التغير هى الزعامة والقدوة وليس الناس ، وهى السمة الغالبة فى نظم المجتمعات المتخلفة التى تعطى الاولوية للقمة على القاعدة ، وللسلطة على الجماهير ، وللراعى على المحكومين والتى قد تكون ناتجة عن طابع الفكر الالهى الموروث من الاشعرية .

٥ - هذه العملية عملية تحرر شامل ، واجبة وضرورية ، مفروضة فرضا عينيا على كل مسـلم ومسلمة ، مسؤولية فردية واجتماعية ، دينية وأخلاقيـة على أن يحرر البشرية جمعاء وان يحـول مجتمع الكفر والطاغوت الى مجتمع الايمان والحرية . وبالتالى تمثل « لا اله الا الله » نهج حياة ، وعملية تحرر للوجدان البشرى من حرية الاعتقاد ،

---

(٩) أبو الاعلى المودودى : منهج الانقلاب الاسلامى ، دار الفكر العربى ، بيروت ، (بدون تاريخ) .

والتخلص من حكم الطاغوت • واجب المسلم تفرضه عقيدته ، تحقيق هذا الشعار بالفعل ، وتحرير البشرية كلها من حكم الطاغوت •

ما حدث لسيد قطب على المستوى النظرى حدث لباقى أعضـــاء الجماعة على مستوى السلوك العملى ، ممن قبض عليهم فى ١٩٦٥ والذين أفرزوا الجماعات الاسلامية فى السبعينات • فقد حدثت عدة مناقشات داخل السجون « شكرى مصطفى وزعماء جماعة التكفـــير والهجرة » كما حدث للاخوان المسلمين ابان الثورة ، وحاولوا اعـــادة تقييم المرحلة السابقة والتعلم من التجربة للمستقبل ، وانتهوا الى أن ما أصاب الجماعة من اضطهاد وتعذيب انما نتج عن مواقف لينة بالنسبة للثورة نتيجة التعامل مع مجتمع الجاهلية واقامة جســـور بين الايمان والكفر ، وبالتالى يكون الابقاء على التعارض أفضـــل للدعوة ، فانما بقاء الباطل فى غيبة الحق عنه • كما ان التعاون مـــع الجاهلية اضطر الجماعة الى أن تعيش بينها ، وبالتالى أصبحت جزءا منها خاضعة لقوانينها ، والافضل انفصال مجتمع الايمان عن مجتمع الكفر حتى يحدث تحول جذرى فى قلوب المؤمنين وحتى يظهر التعارض الفعلى وتكوين مجتمع الطهارة والايمان « التكفير والهجرة » • كما ان كثرة الاعداد فى الاخوان المسلمين ، بالآلاف ، نقطة ضعف وليس مظهر قوة • « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » (٢ : ٢٤٩) ، وبالتالى لابد من التركيز على الكيف دون الكم • لذلك تحولت الجماعات الاسلامية الحالية الى جماعات صغيرة لا تبلغ احداها المائة أو المائتين وأكثرها ألف أو ألفان مع الدقة فى الاختيار ، والالتزام بتعاليم الاسلام قولا وعملا • وليس الاخوانى المتحرر المستحدث السابق ! ولمـــا احتوى تنظيم الاخوان هذا العدد الكبير اضطر للتغاضى عن الخلافات

الفردية ووجهات النظر المتصارعة حرصا على وحدة التنظيم وشمول الجماعة ، ولكن سرعان ما فرض الاختلاف فى وجهة النظر نفسه على الجماعة فى بدايات الثورة المصرية فانشقت على نفسـها • لقد حاول كل فريق مصالحة الآخر حرصا على وحـدة الجمـاعة الام فحدثت مساوامات داخل الجماعة ، ومصالحات على حساب الحق • والاولى الابقاء على الفروق ، والحرص على النوعية حتى ينشأ المسلم الكامل مما جعل الجماعات الاسلامية فى السبعينات أكثر من فرقة ، بينها صراع حتى الموت • كما ان الاخوان لم يعدوا القـوة بما فيه الكفاية للجهاد ، وركزوا على الاستعداد له بطريق التربية والاعداد الروحى دون أن ينتقلوا الى الفعل ، فظلت جمعية تربوية دينية أشبه بالشبان المسلمين وجماعة الشباب المسلم وبأنصار السنة المحمدية وبالجمعيـة الشرعية وبجماعات الهداية والرشاد فى حين ركزت الجماعات الاسلامية الحالية على فريضة الجهـاد ، تلك الفريضة الغائبة لدى « جماعة الجهـاد »(١٠) •

---

(١٠) جاء فى التحقيقات الاحالة المستمرة الى ظروف الاخوان المسلمين ابان الثوره ، وأن الجماعات الاسلامية الحالية هى رد فعل عليها . فينقد محمد عبد السلام فرج ، فقيه جماعة الجهاد ، أعضاء الجماعة الذين ما زالوا يميلون الى فكر الاخوان دون الارتفاع الى مستوى فكر الجهاد . كما يذكر محمد طارق ابراهيم احد المتهمين أنهم يرفضون أن يقبض عليهم كما قبض على الاخوان من قبل دون مقاومة . كما أن الجماعة الاسلامية بأسيوط كانت تعقد ندوات ومؤتمرات واجتماعات للرد على جماعة التكفير والهجرة وعلى الاخوان المسلمين فى آن واحد ، التحقيقات ص ٣٤٩ ، ٣٨٠ • ولم يتوقف التعذيب حتى الآن اذ تكشف التحقيقات عن الضرب والتعذيب للمتهمين محمد طارق ، محمد عبد السلام فرج ، علاء الدين ، صفوت الاشوح ، حسنى عباس ، صالح جاهين ، اسامة محمد وغيرهم ، التحقيقات ص ١٦٤ ، ١٧٤ ، ٣١٥ •

ثم حدثت هزيمة يونيو ١٩٦٧ التى كانت نقطة تحول أخرى نحـو الاصولية الاسلامية من جانب القيادة السياسية والجماعات الاسلامية على حد سواء(١١) • وبالرغم من أن الهزيمة كان لها أسبابها المادية ، العسكرية والسياسية والاجتماعية الا أن القيادة السياسية أرادت رفع الروح المعنوية للبلاد ، للجيش وللشعب على السواء كنوع من التوجيه المعنوى لاعـادة بناء الروح الوطنيـة من أجل الصمود واستئناف القتال • فقامت أجهزة الاعلام التى تسيطر عليها الدولة آنذاك بحملة دعائية مستعملة الدين لتبرير الهزيمة ولشحذ النصر مما قوى العاطفة الدينية عند الجماهير فوجدت فيها الجماعات الاسلامية التربة الصالحة للانتشار • فالهزيمة قدر من الله لانه « لا يغنى حذر من قدر » ، ولا محيص عن قدر الله • وبالتالى غابت مفاهيم الحـرية والمسؤولية والمبادرة باستثناء شجاعة أدبية من القيادة السياسية امـا بالتنازل والاستقالة أو بتحمل المسؤولية الكاملة عما حدث للبلاد • كما ان الرضا بقضاء الله هو الموقف الوحيد الممكن حتى لا يثور الشعب ويغضب ويطالب برد الكرامة له ، وان الاستسلام للقضاء خير من الاستسلام للعدو • وبالتالى يمكن التغلب على روح الهزيمة لدى الجيش والشعب على السواء • وان الموقف الذى يفوت على العدو تحقيق ارادته بعد نصره هو الصبر والايمان • فانتشرت هذه المفاهيم فى خطب القيادة السياسية وفى أجهزة الاعلام ، وهى نفس القيم التى عاودت القيـادة السياسية فى السبعينات استعمالها لايقاف عملية التغيير الاجتماعى فى مواجهة المعارضة السياسية التى تطالب بالمحافظة على مكتسبات الثورة وأيديولوجيتها الممثلة فى الناصرية • انتشرت هذه المفاهيم بتوجيه من

---

(١١) وضعت الجريدة عنوانا فرعيا أول هذه الفقرة وهـو : الهزيمة والروح الدينية .

القيادة السياسية يقابله اتجاه شعبى طبيعى يظهر باستمرار فى أوقات الهزيمة كوسيلة سريعة لرفع الروح المعنوية • ولكن القيادة السياسية كانت تستعد فى نفس الوقت للقتال ، وتعيد بناء الجيش ، وتصفى الطبقة الجديدة ، وتعيد بناء المجتمع ، وتجدد شباب الثورة بعد محاولة النقد الذاتى وكما هو واضح فى بيان « ٣٠ مارس » ١٩٦٨ • أما الاتجاه الطبيعى الشعبى فقد بدأ بظهور حركات الدعوة الى العودة الى الدين • فكما انتصرت اسرائيل متمسكة بدينها فكذلك انهزمنا لبعدنا عن الدين • وظهر الحجاب ، واطالة اللحى ، وبناء المساجد ، وانارة المآذن ، والدعوة الى الآذان فى مكبرات الصوت ، وتقطع البرامج فى الاذاعة والتليفزيون لآذان الصلاة ، وتخصص صفحات يوم الجمعة فى الصحف للفكر الدينى ، وتكثر الاحتفالات الدينية والموالد ، وتطبع المصاحف بالآلاف ، ويتم التبادل بها كهدايا منمقة بالصوف والقطيفة الحمراء ، وتوضع فى العربات وعلى النوافذ وعلى المكاتب دون أن تقرأ أو أن تستعمل ، وتزدهر تجارة المصاحف ، والكتب الدينية ، وتنتشر كتب التصوف ، وتنشر كتب التراث ، وتظهر دعوات العودة الى التراث ، ومعارك التراث ، وتجديد الفكر العربى ، وتحديث العقل العربى ، وتطبع « الله » ، « محمد » ، « الله أكبر » ، « لا اله الا الله » على قطع من البلاستك لتزان بها العربات ، وتظهر دعوات تطبيق الشريعة الاسلامية ، وكل المظاهر التى أصبحت سلوكا عاما لدى الجماعات الاسلامية والتى بدأت السلطة السياسية فيها بعد معارضتها لحلولها المضاد ووظيفتها فى المعارضة السياسية • وهى المظاهر التى لاحظتها أجهزة الاعلام الغربية والتى من أجلها بدأ الحديث عن الاحياء الاسلامى قبل اندلاع الثورة الاسلامية فى ايران بعشر سنوات تقريبا •

كما استغلت « الاصولية الاسلامية » الهزيمة لحسابها الخاص ، فقد اعتبرت الهزيمة انتقاما الهيا مما حدث لجماعة الاخوان وتعذيبهم فى السجون ، وان كل من يفترى على الله ، ويحارب جند الله فانه هالك لا محالة كما هلك فرعون من قبله • كمـــا ان بعـــد الدولة عن الايمان ، وعدم تطبيقها الشرع الالهى كان هو السبب الاول للهزيمة • ولو ان الدولة طبقت الشريعة الاسلامية ، وأقامت حدود الله ، وبنت المجتمع الاسلامى ، وأعدت الناس للجهاد لما وقعت الهزيمة • كما ان ضعف الدولة ، وجرح القيادة السياسية كان ظرفا مواتيا لاعادة تنظيم صفوف الاخوان ، ليس فقط للقيادات القديمة التاريخية بل للشباب الجدد ، صغار السن الذين يغلبون على الجماعات الاسلامية الحالية • فالدعوة الاسلامية تيار شعبى عام فى التراث القومى وفى وجدان الامة تفرخ باستمرار أعضاء جددا للدعوة دون ما حاجة الى تنظيم أو الى جهود الاعضاء القدماء • وقد أدى ذلك الى استعجاب أجهزة الامن من أن الاعضاء المقبوض عليهم ليسوا فى الكشوف السابقة • وان معظم الاسماء فى الكشوف القديمة اما توفاهم الله أو هاجروا أو اشتغلوا بالتجارة يجمعون المال أو باقون دون أى نشاط ، ومع ذلك يقبض عليهم لان أسماءهم مازالت فى السجل المحفوظ لم يمحها أحد بعد من ام الكتاب ! وقد أدركت القيادة السياسية أهمية ظرف الهزيمة كظرف موات لعودة نشاط الجماعة ، فتم القبض على بعض الاخوان فى الداخل وفلول الجيش راجعة من سيناء سيرا على الاقدام الى الوادى • فقد يستغل الاخوان الفرصة ويطيحون بنظام الحكم مما قوى الاحساس لدى الجماعة بأنها مازالت تمثـــل البديل المطروح للنظـــام السياسى القـــائم •

ظل الاخوان اذن طول عمر الثورة بعيدين عنها فى السجون ٠ وتم بناء مصر ، وأضخم مشروع قومى منذ محمد على وهم بعيدون عنها مع انهم كانوا من دعاته وممن شاركوا فى صياغاته قبل الثورة ٠ لم يشـــاهد الاخوان ، وهم أحرار تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦ وهم الذين حاربوا فى ١٩٥١ لتحريرها ٠ ولم يدافعوا عن البلاد ضد الاعتداء الثلاثى فى ١٩٥٦ وهم الذين طالما قاوموا الاستعمار والاحتلال ٠ ولم يشاهدوا أول تجربة وحدوية فى التاريخ الحديث بين مصر وسوريا ١٩٥٨ — ١٩٦١ وهم دعاة الوحدة الشاملة لاطراف الامة مع قلبها٠ولم يشاهدوا بناء مصر الاشتراكى ١٩٦١ — ١٩٦٤ وهم من أوائل الداعين للعدالة الاجتماعية والاشتراكية ٠ ولم يشاهدوا معـــارك مصر ضد الحـــلف الاسلامى فى ١٩٦٥ وكانوا المدافعين عن استقلال المنطقة ضد الاحلاف العسكرية وارتباط مصر بالمغرب اثر عقد معاهدة الجـــلاء فى مارس ١٩٥٤ ٠ ولم يشاركوا فى الدفاع عن مصر فى ١٩٦٧ ضد اسرائيل وهم الذين حاربوا فى فلسطين فى ١٩٤٨ لتحرير الارض المغتصبة ، تم كل ذلك وهم فى السجون ، يعذبون الى الموت ٠ فكان من الطبيعى أن ينشأ بينهم وبين الدولة ثأر لا يمحوه الا الدم ، وهو ما حدث فى انفجار اكتوبر ١٩٨١ ٠

٥ ــ اتفاق المصـــالح بين الاخوان والثورة المضـــادة « ١٩٧١ ــ ١٩٧٧ » (١٢) •

وباختفاء القيادة الثورية فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ حدث تحول كيفى وكمى فى الحركة الاسلامية نظرا للظروف الاجتمـاعية والسياسية الجـديدة • فقد كان بديهيا أن صراعا على السـلطة سيحدث بين الاستمرارية الثورية الناصرية ، وبين الطبقات الجديدة التى ظهرت

---

(١٢) جريدة « الوطن » ، الخميس ٢٥ نوفمبر ١٩٨٢

ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضوء قضية السادات (٥)
- وكانت النكسة نقطة تحول .
- أضخم مشروع قومى فى مصر ... تم والاخوان فى المعتقلات .
- كان السادات بحاجة الى شرعية ... فلجأ الى التيار الدينى .
- وصدرت هذه الحلقة الخامسة بالآتى :

ما زال الدكتور حسن حنفى يواصل بحث العلاقة بين ثورة يوليـو والتيار الاسلامى ... تحدث عن الوفاق بين الثورة والاخـوان .. ثم الصدام بين الثورة والاخوان وكيف أصبح كتاب سيد قطب « معالم فى الطريق » رد الفعل الممكن والحاد .

اليوم يواصل قراءته لاحداث مصر والحركة الاسلامية منذ نكسة مصر ١٩٦٧ ، ونكستها فى السبعينات على يد القيادة الجديدة ، السادات .

ووضعت صورة السادات وتحتها : أنور السادات : لجأ للتيار الدينى بحثا عن رصيد ، وصورة محمد عبد السلام فرج وتحتها : محمد عبد السلام ينتقد فكر الاخوان .

وأعلنت فى نهاية الحلقة : غدا ، يواصل د. حسن حنفى دراسته ، ويجيب على السؤال الهام : كيف استخدم السادات التيار الدينى لمواجهة التيار الناصرى وتشويه ثورة يوليو ؟

ابان الثورة والتى أثرت من خلال القطاع العام وأجهزة الدولة ومميزات الحزب ، طبقة التكنوقراط ، وكبار ضباط الجيش التى حاول بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ تصفيتها ولم يستطع والتى كان مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية والدراسات التى قدمها وفد الطلبة الدارسين فى فرنسا فى صيف ١٩٦٦ أول من نبه على وجودها وعلى مخاطرها قبل الهزيمة بعـام واحد • صحيح انه كان فى نية القيادة الثورية تأميم قطاع المقاولات وتجارة الجملة عندما بدأت الرأسمالية الوطنية ، احدى قوى تحالف الشعب العامل ، تظهر كرأسمالية مستغلة ، ولكن اختفت القيادة الثورية قبل أن تحقق غرضها •

ثم انتهى الصراع الخفى بين « اليمين الناصرى » و « اليسار الناصرى »، بعد ثمانية أشهر فى مايو ١٩٧١ الى تصفية علنية للناصرية أو من يمثلها عن حق أو عن باطل • وبدأت عملية انكشاف تدريجى للارتداد عن الناصرية والعودة الى مصر فى نطاق مناطق النفوذ وأحلاف الغرب مرتبطة برأس المال الغربى ، والتخلى عن تجربتها الاشتراكية ، واستقلالها الوطنى ، وعن ريادتها لحركة عدم الانحياز ، وقيادتهـا لحركة القومية العربية • بدأت عملية الارتداد شيئا فشيئا بعد الحديث عن الثورة المصرية وكأنها فى ذمة التاريخ ، وكأنها أصبحت تاريخـا ماضيا لا حاضرا واقعا ، وبعـد القضاء على الاتحاد الاشتراكى ، وبداية تشجيع القطاع الخاص ، والحديث عن عيوب القطاع العام ثم الاعلان عن سياسة الانفتاح الاقتصادى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم الاعـلان فى ١٩٧٥ عن أيديولوجية مايـو الجـديد « الاشـتراكية الديمقراطية » • واستمر الامر كذلك حتى يناير ١٩٧٧ والاحساس بأن الناصرية وما تمثله من دفاع عن حقوق الفقراء ورعاية لمصالحهم

مازالت هى الخطر الاكبر ، وبالتالى الاسراع فى التوجه الى التدعيم الخارجى للنظام ، أمريكا واسرائيل ، وتحويل الانظار عن المشـــاكل الداخلية الى المشاكل الخارجية حتى مبادرة السلام فى نوفمبر ١٩٧٧ وعقد معاهدة الصلح مع اسرائيل فى ١٩٧٨ واستسلام النظام •

هذه الظـــروف السياسية الجديدة أدت الى تنشيط الحركـــة الاسلامية • فقد كانت القيادة السياسية الجديدة فى حاجة الى شرعية ما • اذ أنها أتت بعد انقلاب ١٥ مايو ١٩٧١ • ولم يكن رصيدها فى النضال الوطنى ضخما ابان الثورة المصرية وهى فى أوج انتصاراتها سواء فى تأميم القناة ورد الاعتداء الثلاثى على مصر فى ١٩٥٦ أو فى الوحدة مع سوريا فى ١٩٥٨ أو فى بناء مصر الاشتراكى فى ١٩٦١ — ١٩٦٤ أو فى الدفاع عن استقلال المنطقة ضد الحلف الاسلامى فى ١٩٦٥ • بل على العكس كانت هناك ظلال عليها منذ ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عندما ذهب الى السينما وافتعل مشاجرة وسجلها فى محضر الشرطة حتى اذا ما فشلت الثورة وقبض على زعمائها لثبت رسميا انه كان فى السينما • ولو نجحت الثورة لانضم اليهم •• ولما أتى حول مبنى القيادة ليلتها ليستطلع الخبر منعه الجنود من الاقتراب بالرغم من اخبارهم بأنه معهم ، لولا تدخل عبد الحكيم عامر والتعرف عليـــه • كانت مهمته باعتباره ضابط سلاح اشارة قطع التلفونات عن مبنى القيادة ، وهو ما تم بدونه ، هذا الاحساس بأنه كان باستمرار هامشيا ، نكرة ، لا وزن لها فى حركة الضباط الاحرار قبل الثورة أو ليلتها أو بعدها هـــو الذى جعله يصر على قلب الحقائق وتزييف التـــاريخ ، والبحث له عن دور قيادى يعطيه شرعية الحكم خاصة وان صـــورة عبد الناصر وذكراه مازالت حية فى وجدان الناس ، وانجازاته مازالت

قائمة يعيش الناس بينها ، فكان دائم الاصرار على انه أعلن عن الثورة بصوته أى أنه كان من زعمائها وليس فقط مذيعها ، وانه هو الذى كون الضباط الاحرار وان عبد الناصر كان أحد أتباعه ! ! وانه كان منزها عن الاطماع وزاهدا فى المناصب السياسية لذلك لم يختلف مع عبد الناصر كما اختلف رفاقه معه ، وانه كان رفيق عبد الناصر وصديقه، خليله ووصيه ، يلجأ اليه فى الملمات •• وان أولاد عبد الناصر أولاده ، وانه المدافع عن شرف عبد الناصر وذمته ضد من يلبسون قميصه ؟ ! كان بذلك كله يريد أن يغير صورته فى ذهن الناس ، وما عرف عنه من أنه لم يتقلد أى منصب قيادى فى الثورة بل كان باستمرار على هامشها، وانه لهذا السبب وحده قد تم تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية ، لانــه نكرة ، يعيش دائما فى الظل ، تابعا لسيد ، مقودا لا قائدا •• وقــد أشيع حول سلوكه الشخصى الكثير ، منها رغبته فى الاستيلاء على فيلا وشكوى صاحبها ، وغضب عبد الناصر عليه عدة أشهر • كما عرف عنه انه كان من ضباط الحرس الحديدى ، من أعوان الملك ، وبانه رجــع الى الجيش عن طريق وصيفة الملك « ناهد رشاد » • لذلك أوقف سلسلة أحمد حمروش فى روز اليوسف عن تاريخ الضباط الاحرار والثــورة المصرية بعد يناير ١٩٧٧ • وعرف عنه انه ارهابى فى مقتل أمين عثمان وانه نازى معجب بالنازية فى لباس ضباطها الذى اختاره زيا رسميا للقوات المسلحة منذ عامين ، وبتعاونه مع الالمان أثناء الحرب • كل ذلك أعطاه احساسا دفينا باللاشرعية ، وبانه أتى فى قمة الســلطة السياسية خلفا لزعيم شعبى ، ودون أن يكون له رصــيد تاريخى أو نضال وطنى أو سلوك نزيه أو صورة كريمة مثل سلفه ، وقــد جعله هــذا الوضع طيلة عشر سنوات فى أقواله وأفعاله وسلوكه يحــاول ملء هذا الفراغ الشرعى اما بالقضاء على عبد الناصر أو باحلال صورته

محله من خلال أجهزة الدعاية والاعلام وخلق أسطورة جديدة • وكان من وسائل اضفاء الشرعية عليه ابراز عيوب الناصرية والاستفادة من أخطائها لما كان من "الصعب النيل من انجازاتها ، وعلى رأس الاخطاء قضايا الحرية والديمقراطية فجعل مراكز القوى مسؤولة عن التعذيب والسجون والمعتقلات ، وحرق شرائط التصنت فى فناء وزارة الداخلية ، وأغلق السجون والمعتقلات وهدم بيده طوبة من حائط ليمان طرة أمام أجهزة الاعلام ، ورفع شعار سيادة القانون ، والشرعية الدستورية فى مواجهة الشرعية الثورية ، وأتى على حصان الديمقراطية حتى يكسب الشرعية •

وحتى يعطى الدليل العملى على ذلك أفرج عن الاخوان المسلمين من السجون والمعتقلات ، ليس حبا فى الحرية أو ايمانا ببراءتهم فقد كان من المصدقين على أحكام الاعدام ومن المشاركين فى محاكم الثورة ، وجزءا من النظام الذى أدانهم بل لاستعمالهم ضد عبد الناصر وتراثه ، وللايحاء لهم بانه رسول الحرية أتى اليهم ليخلصهم من براثن عبد الناصر الذى كان يحكم بالحديد والنار من خلال أجهزة القمع ، بالظلم والعدوان • أراد الاستفادة من عداوة الاخوان لعبد الناصر لحسابه الخاص ، والاستعانة بجميع أعداء عبد الناصر لتدعيم النظام الجديد ، وبالتالى يظلون أوفياء له ، يلهجون بحمده وثنائه كما فعل عمر التلمسانى بعد يناير ١٩٧٧ بثنائه رسميا فى أجهزة الاعلام وبأنه هو الذى أخرجهم من المعتقلات والسجون قبل أن يحدث تعارض فى المصالح بين الجماعة الاسلامية وبين الثورة المضادة وشكواه الى الله أيضا فى أجهزة الاعلام

ورفض سحب شكواه !(١٣)

أخرجهم وهو يعلم انهم ليسوا خطرا عليه نظـرا لعدائهم لعبد الناصر ، ونظرا لتخلفهم الفكرى أو عدائهم للاشتراكية وللقومية العربية وللاتحاد السوفيتى ، وموالاتهم التقليدية للغـرب ، ولحرصهم على الاسلام الشعائرى المظهر ، وكل ذلك قاسم مشترك بينهم وبينه • خرج الاخوان من السجون وهم شاكرون الحمد • ينشطون من جديد ولو ان سيف اللاشرعية مازال مسلطا على الرقاب ، وقرار الحل مازال قائما ، ومصادرة الاملاك مازال موجودا • ولم تفلح قضايا الاخوان أمام المحاكم فى الطعن فى قرار الحل أو لاسترداد الاموال المصادرة والمركز العام الذى اشتراه الاخوان من أموالهم الخاصـــة وبحلى نسائهم ، تخوفا من المستقبل ولئلا يفلت الزمام ، ويخرجون عن الاطار المرسوم لها • كان الهدف من الافراج عنهم هـــو العداء للناصرية ، وتأييده ومساندته • وذاعت قضايا التحقيق فى التعذيب لتشويه النظام السابق عليه ولاعطاء النور الاخضر للاخوان للهجوم عليه ، واظهار الاخوان على انهم الضحية ، فيتعاطف الناس معهم من جديد ، ونشرت عشرات الكتب عن تعذيب الاخوان فى المعتقلات وأهوال السجون • فى ذلك الوقت لم تستعمل القيادة السياسية الجديدة الاسلام نظرا لانها وجدت من يستعمله نيابة عنها وهم الاخوان •

استفادت الحركة الاسلامية من حرب أكتوبر ١٩٧٣ باطـلاق

---

(١٣) وضعت الجريدة عنوانا فرعيا أول هذه الفقرة وهو : الافراج عن الاخوان •

العواطف الدينية • فأصوات الجنود العابرين القنـاة التى ارتفعت بصيحة الاسلام « الله أكبر » تبين ان العاطفة الدينية خير حامل لدوافع التحرر والمقاومة ، فالنصر من عند الله بايمان الجنود وقوة العقيدة • وظهر كثير من الكتابات الدينية وخطب المساجد تبين التأييد المـادى من عند الله من خلال الملائكة التى عبرت القناة ، والطير الابابيل التى كانت ترميهم بحجارة من سجيل ، والملائكة المسومة التى كانت تقاتل مع الجنود والاولياء ذوى العمامات الخضراء ، والسراويل البيضاء ، والنبى مجردا سيفه البنار ، وشن الهجوم على كل من حاول بيان خطورة مثل هذه الاساطير وهضم حق المقاتلين والثوار ، وانكار التخطيط الدقيق والاعداد العلمى لها •• وأصبح ذلك كله وسيلة للقيادة السياسية والحركة الاسلامية معا لاثبات ان البعد عن الله كان سبب هزيمة ١٩٦٧ وان العودة الى الله كانت سبب نصر ١٩٧٣ • كان اضطهاد الاخوان فى الستينات سبب الهزيمة والافراج عنهم فى السبعينات سبب النصر(١٤)!

---

(١٤) جريدة « الوطن » ، السبت ٢٧ نوفمبر ١٩٨٢
ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

● الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضوء قضية السادات (٦) .

● السلطة استعملت الدين للمزايدة على الجماعات الاسلامية ، وعزل خصومها السياسيين ، والحصول على مزيد من الشرعية .

وصدرت هذه الحلقة السادسة بالآتى :

يتابع الدكتور حسن حنفى فى هذه الحلقة من الدراسة عرض ورصد تطور العلاقة بين الجماعات الاسلامية والسـلطة السياسية فى مصر بعد سلسلة التنازلات التى قدمتها السلطة على صعيد القضية الوطنية ، وبعد أن ادت الجماعة الاسلامية الدور الذى رسمته لها السلطة ، وانتقال تلك =

وبعد انتهاء الحرب ، وبداية سلسلة من التنازلات ، والشكوك حول نوايا القيادة السياسية ذاتها ، واعادة النظر فى مجرى الحرب ، والتساؤلات عن السبب فى عدم أخذ المضايق ، والاستمرار فى التقدم ، والانتهاء الى أن المقصود من الحرب ربما لم يكن تحرير الارض بل تحريك القضية بناء على نصيحة كيسنجر لحافظ اسماعيل ، مستشار الامن القومى فى ذلك الوقت ، بان العالم لن يلتفت الينا ان لم نفعل شيئا ، فالعالم لا يلتفت الى المهـزوم ، وبعد اتفاقيات الفصـل بين القوات ، الاولى والثانية ، والاعلان عن سياسة الانفتاح الاقتصادى، وورقة أكتوبر ، والاشتراكية الديمقراطية بدأ النظام يكشف وجهـه سافرا مما دفع آخر أجيال الناصريين فى الجامعة والتى كانت وراء مظاهرات ١٩٧٢ — ومنذ ١٩٦٨ — الى التحرك . فكان « نادى الفكر الناصرى » فى الجامعة ، والاسر الطلابية التقدمية مثل أسرة مصر ، والوطن ، محور اتحادات الطلاب . والتف الطلاب حولها . وبدأت الناصرية كحركة معارضة للنظام فى أوساط الطلاب وداخل الحـرم الجامعى . ولما بدا خطرها على النظام ، ونشاطها يدخل الساحة واتضح جذبها لطلاب جدد قررت القيادة السياسية استعمال الجماعات الدينية التى بدأت تظهر فى الجامعات بعد حرب ١٩٧٣ وبعد الافـراج عن

الجماعات الى موقع تحدى السلطة ، كما يلقى الباحث الضوء على استخدام السلطة للدين الاسلامى لتحقيق أهداف ذاتية ، ويركز على المضـمون الاجتماعى لانتفاضة ١٨ ، ١٩ يناير التى أشعلتها جماهير الشارع المصرى ، وكانت نقطة تحول توجهت السلطة على أثرها لتوجيه ضربتها للقـوى الوطنيـة .

ووضعت أسفلها فى برواز هتافات يناير .

وأعلنت فى نهاية الحلقة : يتبع غدا .

الاخوان فى ١٩٧١ لدرء المخاطر الناصرية المسيطرة على الجامعة وتصفيتها خاصة وان الجماعات الاسلامية كانت مدينة للسلطة السياسيه آنذاك بالحرية بعد الافراج عن الاخوان •

فتم حل اتحاد الطلاب المستقل ، والغى نظام الاسر ونشاط الجمعيات ، وحرم النشاط السياسى ، وزادت أجهزة الامن فى الجامعة : واشتدت الرقابة على الطلبة والاساتذة على السواء ، وظهرت الجماعة الاسلامية كنشاط وحيد مسموح به يقوم بدور الدعوة الاسلامية من خلال معارض الكتب ، وتسهيل الحصول على الزى الاسلامى ، والمطالبة بحجرة مستقلة للطالبات ، وبمصلى ، وبمسجد ، وبتسهيل العمرة ، وطبع المذكرات الجامعية ، والتمسك بالمظاهر كاللحية والجلباب • وزادت قوة الجماعة الاسلامية فى الجامعة ربما لا لسبب ذاتى خاص بها بل لانها النشاط الوحيد المسموح به • فلم يجد الطلاب أمامهم الا الانخراط فى الجماعة لعدم وجود بديل عنها للاختيار بينها وبين غيرها اذا ما أراد الانضمام الى جماعة علنية شرعية يظهر فيها ولاءه الدينى لما أصبح الولاء الوطنى موضع شبهة ولا سبيل الى اظهاره الا فى الجماعات السرية • واحساس الجماعة الاسلامية أنها أتت بتأييد من السلطة أعطاها ثقة بنفسها وبحرية نشاطها وبأنها تأمر فتطاع ، مادام السلطان معها • فتطاولت على الاساتذة والعمداء ورؤساء الجامعات ، وأصرت على تفريق الطلبة والطالبات فى المدرجات ، وعلى الخروج من المدرجات أثناء المحاضرات واحداث ضجة بالمقاعد لاداء الصلوات ، وعلى حق الآذان العلنى ، وعلى المناقشة داخل المدرجات لاظهار العضلات ، وتحويل المحاضرة الى مظاهرة دعائية ، وممارسة شتى أنواع الارهاب فى الحياة الجامعية ، ومنع الحفلات والرحلات ، والاحتفال بعيد الام

وشتى الاعياد « الوثنية » ، وملء جدران الجامعة باللافتات الاسلامية، وبمجلات الحائط الخالية من أى وعى سياسى أو وطنى ، وقامت بالدور المرسوم لها ، التصفية الفعلية والاستبعاد الجسدى لباقى أعضاء الاسر الوطنية والجماعات الناصرية ، واستعمال مطاوى قرن الغزال والعصى حتى تحولت الى مجموعة من العصابات داخل الجامعة تمارس الارهاب بتأييد من السلطة • ثم انتقل النشاط الى المدن الجامعية ، اكبر تجمع للطلاب خارج المدرجات ، وأصبح فيها أكبر تكتلات للجماعة الاسلامية • وتحولت الى مراكز قوى ، تطالب بالتدخل فى سياسة قبول الطلاب فى المدن الجامعية ، واعداد قوائم الطعام ، وطرق الاقامة . وأساليب المعيشة كنوع من اظهار القوة ، وكمحاولة للسيطرة على شتى مظاهر النشاط فى الحياة الجامعية داخل قاعات الدرس وخارجها . واحتلت المدن الجامعية لمواصلة النشاط فى الصيف • ودعت لفيفا من المفكرين الاسلاميين من خارج الجامعة من الاخوان «عمر التلمسانى» ، « محمد الغزالى » أو من الشخصيات الاسلامية أعضاء مجلس الشعب « صلاح أبو اسماعيل » أو مشاهير الاعلاميين المشايخ « متولى شعراوى » للحديث داخل الجامعة ، باعتبار ذلك مظاهرة أخرى وبيعة للجماعة داخل الجامعة ، بالرغم مما كان يحدث فيها من صدام بين الجماعات أو بين الجماعة والقيادات التقليدية للاخوان • وتكونت جماعات للنشر داخل الجامعة أو داخل الكليات لنشر مؤلفات سيد قطب ، وفصول من « معالم فى الطريق » حيث كان محرما قبل ذلك ، ورسائل حسن البنا ، وكتب التراث الفقهى وسائر الكتب الدينية • وزاد نشاط الجماعة وعدد أعضائها فى الكليات العملية أكثر منها فى الكليات النظرية تسمح بحوار أكثر وبعقلية أكثر انفتاحا ، وتصرف

الطاقة الروحية للشباب من خـلال الادب والفكر والنشـاط الذهنى والابداع فى حين تعزل النشاطات العلمية الجانب الوجدانى فى الانسان ويكون تصريفه الوحيد فى الجماعات الدينية . وأخيرا رفضت الجماعة الاسلامية الدخول فى أى حوار مع القـوى الوطنية مثل أسـبوع « الجامعة والمجتمع » الذى يعقد سنويا لخوف المتحدثين الاسلاميين من المشـاركة مع متحدثين علمانيين « حلمى مراد مثـلا » استئثارا بالنشاط . وخوفا من السلطة .

ثم بدأت الجماعة الاسلامية تمارس نشاطها خارج الجامعة . فبدأت مجلة « الدعوة » فى الظهور منذ ١٩٧٦ وهى مازالت تحت سيف القانون وخطـر المصادرة حتى لا تخرج الجماعة على الحـدود التى رسمتها لها السـلطة السياسية لاستغلالها لصالحها ضـد خصومها السياسيين ، وحتى تكون المجلة الوحيدة ذات الرأى المسموع فتخلق تيارا اسلاميا شعائريا عقائديا تقليديا معاديا للناصرية فى البلاد فتحمى النظام من مخاطرها . وظهرت مجلات أخرى مثل « الاعتصام » ، « المختار الاسلامى » لتوزيع الادوار ، وتمثيل جماعات اسلامية أخرى متنوعة ، تشـارك جميعها فى هدف مشترك واحد وتفسير دينى واحد . ونشطت الجماعات الاسلامية الخيرية التقليدية مثل الجمعية الشرعية ، وأنصار السنة المحمدية ، وجماعات الهداية ، والوعظ والارشاد ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . وأصبحت أرضية خصبة لانضمام أعضاء جدد للجماعة الاسلامية . وأنشأت عيادات طبية للتكافل الاجتماعى ، ومستوصفات ودور للعلاج ، وجمعيات تعاونية ودور للمناسبات لتجميع الناس والدعوة الى الانضمام للجماعة .

وبدأ أعضاء الجماعة فى التواجد فى أجهزة الدولة ، فى الوزارات

والمصالح الحكومية ، يظهرون قوتهم على الاقل فى صلاة العيدين فى ميدان عابدين ، والدعوة لها على نطاق الجمهورية ، لاظهار القـوة بمليون من المصلين أو مليونين فى ميدان عابدين . وكان أهم من ذلك كله استعمال المساجد الاهلية التى لا تخضع لاشراف وزارة الاوقاف خضوعا مباشرا للخطابة والدعوة لانضمام الاعضاء الجدد . وبدأت الدعوة تظهر فى صفوف الجيش . وبدأت تظهر مشاكل الزى الاسلامى داخل صفوف الجيش ، وجواز اطالة لحية الجندى . كما تعاونت الجماعة مع مرشحى الحكومة فى انتخابات ١٩٧٦ على اسقاط مرشحى اليسار فى كثير من الدوائر على أساس العداء للناصرية .

ثم بدأت الجماعة الاسلامية تعمل لحسابها الخاص بعد أن أدت دورها المرسوم لها ، وأرادت الخروج عليه ولعب دورها الخاص ، وبعد أن ظهرت كقوة داخل الجامعة وخارجها ، تعجز السلطة السياسية عن مواجهتها ، وتظل شاكرة لها الجميل الذى أدته لها . ظهرت كنظام مستقل عن توجيهات النظام السياسى وأجهزة الامن فى وزارة الداخلية. كما ظهرت آمرة ناهية قادرة على فرض رؤيتها الخاصة التى على الدولة الالتزام بها ، وتحول أعضاؤها الى خفر وشرطة فى الطرقات لتطبيق الشريعة الاسلامية « جماعة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر » وتحطيم محلات الراديو والتليفزيون ، وتهديد المواطنين ، وعقاب المفطرين فى رمضان ، وبدأت فى جمع الاسلحة ابتداء من مطواة « قرن الغزال » حتى المدفع الرشاش والقنابل اليدوية استعدادا ليوم الفصل ، وبدأت مطالبة أجهزة الدولة بتطبيق الشريعة الاسلامية . وبدأ أول انفجار سياسى لها فى حادثة الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ على أيدى جماعة صالح سرية وحزب التحرير الاسلامى ، ونشطت

جماعات أخرى فى الصعيد كانت تحت أعين أجهزة الامن ومن بينها جماعة التكفير والهجرة ، ثم حدث انفجار ثان فى حادث مقتل الشيخ الذهبى عام ١٩٧٦ ، وبدأ الخروج على النظام كاظهار للقوة واختبار للسلطة . واقامة دولة داخل الدولة ، وكونت جماعات التكفير والهجرة ، قوانينها الخاصة بالزواج والطلاق والعمل والاجر وشتى المعاملات .

ثم بدأ التوتر بين الجماعات الاسلامية والسلطة السياسية خاصة فى الصعيد فى « أسيوط » بسبب النشاط المتزايد للجماعة الاسلامية داخل الجامعة وخارجها . ففى الصعيد عدد كبير من المسيحيين مما يجعل الحمية الدينية متوقدة ، بالاضافة الى طباع الصعيد المعروفة مثل التعصب والتحزب والعنف فى حين انتشر الاخوان المسلمون فى الوجه البحرى . كما يعرف عن الصعيد بعده عن مظاهر الحياة المدنية وأساليب الحياة العصرية مما يساعد على نشأة التيارات الدينية المحافظة فيه . فكثرت حوادث الصدام بين الجماعة وأجهزة الامن ، وزاد مقدار التحدى فى وسط ملتهب من الحماس الدينى من كل الاطراف. واستطاعت الجماعة أن تقف راسخة فى حوار مع الرئيس علنا وعلى الهواء كما كان يفعل نادى الفكر الناصرى فى الجامعة منذ عدة سنوات ، ووصفوا حاشيته بأنها مجموعة من المنافقين المداحين ، مما أثار أعصاب الرئيس وجعله يفقد السيطرة على نفسه ، ويسرع بالدفاع عن رب العائلة المصرية وكبير العائلة . فاذا ما اعوزته الحجة العقلية لجأ الى حجة السلطان وكان ذلك فى ١٩٧٧ .

فلما ظهرت شدة الناصرية ، وانها مازالت فى قلوب الناس تحرك الجماهير . واتضح ذلك فى الانتفاضة الشعبية فى ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ ،

وظهر للسلطة السياسية أن الخطر الاكبـــر هو جماهير الناصرية من الفقراء والمحرومين الذين رفضوا زيادة الاسعار ، وهبوا ضد مظاهر الترف والبذخ والزيف الاعلامى والفساد فى البلاد ، وحطموا النوادى الليلية فى شارع الهرم التى لا يدخلها الا المترفون ، ودور الصحف التى تقوم بنشر الكذب والنفاق ، ومراكز الحزب الحاكم الذى لا يهتم الا بزيادة ثروة أعضائه ، ومراكز الشرطة التى تستخدم للقمع ، ووسائل المواصلات العامة ، رمز الحكومة ، وسبب البلاء اليومى للملايين • كان يناير بداية التحول فى السلطة السياسية من نسيان بدايات الصراع مع الجماعات الاسلامية التى توجيه الضربة الرئيسية الى الناصريين بما تضم هذه التسمية من اشتراكيين وتقدميين وقوميين وماركسيين • فقد كانت صورة عبد الناصر فى يناير تتحكم بالملايين فى الشوارع ، وكان ذلك كله اقتراعا عاما ضد سياسة الانفتاح ودفاعا عن مكتسبات الشعب وحقوق الملايين التى جسدتها الناصرية(١٥) •

---

(١٥) هتافات يناير

يمكن معرفة دوافع انتفاضة يناير بتحليل هتافاتها مثل :

- مش كفاية لبسنا الخيش ، جايين ياخدوا رغيف العيش .
- يا حكومة الوسط وهز الوسط ، كيلو اللحمة بقى بالقسط .
- يا حرامية الانفتاح ، الشعب جعان موش مرتاح .
- يشربوا ويسكى وياكلوا فراخ ، والشعب من الجوع أهو داخ .
- الصهيونى فوق ترابى ، والمباحث على بابى .
- يا أمريكا لمى فلوسك ، بكرة الشعب العربى يدوسك .
- احنا الطلبة مع العمال ، ضد تحالف رأس المال
  عبد الناصر ياما قال ، خلو بالكو من العمال .
- بالطول بالعرض ، حنجيب ممدوح الارض .

فبدأت الاجراءات الاستثنائية ضد الحريات ، وصدر قانون العيب وشكلت محكمة القيم ، وأجريت الاستفتاءات الشعبية حتى تستعيد السلطة السياسية شرعيتها • ولما كان الدين فى المجتمعات المتخلفة أنجع وسيلة يمكن استعمالها من جانب الحاكم دفاعا عن النظام القائم أو من جانب المحكومين من أجل تغيير النظام القائم فقد لجأت السلطة السياسية الى استعمال الدين لتحقق ثلاثة أهداف :

١ — المزايدة على الجماعات الاسلامية التى بدأ الصراع معها يبدو فى الافق ، وتأجيل هذا الصراع لحين الانتهاء من القضاء على الخطر الداهم الحالى ، جماهير الناصرية ، وتجاوزها واحتوائها باغراقها فى الدين ، والمفاهيم الدينية حتى يسلبها قوتها ، وينزع البساط من تحت أقدامها فيحتوى الجماعات الاسلامية ويتجاوزهم ، ويحتوى الجماهير ويضمن سكوتها ورضاءها •

=

- سيد مرعى يبقى مين ، يبقى حرامى الفلاحين .
- لم كلابك يا ممدوح ، دم اخوانا مش حيروح
- يا أهالينا يا أهالينا ، آدى مطالبنا وآدى أمانينا
  أول مطلب يا شباب ، حق تعدد الاحزاب
  ثانى مطلب يا جماهير ، حق النشر والتعبير
  ثالث مطلب يا أحرار ، ربط الأجر بالاسعار
- يا حاكمنا من عابدين ، باسم الحق وباسم الدين ، فين الحق وفين الـــدين ؟
- هوه بيلبس آخر موضة ، واحنا بنسكن عشرة فى أوضه .
- يا حاكمنا بالمباحث ، كل الشعب بظلمك حاسس .
- قولوا للنايم فى عابدين • العمال بيباتوا جعانين .

٢ ــ عزل الخصوم السياسيين عن الشعب وحصارهم وتشويه سمعتهم ، واتهامهم بالكفر والالحاد والمادية والعمالة والخيانة وخراب الذمة ، والتنبيه لخطورتهم على تكوين الرأى العــام وأثرهم على الشباب ، والتهديد بعزلهم عن مراكز اعداد الشباب ، وتوجيه الرأى العــام ، فمن لا ايمان له لا أمان له ، والتنديد بهم فى كل خطــاب سياسى وفى كل مناسبة ، وما أكثر المناسبات . بل تجاوز الامر الى السباب والقذف مما دعا البعض الى رفع الامر للقضاء بتهمة القذف العلنى .

٣ ــ الحصول على مزيد من الشرعية بعد انتفاضة يناير الشعبية أمام الجماهير التى خرجت عن بكرة أبيها من الاسكندرية الى أسوان ترفض نتائج الانفتاح . ولما كان الدين لدى الشعوب المتخلفة أحد مصادر الشرعية فقد لجأت القيادة السياسية اليه حتى يسهل الحصول على ولاء الشعب ولو وهما ، ايهاما للناس ، وخداعا للنفس .

بدأت القيادة السياسية فى انتقاء بعض القيم الدينية لتأييدها فى مواجهة المعارضة السياسية مثل الايمان ، والاصالة ، والصـــلابة . والصبر ، والمحبة ، والامل ، والتوفيق ، والهداية .. الخ ، فالايمان هو نقطة البداية فى حياة الانسان ، ومحور وجوده ، ومصدر قيمه . والايمان بهذا المعنى لدى الشعوب النامية التى لم تصل بعــد الى درجة كبيرة من الوعى السياسى يعنى القبول ، والطاعة ، والتسليم ، وعدم اعمال العقل الذى قد يؤدى الى الرفض والتحرر والثورة . فاذا ما تهيأ وعى الجماهير لمقولة الايمان ، وانطبع بمضمونه سهل قيادها وقبولها لكل ما تصدر السلطة السياسية من قرارات أى يتحول وعى

الجماهير الى حالة من السلبية والاستقبال دون أية ايجابية أو عطاء ٠ وحتى لا يكون الايمان قديما تقليديا اقترن به « العلم » ، وخرج شعار « العلم والايمان » ٠ فالايمان هو ما لدينا بالاصالة يجعلنا نرتبط بالقدماء ، وننحو بذهننا نحو الماضى بعيدا عن الحاضر ، والعلم مستورد فى صورة تكنولوجيا من الغرب ، وبالتالى يظل الانسان محافظا على تخلفه القديم دون تطوير مقولاته الذاتية ، ويستورد طبقة أخــرى من العلم الحديث من انجازات الغير ، فتنشأ التبعية ٠ ويكون النموذج المقترح : تقليد القدماء ، وتبعية الغرب ، فيزايد على الحركة السلفية التى تمثلها الجماعات الاســلامية ، ويحتوى المعارضة السياســية « الموالية للاتحاد السوفياتى » ! وفى أحسن الاحوال ، يكون النموذج اسلاما فوقه غرب كما هو الحال فى تركيا أو كاثوليكية فوقها ماركسية كما هو الحال فى بولندا ، وهو نموذج مخالف للتحديث والتطــور والابداع والتجارب المستقبلة ، ويعتمد على المحافظة الدينية من جانب وعلى التبعية والنقل من الغير من جانب آخر ٠

أما الاصالة فانها تعنى الذات فى مواجهة الغير ، والانا فى مواجهة الآخر ٠ ولكن ليس بدافع الابداع ورفض التبعية بل بدافع رفض أى تغيير فى الوضع القــائم ، ورفض نوع معين من الآخــر وليس الآخر فى ذاته أى رفض الاشتراكية باعتبارها تجربة الاخرين وليست تجربة الذات ، بما فى ذلك الاشتراكية العربية ، وهى التجربة الاصيلة فى ثورة يوليو ١٩٥٢ ، والتى كانت توصف فى السبعينات على أنهــا ماركسية مقنعة ٠٠ كان الهدف من الاصالة اذن هو حصار الاشتراكية واعتبارها تبعية للاتحاد السوفيتى ، والدفاع عن الوضع القائم باعتباره أصالة وتربة وطنية ووطنا ٠

أما الصلابة فانها تعنى القوة ، والقدرة على الصمود والهدف منها تثبيت الوضع القائم وترسيخه ، والوقوف ضد كل محاولات التغيير الاجتمـاعى واتهامها بانها فوضى ، وعنف ، ودموية ، وانحـراف ، وانقلابات ، وتصفيات ، ومؤامرات ، واغتيالات •

أما الصبر فانه يعنى القدرة على الانتظار ، وعدم التسرع فى فعل أى شىء ، وعدم المعارضة لاى شىء • المقصود منه الصبر على المكاره ، وهى الازمات الاقتصادية الطاحنة ، وتأجيل الصراع ، والقضاء على فورة الغضب فى قلوب الناس • ويكون البديل لهم هو « الامل » ، ويعنى عدم الحزن أو الضيق بالحاضر • فالمستقبل يحتوى امكانيات أفضل ، والمقصود منه خداع الذات ، والايهام بسراب ، وأن الحل قريب ، بعد زيارة نيكسون لمصر فى ١٩٧٣ ، وبعد حلول السلام ، فالسلام يجلب الرخاء ، وبعد ١٩٨٠ ، وبعد ١٩٨٢ ، بعد أن نخرج من عنق الزجاجة ، وبعد سنة ٢٠٠٠ • وها هو مؤتمر مصر سنة ٢٠٠٠ يحضر البشائر ! وفى مجتمع تكون فيه « الاخرويات » جزءا من تكوينـه الثقافى ، ما أسهل انقياده لفكرة الخلاص فى المستقبل •

أما المحبة ونزع الحقد فمهمتها تمييع الصراع الاجتماعى ، وتذويبه بالعواطف والوجدانيات ، وكأن الشر ناتج من النفس وليس من الوضع الاجتماعى ، وبالتالى تستسلم الجماهير ، ويعانق الفقـير الغنى ، ويقبل المحروم المترف ، ويحب الجائع المتخم ، وكانت المعركة الخلقية غطاء وستارا لاخفاء المعركة الاجتماعية •

أما الهداية أو التوفيق فيعنى ان كل شىء ايجـابى يحدث فى الواقع ، لم يحدث بناء على تخطيط مسبق أو خطوة مدروسة أو بجهد

العاملين بل أتى من الله . فالكشوف البترولية هبة من الله وليس بناء على جهود شركات التنقيب ، وزيادة دخل قناة السويس توفيق من الله وليس لعمليات توسيع مجرى القناة ، وزيادة المحصول الزراعى ليس نتيجة لاصلاح التربة وتحسين نظام الرى والصرف أو لنوع السماد بل رزق من الله وعطاء منه للمؤمنين : قيادة وشعبا حتى تظل الجماهير أسيرة المنح والعطايا التى تعطى لها فى الاعياد ، منة من الحاكم ، وبتوفيق من الله .

وبالاضافة الى هذا النوع الجديد من التربية الدينية التى تهدف الى القضاء على « الناصرية الشعبية » باستعمال الدين بدأت مظاهر العودة الى الاسلام تشتد من جديد فى الحياة العامة دفاعا عن النظام القائم كما كان الحال بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وكما فعلت الجماعة الاسلامية جذبا للانظار وتأجيلا للصراع بينها وبين النظام القائم فيما بعد ، فأنيرت المآذن والمساجد ، وأذيعت الصلوات فى أجهزة الاعلام ومكبرات الصوت على المآذن ، وبنيت المساجد ، وأقيمت الاحتفالات الشعبية بالموالد والمهرجانات الدينية ، وتبارى القادة السياسيون وأصحاب رؤوس الاموال والفنانون فى بناء المساجد لاطلاق أسمائهم عليها للدعاية الانتخابية أو لاعفاء عماراتهم من العوائد أو حبا فى الله الذى يتم اكتشافه من خلال الفن ! وتصدر كل ورقة رسمية بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » ، والتاريخ الهجرى ، ووضعهما على طبعات خطب الرئيس فى مصلحة الاستعلامات ، وتتكون لجنة مجلس الشعب لتطبيق الشريعة الاسلامية ، لم تفعل شىء حتى الآن . وينص الدستور على ان الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وعلى أن الدين الرسمى للدولة هو الاسلام . وتصاغ بعض قوانين الشريعة الاسلامية: ابتداء من قانون العقوبات ، وحد الردة ، وحد القذف ، وحد شارب

الخمر ، وحد قاطع الطريق ، وحد الافطار فى رمضان للردع والتخويف، موجهة ضد الخصوم السياسيين باعتبارهم شيوعيين ملحدين ، كافرين لا يصلون ، ويشربون الخمر ! وتوضع قوانين للعيب ، وتقام محكمة القيم دفاعا عن التقاليد ، وابقاء على الوضع القائم وردعا لاى نقد أو تغير اجتماعى . وظهرت فى أجهزة الاعلام شخصيات دينية مهمتها الهاب العواطف الدينية والهاء الجماهير بعيدا عن المعركة الاجتماعية ، وتبرير زيادة الاسعار فى يناير ١٩٧٧ التى كانت سبب الانتفاضة الشعبية بأنها الدواء المر الذى فيه شفاء الاقتصاد المصرى المريض (متولى الشعراوى) ، والاكثار من البرامج الدينية والابتهالات والموشحات والقراءات والدروس لبيان حكمة الله ، وصحة الدين فيغرق الناس فى الرضا والسرور (مصطفى محمود) . وتتحدث الصحف عن رزق الناس وقضاء الحاجة .

وقد رسم الرئيس الراحل لنفسه صورة من هذا النوع ، فأخذ لقب « الرئيس المؤمن » . وألح على أن يظهر « محمد » أنور السادات أسوة باسم النبى ، يظهر بجلباب أبيض ، وبيده مسبحة ، جالسا على أريكة ، قارئا القرآن أو متوشحا بحزام أخضر وبيده عصا ، مثل عصا موسى ، تفعل السحر ، وتأتى بالاعاجيب ، أو مصليا فى مسجد ، ويداه على صدره ، وعلى رأسه زبيبة ، يتمتم بشفتيه ، ويغلق عينيه ، ويحرك رمشيه ، ويطأطىء رأسه من حدة التقوى ، وفرط الايمان ! يعتكف فى الاواخر من رمضان فى سيناء للتعبد وللتهجد والابتهال ، يدعو الى بناء مجمع للاديان فى سيناء للتآخى والمحبة وتناسى الصراع بين الشعوب ، بين العرب واسرائيل ، بين الشعوب والاستعمار .. يفتتح خطبه « باسم الله » ، وينهيها بآيات قرآنية أو أدعية صوفية توحى فى ظاهرها بالتواضع وطلب المغفرة والرحمة من الخطأ والنسيان ، وتطلب

الهداية والعون مما يكشف عن اقتناع مسبق . وتصلب فى الرأى . وغرور جنونى ، أخذ لقب « كبير العائلة » الذى يجلب له الاحترام ، والطاعة لاوامره ؛ واعتناق أفكاره ، والامتناع عن مناقشتها ، فعلاقة الاب بالابناء علاقة أحادية الطرف . الآباء يأمرون والابناء يطيعون ، وبالتالى تغيب المراجعة ، ويختفى النقد ، ويتوقف النصح والارشاد ، ويخشى الجميع سلطة الاب الذى يطلق عليهم « أولادى » ، « أبنائى » ا « ابنى » ، « بنتى » ! ووضع مجموعة من القيم أسماها « أخلاق القرية » التى تفرض احترام الاب ، والالتزام بالتقاليد ، ورفض الخروج والتمرد والعصيان . وأفضل فيلم لديه « وبالوالدين احسانا » الذى يعود فيه الشاب العاق تائبا يقبل يدى والديه ، جاثيا على ركبتيه. طالبا التوبة والمغفرة ! وهو زعيم ملهم تأتيه الافكار وهو فوق السحاب، فوق قمم الجبال ، لا يسمح لنصيحة الموتى أو الاحياء ، لا يقرأ ولا يدرس ، لا يتقصى ولا يستشير ، لا يحصى ولا يعد ، لا يجمع ولا يحلل ، بل ينتظر الالهام وينتظر أن تأتيه فكرة ، فينفذها أمام دهشة العالم أجمع من أسلوب الصدمات الكهربائية التى راح ضحيتها فى النهاية ! وهو قادر على رؤية المستقبل ، ويكشف عنه الحجاب ، فقد كان لديه هاجس الموت قبل اغتياله بشهر ، ، وكان قلبه صافيا يعكس حوادث الزمان وغوائل الايام . كان رئيسا للمؤتمر الاسلامى فى بداية الثورة ، يوطد أواصر الصلة والمحبة بين المسلمين كما يعقد الصفقات التجارية مع خليفته (توفيق عويضة) . وعجز القضاء عن أن ينال منه . وكاد يصبح « خامس الخلفاء الراشدين » بعد أن تكونت لجنة خاصة فى مجلس الشعب لذلك الغرض ومنحه اللقب !

وهنا يظهر ما يسمى بأثر الاسلام الشعائرى الخارجى المظهرى الذى يهدف الى غير المقصود منه . اذ يتحول الاسلام الى مجرد

مظاهر وشعائر ورسوم دون أى مضمون اجتماعى سياسى ، وتطغى فيه العبادات على المعاملات ، والاخلاق الفردية على النظم الاجتماعية. ويتم اختيار نسق معين من القيم تساعد على المحافظة على الوضع القائم ، وتكفر كل محاولة لتغييره باعتبارها كفرا والحادا • كما يتم استخدام هذا الجانب لاضفاء صفة الشرعية على السلطة السياسية ، وافراز قيم الطاعة لأولى الامر والحكام ، ماداموا يطبقون الشريعة ويؤدون العبادات ويقيمون شعائر الله ! ويستعمل قانون العقوبات فى الاسلام للارهاب ، وقطع يد السارق من الشعب ، وليس من الحكام ، فى سرقة دراهم معدودات وليس لنهب الثروات من باطن الارض • كما يستخدم الاسلام لمحاربة الاشتراكية والشيوعية والماركسية والنظريات الهدامة والملحدة التى تهدد الايمان والعقيدة • والحقيقة هى محاربة هذه النظريات التى تمثل خطرا على النظام الاجتماعى والسياسى القائم باسم الدين • لذلك قامت المملكة العربية السعودية بتأييد « الاخوان المسلمين » فى مصر ، وما تولد من التنظيم الام أى «الجماعة الاسلامية » ، تأييدا ماديا ومعنويا ، والمساهمة فى نفقات الدعوة وتوزيعها • كما تم استعمال محور « السعودية — مصر » قبل مبادرة السلام ، هذا المحور القائم على الايمان والاسلام فى مواجهة النظم العربية التقدمية والتى مازالت تمثل الناصرية بحسناتها ومساوئها ، والعودة الى أفكار الحلف الاسلامى فى ١٩٦٥ التى واجهتها الناصرية بين القاهرة والرياض وطهران !

٦ ـ تعارض المصالح بين الجماعة الاسلامية والثورة المضادة (١٩٧٨ ـ ١٩٨١) (١٦) .

---

(١٦) جريدة « الوطن » ، الاحد ٢٨ نوفمبر ١٩٨٢ :
ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضوء قضية السادات
- سنوات الصدام بين الجماعات الاسلامية ونظام السادات (٧) .
- استخدمت السلطة سلاح التكفير . . . فأعادت الجماعات الاسلامية استخدامه ضدها .
- بعد كامب دافيد انتقلت التيارات الاسلامية لمعسكر المعارضة المعلن .
- حقيقة الفتنة الطائفية . . . وحقيقة التحالف بين الجماعات الاسلامية والتيارات الاسياسية الاخرى .
- قبل الاغتيال : تحذير من اسرائيل ، وآخر من أمريكا ، وثالث من أجهزة الامن . . . للسادات .

وصدرت هذه الحلقة السابقة بالآتى :

يواصل الدكتور حسن حنفى دراسته الهامة حول الحركة الاسلامية المعاصرة . على ضوء التحقيقات التى أجرت حول مقتل السادات يستكمل الدراسة ، ويستعرض الاقوال ، وينتهى لتشخيص كامل لفترة الصدام التى بدأت عام ١٩٧٨ وانتهت باغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١ . ماذا يقول .؟

ووضعت عناوين فرعية مثل : سقطوا فى الكمين ، بذور الطائفية ، خطباء المساجد أيضا .

ووضعت صورة للسادات وتحتها : السادات نافق التيار الدينى لكن ذلك لم يمنع من الصدام . وصورة لجيهان السادات وتحتها : جيهان السادات كانت وراء قانون الاحوال الشخصية ، وصورة لحلمى مراد وتحتها : حلمى مراد ، لقاء بين اليسار وبين التيار الدينى . وصورة لعمر التلمسانى وتحتها : عمر التلمسانى ، الدعوة دخلت الصدام . وصورة للشيخ المحلاوى وتحتها : الشيخ المحلاوى ، المساجد أصبحت ضد السادات .

وأعلنت فى نهاية الحلقة : غدا يتابع د. حسن حنفى دراسته : الانفجار ، أكتوبر ١٩٨١ .

يبدو أن بداية الفرقة بين الجماعات الاسلامية ، وليد الاخــوان المسلمين ، وبين السلطة السياسية التى أسفرت عن وجهها كثورة مضادة كان السلام فى نوفمبر ١٩٧٧ ومعاهدة السلام بين مصر واسرائيل فى مارس ١٩٧٨ • فقد دفعت انتفاضة يناير ١٩٧٧ السلطة السياسية الى التخلى عن الخط القومى تماما واللجوء الى أسس خارجيــة لتدعيم النظام ومساندته ضد المخاطر الداخلية ، ووجدتها فى أمريكا واسرائيل أى الاستعمار والصهيونية أعداء مصر الطبيعيين ، ولتحويل الانظـار من المشاكل الداخلية الى المسائل الخارجية بعـد الربط بين الازمـة الاقتصادية وتكاليف الحرب ، والربط بين الرخاء والسلام • وهنا بدأت الجماعة الاسلامية فى التحول هى الاخرى من الشعائر الدينية الى العمل الاسلامى والى النقد السياسى والاجتماعى بوجه خاص • فازداد حضــورها على الساحة الوطنيــة ، وبدأت تصبح القوة الفعليــة القادرة على تنظيم مظاهرات شعبية بعد أن اكتفت المعارضة السياسية بالنقد العلمى الاكاديمى لسياسة الانفتاح ولاتفاقية السلام ، وللقواعد العسكرية الامريكية ، ولعزلة مصر ، وللقوانين المقيــدة للحريات • ولكن معاهدة السلام فى مارس ١٩٧٨ ، واستقبال الشاه فى ١٩٧٩ ، وازدياد الصدام بين الجماعات الاسلامية وأجهزة الامن فى الصعيد ، وبداية التعرض لمظاهر الفساد فى الدولة أنهى مرحلة الوفاق وبــدأ مرحلة الصراع والتى بلغت قمتها فى انفجار أكتوبر ١٩٨١ •

ففى السنوات الثلاث الاخيرة كان الجو مهيئا تماما للانفجار • فقد زادت السلطة السياسية من استعمال ســلاح التكفير ضد خصومها السياسيين مما جعل ســلاح التكفير واردا فى الاذهان من خلال أجهزة الاعلام وعلى قارعة الطريق • فالتقطته الجماعة الاسلامية واستعملته ضد السلطة السياسية ، وهى المسؤولة أولا وآخرا عن حمل هــذا

السلاح واشهاره فى وجه الخصوم . وبعد مغادرة الجامعة العربية أرض مصر اقيمت فى مبناها وبدلا عنها جامعة الشعوب الاسلامية . وبعدها صدرت مجلة « العروة الوثقى » استئنافا لمجلة الافغانى التى صدرت كملحق لجريدة الحزب ، جريدة مايو ، ثم كجريدة اسبوعية منفصلة للارتباط باللواء القديم منبر الحركة الوطنية المصرية زيادة فى النفاق الاسلامى . فشتان ما بين الوطنية والخيانة . كما صدر قانون الاحوال الشخصية الذى أثار الجماعة الاسلامية باعتباره خروجه على الشريعة الاسلامية ، وصدر فى لمح البصر لان حرم الرئيس كانت وراءه فى حين ظلت لجنة تقنين الشريعة الاسلامية سنوات وسنوات دون ان تنجز شيئا . كما استغلت السلطة السياسية الغزو السوفيتى لافغانستان لاظهار تأييد المسلمين ضد الملحدين والاستعانة بأمريكا والاستغاثة بالغرب لتحقيق غرض مشترك . ونزلت الجماعة الاسلامية فى نفس الحلبة . وأقامت المؤتمرات تأييدا لشعب أفغانستان ، وجمعت الاموال ونظمت طلبات المتطوعين ، وقدمت المجاهدين الافغان فى حى الازهر . ولم يعد أحد يعلم أين الدولة وأين الجماعة الاسلامية . وبعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران بدأت القيادة السياسية فى مصر الهجوم على الثورة فى كل مناسبة وفى كل خطبة وتصفها بالدموية وبالكفر وبالعداء للعرب وبالاطماع الشخصية والاقليمية وبالارهاب والتسلط ، وكانت الجماعة الاسلامية قد فرحت بالثورة فى البداية ونشرت صور « الخمينى » على غلاف « الدعوة » والشاه يتساقط ويتشبث بالعلم الامريكى . كما نشرت الاعتصام صورة « الخمينى » على صفحة الغلاف . ووزعت الجماعة عدة منشورات تأييدا للثورة الاسلامية فى ايران . فقد أعطتها الثورة احساسا بان النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى . وان الشاه والاستعمار وكل أجهزة القمع لا تستطيع أن تقف

أمام الاسلام . عقيدة . وقيادة ، وشعبا . ونظمت الجماعة الاسلامية مظاهرة فى جامعة القاهرة لاول مرة خارج الاسوار وحول النصب التذكارى للشهداء ضد استقبال الشاه المخلوع فى مصر بعد أن أصبح طريدا فى العالم كله ، وإقامة أسرته فى مصر فى قصر رسمى من قصور الدولة ودفنه فى مصر . ثم غيرت الجماعة الاسلامية موقفها بعد سيادة التخلف التقليدى على موقفها المبدئى ، مما جعلها تميز حركتها وثورتها المستقبلة عن الثورة الاسلامية فى ايران ، وترفض أى تشابه أو مقارنة بينهما . وبعد أن نشر كتاب « الحكومة الاسلامية » فى مصر ، رفضت الجماعات الاسلامية توزيعه لان به خلافا عقائديا مع أهل السنة .

ولكن يبدو أن الحوادث « الطائفية » كانت عاملا حاسما فى حدوث الفرقة بين رفقاء الامس ، منها ما كان محدود الاثر تلقائيا عفويا نتيجة الحمية الدينية التى كانت تسود أجهزة الاعلام نفاقا من أجل الحصول على الشرعية الدينية ومن أجل مواجهة الخصوم السياسيين ، ومزايدة على الجماعة الاسلامية ، ومنها ما كان تخلفا ، وكمصيدة وقعت فيها الجماعة الاسلامية كرد فعل طبيعى على ظروف الدعوة الاسلامية فى الثورة المصرية وكذريعة لاظهار القوة ، وتقويض سلطة الدولة ، ومنها ما كان من تدبير أجهزة الامن ذاتها لاحداث الفرقة ، وكذريعة للقيام بمزيد من اجراءات الامن وتقييد الحريات بحجة الحفاظ على الوحدة الوطنية ، وكذريعة لضرب المعارضة السياسية باسم الفتنة الطائفية ووسط هذا الجو المشحون والسلاح المشهر . والحقيقة ان « الفتنة الطائفية » غريبة على تاريخ مصر . لم تعرفها مصر فى أوقات ثوراتها الوطنية مثل ثورة ١٩١٩ أو فى مرحلة البناء الاشتراكى مثل ١٩٦١ — ١٩٦٤ أو فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . ولا تظهر الا فى غياب الولاء الوطنى ،

وضعف الدولة كانتماءات بديلة مثل التعصب لنوادى الكرة أو الصعيد أو الوجه البحرى . أو للمحافظات والقرى أو للمهنة والطبقة • كان من الطبيعى أن تثير الحمية الاسلامية فى أجهزة الاعلام الحمية القبطية ، فالحمية الدينية واحدة •

كان هدف الدولة من استخدام « الفتنة الطائفية » وتهويل الامر وتضخيمه كما حدث فى ١٩٨١ فى أحداث الزاوية الحمراء هدفا متعدد الجوانب متمثلا فى الآتى :

١ — المزايدة على الجماعات الاسلامية ، وتجاوزها فى الحمية الدينية . والسباق فى الاسلام ، وبان الدولة هى المحافظة على الاسلام وعلى الديانات ، وانها المسؤولة أمام الشعب عن الدين وليس الجماعات•

٢ — الدفاع عن المسيحيين أمام الغرب باعتبار ان مصر هى حامية المسيحية حتى تزداد ثقة الغرب وأمريكا بها ، بدليل السماح بنشاط الكنائس التعليمى والاجتماعى والدينى على أوسع نطاق داخل مصر خاصة الكنائس الغربية بصورة لم يسبق لها مثيل ، وتضييق الخناق على الكنيسة القبطية الوطنية خاصة بعد اصدارها بيانا تحرم فيه على أقباط مصر زيارة القدس المحتلة فى الوقت الذى تعد فيه السلطة السياسية بمد اسرائيل بمياه النيل وتسير فى اجراءات التطبيع•

٣ — الدفاع عن اليهود واليهودية مثل الدفاع عن المسيحيين والمسيحية ، واحترام المعابد مثل احترام الكنائس والمساجد وبالتالى تضفى الشرعية الدينية على الصلح مع اسرائيل باعتبارها دولة يهودية وانهاء الحرب معها قبل انسحابها من باقى الاراضى العربية المحتلة • فاليهودية والمسيحية والاسلام أديان ثلاثة أتت من مصدر واحد هو ابراهيم أبو الانبياء • والمسلمون يؤمنون بكل الرسل • « لا نفرق

بين أحد من رسله » (٢٠ : ٢٨٥) وتتكرر فى كل الخطب عن الفتنـــة الطائفية آية « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى ومـا أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن لـــه مسلمون » (٢ : ١٣٦) (٣ : ٨٤) • فالصلح مع اسرائيل نتيجة لاعترافنا بالاديان ومن ثم لا طائفية فى الاسلام ! •

٤ ــ ايجاد ذريعة لضرب الجماعات الاسلامية وتصفيتها باعتبارها هى المسؤولة الاولى عن الحوادث الطائفية ، والقضاء على هذا الخطر بعد القضاء على خطر الناصرية بكافة القوانين والاجراءات الاستثنائية ، ووقوع الجماعات فى هذا الشرك فى الاعداد الاخيرة من مجلة الدعوة خاصة العدد ما قبل الاخير أغسطس ١٩٨١ عندما وجهت انذارا الى أقباط مصر وكأنه اعلان حرب من المسلمين على الاقباط !

٥ ــ وجود ذريعة أخرى ، وهو الاهم ، لضرب كل قوى المعارضة والخصوم السياسيين بحجة الفتنـــة الطائفية ، أساتذة الجامعـــات والصحفيين والسياسيين ورجال الدين المسيحى والاسلامى نظـــــرا لمعارضتهم السياسيات الرئيسية للنظام : الصلح مع اسرائيل ، الانحياز لامريكا ، الانفتاح الاقتصادى ، القوانين المقيدة للحريات ، هى الدوافع التى كانت وراء قرارات سبتمبر الاخيرة ، الفتيل الذى أشعل النار •

٦ ــ اعطاء الفرصة للرئيس الراحل للظهور وكأنه بطل الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى ، وان الشعب كله وراءه ، وانه الساحر القادر على حل كل المشـــكلات ، وان صدماته الكهربائية المستمره ، وآخرها علاج المشاكل الطائفية ، علاج سحرى لمشـــاكل مصر حتى يطغى على أصوات المعارضة فى الداخل والخارج بعد أن ارتفع صوتها ،

وأصبح العالم كله يتحدث عنها همسا أحيانا وجهارا أحيانا أخرى ودون أن يهز الصـــورة التى خلقتهـــا أجهزة الاعـــلام الغـــربية للرئيس والتى صدقها الناس وصدقها هو نفسه .

٧ — التحذير بأن مصر لن تكون لبنان أخرى . ولما كان أحد فى مصر لا يود أن يراها لبنان أخرى فانه بذلك يظهر وكأنه حامى حمى الديار ، ومنقذ البلاد من فتنة طائفية ساهم هو فى صنعها .

ولقد لقطت الجماعة الاسلامية الطعم الملقى اليها . الفتنـــة الطائفية ، واستغلته لحسابها الخاص على النحو الآتى :

١ — اظهار قوة الجماعات الاسلامية ، وانها أصبحت عصية على النظام لا يمكن قهرها ، وانها هى المسيطرة على المدن الجامعية وعلى المحافظات بل وعلى مناطق بأكملها مثل الوجه القبلى ، وما يمثله هذا التحدى أمام الشعب من مظهر لاضعاف سلطة الدولة وهيبتها .

٢ — اشعال الفتنة الطائفية كذريعة لتقويض النظام السياسى ، وبحجة الدفاع عن الاسلام أمام الجماهير الاسلامية ، وابراز صور القتلى من المسلمين فى جريدة « الدعوة » والمطالبة بالاخذ بالثأر ، خاصة وان الحكومة نفسها ستتلكأ فى اخماد الفتنـــة ان لم تزد فى اشعالها حتى يسهل القضاء على المعارضة الدينية اسلامية ومسيحية . وقد ثبت هذا التلكؤ بالفعل فى أحداث « الزاوية الحمراء » واحضـــار مجموعة من صبية الاحداث للاحراق والنهب والسلب أمام أجهـــزة الامن .

٣ — مادام الاقباط يستعملون العنف وينظمون أنفســـهم فى

جماعات مسلحة ، فانه لابد من مقابلة العنف بالعنف والتنظيم المسلح بتنظيم مسلح مضاد ، وقد كان الاقباط فى رأى الجماعة الاسلامية هم البادئون باطلاق النار فى الزاوية الحمراء •

٤ — تجميع أكبر قدر ممكن من الجماهير المنظمة نحو هدف واحد خاصة وانه هدف شرعى أمام أعين المسلمين ، دفاعا عن الاسلام ، مما يسهل بعده تحويل الهدف الطائفى الى هدف سياسى أكبر ، والانقضاض على الدولة من منطلق اسلامى شرعى ، ومن جماعة اسلامية شرعية تحرس الدين وتحمى المسلمين •

٥ — تكشف التحقيقات عن هذه الرغبـــة المتبادلة من الطرفين لتضخيم الاحـــداث ، كل لمصلحته الخاصـــة ، الجماعات من أجـــل الانقضاض على الدولة ، والدولة من أجل الانقضاض على المعارضـــة السياسية • فيقول عبد الحميد عبد السلام أحد المتهمين بعد التحقيق فى حوادث الزاوية الحمراء حيث صورت الوقائع على أنها مشاجرة بين عائلتين بسبب نشر الغسيل بالرغم من ان المسيحى المدعو كامل فتح النار على المصلين أثناء صلاة العشاء فى المسجد من المكان المتنازع عليه بين المسلمين والنصارى ، وبعد ذلك تصوير علماء المسلمين فى خطاب الرئيس بعد القبض عليهم ووضع أسمائهم مع أسماء أعضاء الاحزاب السياسية والتعليق على أنهم مجموعة واحدة لتكبير الموقف عن حقيقته (التحقيقات ص ١٣ — ٤٣) •

٦ — اصدار فتوى من الجماعة الاسلامية بأن مـــال المسيحيين خلال ماداموا فى حالة عـــداء مـــع المسلمين ، وان الاقباط جـــزء من المسيحيين ، والمسيحيون جزء من الصليبيين ، والصليبيون ممثلون داخل

البلاد الاسلامية فى نشاط الكنائس والمبشرين ، وقد كان مخططهم منذ الحروب الصليبية تحويل مصر الى امارة صليبية ، والاستشهاد بكتابات أقطاب مفكرى الجماعات الإسلامية مثل محمد الغزالى .

٧ — أصدر الفتوى د. عمر عبد الرحمن أستاذ فى كلية أصـول الدين جامعة الازهر ، فرع أسيوط . فقد أفتى بجواز قتال النصارى والاستيلاء على أموالهم فيقول « ان المسيحيين على ثلاثة أقسام : من قتل منهم مسلما يقتل ومن أعان الكنيسة واشترى منهم سلاحا للاعتداء على المسلمين يحل ماله ، ومن لم يفعل هذا ولا ذاك فماله ودمه حرام » (التحقيقات ص ١٩٧ ص ٣٩٢) .

والحقيقة ان الطائفية كانت لها أرضية واسعة جهزتها السلطة السياسية والجماعة الاسلامية على حد سواء ، وساعدت عليها بعض الظروف النفسـية والمكانية ، فنظرا لسيادة التخلف على مدى عشر سنوات هو عمر الثورة المضادة دخلت البـلاد فى مباراة فى الدين ، وليس فى مباراة للولاء للوطن . وفى هذه المباراة فى بناء المسـاجد ، واظهار الشعائر ، بدأ الصراع ينشأ بين صلاة الجمعة والقداس ، وبين المسجد والكنيسة ، بين الآذان والاجراس ، بين الهلال والصليب ، بين الشيخ والقسيس ، بين شبرا والحسين ، بين السـمن والزيت ، واللحم والبيض ، والزفر والفول ، والطبيخ والبصارة ! فوقعت حوادث فى كل حى أى الطرفين فيه أفضل وأكثر وأحسن موقعا . نظرا لغياب الولاء الوطنى عند الحاكم والمحكوم ، وعدم أولوية صفة المواطن على الانتماءات القبلية والعشائرية والدينية استشرت الطائفية ، وكثرت فى الصعيد نظرا لكثرة الاقباط فى مصر الوسطى ، ونظرا لحمية الطباع لدى سكان الوجه القبلى ، وبعدهم النسبى عن الاحتكـاك الحضارى

بالعالم الخارجى . وقد وصل الامر الى حد اعتبار اليهود والنصارى كفارا تجوز محاربتهم وأخذ أموالهم غنيمة ماداموا يجمعون الاموال ويستعملون السلاح . لم يكن للمواطن وجود ، ولا للوطن وجود ، بل أدت الطائفية الى نزع الولاء للوطن وللمواطنين ، والسطو على الجيش وعلى الشعب ، والحصول على السلاح والاموال بالقوه . وكأن العدو فى الداخل وليس فى الخارج ، وكأن المعركة بين المواطنين وليس بين الوطن وأعداء الوطن .

وقد نشطت مجلة « الدعوة » منذ اعادة ظهورها فى ١٩٧٦ حتى معاهدة الصلح مع اسرائيل فى مارس ١٩٧٨ . وكان يغلب عليها الموضوعات الدينية التقليدية البريئة مثل أهمة العقيدة الاسلامية والتوحيد ، وأهمية العبادات والشعائر ، وتاريخ الاخوان المسلمين ، وصفحات من جهادهم قبل الثورة وتعذيبهم بعد الثورة ، والدفاع عن أوضاع الاخوان المسلمين فى سوريا والهجوم على نظام البعث السورى وطائفة النصيرية العلوية وكشف مخططاتها ضد الاسلام والمسلمين ، وهو ما كان يتفق مع الخط السياسى للدولة ، وان كان الهدف البعيد هو « الكلام لك واسمعى يا جارة » ، والدعوة العامة الى الحكم الاسلامى التى لا تشير الى دولة خاصة أو الى وضع مميز فى مصر فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو القانون ، بالاضافة الى بعض نصائح عامة للحكام المسلمين ، والهجوم على الاتحاد السوفيتى خاصة بعد غزوه لافغانستان وهو أيضا ما يتفق مع الخط السياسى للدولة .

ولكن منذ مارس ١٩٧٨ حتى أغسطس ١٩٨١ انتقلت الدعوة الى مرحلة أخرى جعلتها لسان حال المعارضة الدينية فى مصر . فقد

بدات تنتقد معاهدة لصلح مع اسرائيل ، بندا بندا : نقدا بدل على وعى سياسى عال دون خطابة دينية أو انفعال اسلامى : نقدا سياسيا علميا يبين مخاطرها على السيادة المصرية على سيناء ، وعلى مستقبل الاراضى المحتلة وعلى قضية فلسطين وعلى مستقبل علاقة مصر بالامة العربية ؛ بل علاقة الحاكم بالمحكومين فى مصر الذى عليه أن يمنــع ، بنص المعاهدة ، أى نشاط معاد للدولة الصديقة اسرائيل • انتقلت الدعوة الاسلامية فيما يبدو ، تحت ضغط الظروف السياسية واستحالة أن تكون الدعوة الاسلامية مجرد دعوات وابتهالات دينية ، الى مرحلة جديدة ، الدخول فى القضايا المصيرية للبلاد • لذلك صودرت المجلة فى أكتوبر ١٩٨٠ كانذار لها ضــد هذا الخط الجــديد ، ودعى عمر التلمسانى الى وزارة الداخلية للتنبيه عليه بعدم التعرض لمثل هــذه الموضوعات « القومية » من جديد ، والعودة الى الاسلام كعقيــدة وشريعة « فلا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ! » • كما بدأت المجلة فى نقد سياسة الانفتاح الاقتصادى ، أقل خطورة من الصلح مع اسرائيل ، وبيان آثارها الوخيمة على الاقتصاد المصرى ، وخطورة سياسة الاستيراد ، والبنوك الاجنبية ، وتزايد الاغنياء غنى والفقراء فقرا ، والتهرب من الضرائب ، والرشوة ، والعمولات ، وشتى مظاهر الفساد فى الدولة ، مثل المجون والخلاعة والهزل المقيت • كما نقدت المجلة سياسة التحالف مع أمريكا ، أقل خطورة أيضا من الصلح مــع اسرائيل ، الحليف الجديد ، والصديق الوفى ، فى غضون نقد سياسة التحالفات مع الشرق أو مع الغرب ، وخطورة السيطرة الغربية ، وعداء الغرب التقليدى للاسلام منذ الحروب الصليبية حتى تقطيع الاستعمار لاوصال العالم الاسلامى • وأخيرا نقدت المجلة عزلة مصر عن العالم العربى ؛ واضعاف الجبهة العربية حتى رتعت الصهيونية كما شــاءت

فوق الارض العربية ، وألحت على ضرورة عـودة مصر الى الصف العربى ، واسترداد مصر لدورها القيادى ، وكأن الدعوة الاسلامية قد نسيت خلافها مع القومية العربية لدرء خطـر مشترك واحد هو التفكك والتشرذم واخراج مصر من دوائر الصراع فى المنطقـة حتى تلتهمها الصهيونية ويبتلعها الاستعمار .

ثم دخل خطباء المساجد والائمة فى المعركة بالتركيز على نفس المحاور الاربعة السابقة التى أصبحت معالم الثورة المضادة ، ونقطة تجمع للجبهة الوطنية ، وبداية التوحيد بين المعارضة بجناحيها الرئيسيين، المعارضة الدينية والمعارضة السياسية كمـا حدث ذلك فى الثـورة الاسلامية فى ايران والتى أدت الى سقوط الشاه فى النهاية . ركز الائمة أساسا على قضايا الفساد فى مصر ، وظهر خطبـاء يتفاوتون فى أسلوب العرض ودقة التحليل ودرجة الوعى السياسى (الشـيخ كشك ، الشيخ المحلاوى ، الشيخ محمد عيد ، الشيخ المسمارى ... الخ) ، وتحولت خطبهم يوم الجمعة ودروسهم فى المساجد الى منديات سياسية ومظاهرات وطنية سلمية واقتراع شعبى ضـد الثورة المضادة بما تضمن من خيانة وبيع للبلاد . وبالتالى استوفى الائمـة شروط الخطبة الشرعية أى التعرض للقضايا العامة التى تهم البلاد والدفاع عن المصالح العامة والدخول فى المسائل التى تعم فيهـا البلوى . وبدأت بوادر الوحدة الوطنية بين المعارضة الدينية والمعارضة السياسية، وذهب أعضاء من المعارضة السياسية للحديث فى المساجد (حلمى مراد)، وتحدث رجال الدين لدى أحزاب المعارضة ، واستعملوا لغة الاقتصاد ، ونظريات السياسة ، واحصائيات الاجتماع . كما استعملت المعارضة السياسية مفاهيم الاسلام ونصوص القرآن والحديث . ثم بدأت هذه التجمعات تحدث آثارا ضخمة فى الجماهير ، فأصبحت المسـاجد

عامرة بالمصلين بعد أن كانت قفرا ليس من أجل الصــلاة بل من أجل سماع الخطب السياسية والدروس الوطنية • ونشطت أحزاب المعارضة، وأصبحت جرائدها محور حديث الناس ، يتلقفونها صباح صدورها وتنفد فى الحال نظرا لما كانت تقدمه من بدائل وما تكشف عنــه من مظاهر الفساد فى البلاد • ثم انتقلت الدعــوة الدينية والمعارضــة السياسية أخيرا من مرحلة رد الفعل الى مرحلة الفعل ، توجه النقد المباشر العلنى الصريح ليس فقط للاوضاع فى الدولة بل للشخصيات العامة وعلى رأسها شخص الرئيس وحرمه واستراحاته وبذخه وترفه ، وتدخل حرمه فى شؤون السياسة ، وسفرها ممثلة لمصر فى المنتديات الدولية ، وتصدرها لكل الاحداث العامة ، وحياتها الخاصة ، واسلوب معيشتها وتجارتها ، وتعاملها مع أصدقاء مصر الجدد ، بيجين ورؤساء أمريكا السابقين وتعاملهم معها تعامل الجنتلمان •

ثم وصلت السلطة السياسية تقارير من جهات متعددة تجمع كلها على خطورة الوضع فى مصر • فاثر زيارة بيجين لمصر فى الاسكندرية فى أغسطس ١٩٨١ أخبر بيجين الرئيس الراحل عن الوضــع الداخلى السيىء فى مصر ، عن قــوة المعارضــة ، وعن رفض كل الاتجاهات السياسية فى مصر لاجراءات التطبيع ، وعن كثرة النشاط « المعادى » لاسرائيل فى مصر ، وعن كمية الكتب والمقالات المنشورة عن معاهدة الصلح والتطبيع ، وبالتالى فــان ما يقوله الرئيس من أن « شعبى ورائى » ، وأن ٩ر٩٩٪ من الشعب ورائه باستثناء قلة من الحاقدين الارذال لا أساس له من الصحة • وأثناء زيارة الرئيس للولايات المتحدة فى نفس الشهر علم أيضا من المخابرات الامريكية عن تدهور الوضــع الداخلى فى مصر ، وربما فهم أيضا ، ولو بالاشارة ، الى أن أمريكــا تبحث عن البديل ، فى حالة سقوط النظام أو فى حالة ما اذا قررت هى

اسقاط النظام ، الوفد ؟ الناصريون ؟ الاخوان ؟ وان أمريكا لا تريد أن تضحى بالمنطقة كلها من أجل شخص واحد تخشى عليه من الثورة التى قد تقوم بها اتجاهات جذرية تغير سياسة مصر ، وبالتالى تقلب موازين القوى فى المنطقة ، وتغير الاستراتيجية الامريكية كلها . كما أفزعته أخيرا أجهزة الامن المصرية ، والمخابرات العامة ، ومباحث أمن الدولة ، وهيئة الامن القومى المصرية بشدة المعارضة فى مصر وخارج مصر فى العالم العربى والغربى من المصريين والعرب بل ومن الصحفيين الاجانب الذين هم على صلة وثيقة بالمعارضة فى مصر وعلى دراية بخطورة الاحوال فى مصر وعن نشاط المعارضة الدينية والسياسية داخل مصر وبداية جبهة الائتلاف ، واستشراء المعارضة فى أجهزة الدولة ومؤسساتها ، فى أجهزة الاعلام ، والجامعات ، والاحزاب السياسية ، والجماعات الدينية ، والنقابات ، والاتحادات وكأن مصر قد أجمعت على أن ساعة الخلاص قد حانت ، وان وقت الفعل قد قرب . وجاءت بداية النهاية بقرارات سبتمبر لما ظهرت بوادر الوحدة الوطنية والتجمع الوطنى والجبهة الوطنية . واجتمعت الاتجاهات السياسية الاربعة فى مصر على برنامج وطنى موحد يكون هو البديل عن السياسات القائمة معارض لها تماما . فقد اجتمعت الليبرالية المصرية الممثلة فى حزب الوفد ، والناصريون الذين يمثلون ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والتيار الاسلامى الذى تمثله الجماعات الاسلامية ، والاتجاه الماركسى الذى تمثله الاحزاب الماركسية والشيوعية فى مصر على سياسات أربع بديلة وهى :

١ — رفض كل الاجراءات الاستثنائية والقوانين المقيدة للحريات والاستفتاءات الشعبية ، والمطالبة بحق كل اتجاه فى التعبير عن رأيه

فى منبره الخاص ، صحافة حزبية ، واجتماعات شعبية ، وحق المعارضة فى التعبير عن نفسها دون تكفير أو اتهام بالخيانة والعمالة .

٢ — رفض سياسة الانفتاح ، وبيان مخاطرها على الاوضاع الاقتصادية فى مصر وآثارها الوخيمة على الصناعات الوطنية فى مواجهة المستوردة ، وعلى الاسواق والعمالة المصرية وعلى مستوى المعيشة واستشراء الرأسمالية الطفيلية فى مصر وما نتج عنها من مظاهر الفساد من المضاربات والعمولات وانشاء البنوك الاجنبية ، وازدهار السوق السوداء ، وتهريب الاموال الى الخارج .

٣ — رفض الصلح مع اسرائيل ، واجراءات التطبيع ، والتنازل عن السيادة فى سيناء ، وعقد أى صلح منفرد ، وأى تنازل عن حقوق الشعب الفلسطينى ، وتحويل معاركنا السياسية ضد الاستعمار والصهيونية وجبهات مصر الحقيقية الى معارك أخرى وهمية فى افريقيا؛ ومساعدة الثورات المضادة ، وافتعال معارك الحدود مع ليبيا .

٤ — رفض سياسة التحالف مع أمريكا ، واعطاء القواعد العسكرية لها ، وخروج مصر عن سياسة عدم الانحياز ، وعن مبادىء باندونج التى أرستها مصر ، والعودة بمصر الى ميزان الثقل فى المنطقة ومحور الدوائر الثلاث .

٧ ــ الانفجار ، اكتوبر ١٩٨١ (١٧)

ويبدو أن العلاج بالصدمة الكهربائية لم ينجح ، اذ يستحيل وضع مصر كلها فى السجون « ومين يقدر ساعة يحبس مصر ؟ » • ففى أقل من يومين من سبتمر ١٩٨١ وضع ألفان فى السجون ، وفصل مئات من أساتذة الجامعات والصحفيين ، وألغيت تراخيص الصحف ومجــلات المعارضة ، وعزل بابا الاقباط ، كل ذلك تحت ذريعة « الفُتنة الطائفية » من أجل تصفية المعارضة • وكان يتضح انها بداية النهــاية • اذ لم تستمر الامور أكثر من شهرٌ « من ٥ سبتمبر حتى ٦ أكتوبر ١٩٨١ » حتى حدث الانفجار ، وتغير مجــرى التاريخ فى مصر والمنطقة العــربية، نحو اعادة موازين القوى من جديد •

ففى أبهة المجد ، ووسط جيش مصر ، وأمام أجهزة الاعلام التى خلقته ، والتى أراد أن يقيم معاركه من خلالها ، فوقــه الطيران ، وأمامه الدبابات والمدرعات ، وحوله رجال الامن والنظام وفريق مكافحة

---

(١٧) جريدة « الوطن » ، الاثنين ٢٩ نوفمبر ١٩٨٢ ، ووضعت الجريده المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية المعاصرة ومستقبلها على ضوء قضية السادات (٨)
- الانفجار الكبير ... أكتوبر ١٩٨١ •
- أسباب حل دم السادات والخطبة التى دقت آخر مسمار فى نعشه •
- الاسلامبولى ورفاقه كانوا الاداة المنفذة لارادة شعبية عامة هى روح مصر •

ووضعت ثلاثة صور لخالد الاسلامبولى ، والسادات ، وحسين عباس واعلنت فى نهاية الحلقة : الاربعاء ، يواصل د. حسن حنفى دراسته « جماعة الجهاد ، فكرا وعقيدة » •

الارهاب الدولى . وأجهزة الامن الاجنبية . وفى قلبه وعلى لسـانه « أنا ربكم الاعلى » (٧٩ : ٢٤) أو « ونادى فرعون فى قومه يا قوم أليس لى ملك مصر . وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » (٤٣ : ٥١) . انتهى كل شىء بيد جيش مصر ، وبروح مصر ، وبأيدى مصر ، وبتراث مصر . ، تعبيرا عن ارادة مصر الجماعية . وبعـد ظهر نفس اليـوم . دب الفرح فى قلوب الجميع لسـماع النبأ . وكان أول من سمع به فى مصر السفير الامريكى الذى أبلغـه الى البيت الابيض والذى أبلغ بدوره بعض الاذاعات . فعرف المصريون النبأ عن هذا الطريق وليس من خلال أجهزة مصر التى كانت آخر من يبلغه ! ولاول مرة يغتال رئيس مصر ، فقد كان فرعون الها . ولكن لما سدت جميع السبل ووضعت مصر كلها فى السجون ، لم يكن أمام شعب مصر الا هذا الطريق .

ولم تتوقف الحياة ليلتها أو بعدها ، اطفئت الانوار ليلتها فى المحال العامة ، حتى لا يقال ان الشعب لم يحزن ليلة المأتم ، ولكن استمر الناس فى مشاغلهم بعدها ، يحتفلون بالعيد ، ويسخطون على حداد أجهزة الاعلام ، وخاصة التلفزيون أيام عيدهم . ولكن كان الكابوس الرهيب قد أزيح عن الصدور ، وتنفس الناس نسيم الحرية من جديد . ومنذ « أحزان أم خالد » بجريدة « الاحرار » الوحيدة التى بقيت من صحف المعارضة « المستأنسة » ، ومنذ الجلسـه الافتتاحية فى المحاكمة العسكرية اكتسب خالد ورفاقه شـعبية هائلة لصمودهم وتحديهم وايمانهم واقتناعهم . ويسمع قوله « أنا قـاتل ولكنى غير مذنب » ، قاتل كى يخلص مصر من الطغيان والفساد ، وغير مذنب لانه قام بذلك أداء لواجب دينى ووطنى . ثم تتسرب أنبـاء

المحاكمة الى الشعب من الصحف الاجنبية أو الاذاعات العالمية عن صمود خالد ورفاقه ، بعد أن ظهر النور يشع من وجهه ، والابتسامة على شفتيه ، يقول لامه ، بعد أن طلبت منه أن يذكرها عند ربه « نحن أحرار وأنتم السجناء » لانه ورفاقه أتوا بفعل حر ، وحرروا به أنفسهم من الخوف والرضا بالضيم ، والدنية فى الدين • ثم تحولت المحاكمة الى محاكمة سرية خشية أن يتحول خالد ورفاقه الى نماذج وطنية للبطولة والفداء • وكان ما تنعم به مصر الآن من حرية نسبية وبشائر ديمقراطية ، واعادة الحياة للصحف ، والكرامة للجامعة ، ونزول القضاء المصرى الى الساحة دفاعا عن حرية المواطنين ، واستقلال المؤسسات والجامعات ، والصحف ، والكنيسة القبطية ، ورفض خالد ورفاقه أى دفاع « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (٢٢ : ٣٨) ، ولانهم كانوا يؤدون واجبهم الدينى •

وكثرت النكات الشعبية عن الرئيس ولم يوار جسده التراب بعد • ولم يحضر مراسم الدفن الا اسرائيل والغرب ممثلا بثلاثة من رؤساء أمريكا السابقين ، وبيجين مصرا على الحضور يوم السبت متمسكا بدينه وبصديقه الذى أعطى اسرائيل شهادة ميلاد ، وصك حياة • وفى صحراء مصر ، وبلا شعب ، باستثناء أجهزة الامن ، تحضر فى أذهان مصر جنازة عبد الناصر ، خمسة ملايين فى القاهرة ، يحملون النعش على الاكتاف ، بعد أن تخاطفته الايادى ، وودعته الى مثواه الاخير ، بحضور رفيقين له ، أخ من السودان وابن من ليبيا • وقد كان عمله الاخير انقاذ المقاومة الفلسطينية من مذابح أيلول الاسود ١٩٧٠ • وفى مثواه الاخير تقف حرم السادات التى كانت أحد أسباب نهايته ، تصفف شعرها ، فى أبهى حلة ، وأجمل زينة ، أول ما قامت به الاتصال بالبيت الابيض لتطمئن : اغتيال فقط ، أم انقلاب أكبر ؟

غلما طمأنها الرئيس الامريكى انه اغتيال فقط محدت الله أنها نجت برأسها ؛ وهرعت الى المنزل لتنقذ ما يمكن انقاذه من أوراق وأسرار وثروات •

وشاهد الناس على الملأ قادة مصر ، تحت الكراسى ، مطأطئى الرؤوس ، بعد أن كانوا شامخى الانوف ، منهم من بال على نفسه ، ومنهم من جرى ناجيا بحياته ، تاركا رئيسه يلقى مصيره وحده ، ومنهم من وضع فوق جثته الكراسى ليحميه ، نفاقا ، وهو يعلم أنه قد قضى الامر ، وكأن النفاق حتى الموت ! ورجال الحرس والامن المدرب لم يفد أحد منهم بحياته رئيسه ، اذ أنه لم يشعر بالولاء له ولا بولاء رئيسه للوطن • وتناقلت وكالات الانباء صيحة خالد « الموت للخونة وتحيا مصر » ، لكن التحقيقات لا تذكر هذه العبارات أو المواقف ولكن تناقلتها الصحف الاجنبية ورواها شهود عيان وهى تكشف اهتراء النظـام مقابل قوة وعقيدة الافراد واستعدادهم للتضحية والشهادة ، فكـرة مقابل مصالح ، وشهادة فى مواجهة حرص على الحياة •

ولم يكن خالد ورفاقه يريدون الا الرئيس وحده دون غيره • وقد تناقلت الصحف العالمية ووكالات الانباء وسمع شاهد عيان قول خالد لابى عزالة قائد الجيش أو لمبارك النائب « ابعد أنت ، أنا عاوز الكلب ده » يردون اليه سبه لرجال الدين ووصفه الشيخ المحلاوى بأنه « مرمى زى الكلب » • كان الغرض أن يجتث رأس الفساد الذى أصبح هو وحده عماد النظام دون غيره من الحاضرين • فاذا أصيبوا دون قصد فانهم يبعثون على نياتهم ؛ ويجوز شرعا حين التصدى للحـاكم الظالم أن تقع ضحايا ، فالاصل هو الاساس • وقد كان الهدف تخليص

البلاد من الظالم وحده . توجه اليه خالد ورفاقه بحس غريزى بالرغم من أن الثلاثة يلبسون نفس الزى العسكرى ؛ وحتى يكون عبرة وعظة لغيره من حكام مصر فيما بعد . وبالتالى تسقط التهمة بأنهم أرادوا اغتيال الرئيس وكل من فى المنصة من رجال الدولة وضيوف مصر ، لان الهدف كان الرئيس وحده دون غيره . ويظهر هذا من التحقيقات فى أماكن كثيرة . يقول مثلا عطا طايل حميدة « لم نقصد الا قتله هـو فقط » . وكانت النية قتل الرئيس ليكون عبرة لمن يأتى بعـده .. وكذلك يقول محمد عبد السلام فرج : « تناقشنا بالنسبة للرئيس وحده ولم نتطرق الى غيره » . وردا على سؤال : « ما الذى كنت ترجـوه من قتل الرئيس ؟ » أجاب : « ان كل واحد يأتى بعده يرتدع ويأخذ عبرة » .

وهناك ثلاثـة افتراضات حول المسؤولية المباشرة عن حـادث الاغتيال ، كلها تدور فى أذهان الناس وفى الوعى القومى . الاول ، الافتراض الامريكى ، وان أمريكا هى المسؤولة الاولى والاخيرة . فالتقارير الواردة من داخل مصر ، لاجهزة المخابرات الامريكية تكشف سوء الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى مصر ، وانتشـار الفساد نتيجة لسياسات الدولة ، ولم يكن ذلك خافيا على أحد . وكانت أمريكا على علم بزيادة المعارضة الدينية عامة والسياسية خاصـة فى مصر ، ورفضها لسياسات الدولة واختياراتها الاساسية وفى مقدمتها الاعتراف باسرائيل . فقد قطع النظام فى مصر كل جسـوره مـع المعارضة ، وانتهى بأن وضعها جملة واحدة فى السجن للتخلص منها فى سبتمبر ١٩٨١ ، ولم يستمع لنصائح أمريكا بالحرص على ليبرالية النظام والمحافظة على هذه الصورة خاصة فى أجهزة الاعلام الغربى

التى كانت دعامة النظام ومبرر وجوده الشرعى منذ ١٥ مايو ١٩٧١ . وفى نهاية الامر ، لقد استنفذت أمريكا الرئيس فى كل شىء . فقد أنهى تجربة مصر الاشتراكية ، وحقق عزلة مصر عن العالم العربى . وحول مصر الى سوق للمال الدولى ، واعترف باسرائيل ، وسلم بالصهيونية . وانحاز لامريكا ، وأعطاها القواعد العسكرية ، وغير موازين القوى فى المنطقة ، ولم يعد لديه ما يقدمه لها ، استنفذته لآخر قطرة أو كما يقول نزار قبانى :

جــــردوه من كـــــل شىء   فلما استنفذوه ألقوا اليه العظاما

ولما لم تشأ أمريكا أن تخسر كل هذه المكاسب التى حصلت عليها أصبحت فى حاجة الى وجه جديد قادر على الابقاء على هذه المكتسبات بطريقة أفضل ، وبأسلوب أذكى ، وبعقلانية أكبر . لقد أصبح الرئيس عبئا عليها بهذا الانحياز المباشر الفاضح ، وأصبح يسبب لها الخاسر على الصعيد الداخلى فى مصر بنشأة الاتجاهات الجذرية الدينيـــة والسياسية وعلى الصعيد الخارجى برفض العالم العربى التعـــامل معه ، وبالتالى خسارة الانظمة التقليدية العربية المحـــافظة المنحازة تاريخيا لامريكا . ولما كان الاسلوب الامريكى المعهود هو البحث عن البديل الامريكى اذا ما تأزمت الامور ، بيدها لا بيد عمرو ، كما فعلت فى فيتنام وكوريا الجنوبية وبعض دول أمريكا اللاتينية قررت التخلص منــــه .

وبالرغم من منطقية هذا الافتراض وصدقه الا أن « التحقيقات » لا تكشف عنه ولا تؤيده ، بل وتفنده الاوضاع فى مصر . فالنظام السابق كان قادرا على استمرار تقديم الخدمات المتوالية لتحقيق الاهـداف

الامريكية فى المنطقة ، وكانت لدى النظام أجهزة الامن وأجهزة القمع القادرة على الوقوف أمام المعارضة خاصة وان النظام قد أوهم نفسه بأن أصوات المعارضة أقوى من جماهيرها ، وان أراءها أقــوى من حجمها ، وان أمريكا فى نهاية الامر لا تريد أن تخسر الشاه الثانى فى مصر ، وكدعامة رئيسية لاستراتيجيتها فى المنطقة • وكان يعادى الاتحاد السوفيتى ، ويدعم الثورات المضادة فى افريقيا ، ويحول معارك مصر الى ليبيا وتشاد وزائير • كما انه يصعب اثبات صلة بين الجمــاعة الاسلامية والمخابرات الامريكية • اذ تكشف التحقيقات عن درجة عالية من الوعى الدينى والسياسى لدى أفراد الجماعة ، وان انتماءهم الاول والاخير كان الاسلام ولمصر •

والافتراض الثانى ، ان جيش مصر هو الذى كان له هذا الشرف ، وهو افتراض تؤيده بعض جوانب التحقيقات ، ولا يتعارض مع صورة جيش مصر الوطنى ، وتدعمه القرائن الحسية بانتماء خالد ورفاقه الى الجيش ســـواء كانوا مجندين أو احتياطيين • فقد وقع الحادث فى أرض العرض العسكرى ، بجوار النصب التذكارى للجندى المجهول ، وبسلاح الجيش • وليس من المعقول أن يتم ذلك كله من خـــلال العرض : الســـهولة الى تم بهـــا استبدال الطاقم ، وتزوير خطابات الاستدعاء ، وادخال الذخيرة الحية ، وجود ابر ضرب النار ، وعـــدم التفتيش ، وعدم تأمين المنصة من الامام لاول مرة ، عدم اطلاق النار من الحرس ، توقيت الحادث مع مرور الطائرات من فوق المنصـــة ، احتمال وجود أنصار للفريق أحمد بدوى فى الجيش يتربصون بقياداته لاحتمال استشهاد الفريق بدوى ورفاقه غيلة واغتيالا ، واستحالة أن يكون ذلك بتوفيق من الله كما يقول خالد ورفاقه • كان خالد يصر أولا

على عدم الاشتراك فى العرض . وقد يكون ذلك حقيقة وليس ايهاما ؛ ولكن قائد الكتيبة أصر على اشراكه ، ورفض الاسماء المقترحة بديلا عنه ملتمسا الاعذار لهم بالغياب أو المرض أو الانشغال فى أعمال الوحدة الاخرى • بل لقد قام أحد أفراد الجماعة الاسلامية من الجنود بعـد أن عرض عليه الاشتراك فى الحادث بتبليغ ذلك الى المخابرات العسكرية وأجهزة الامن الحربى ولم يتحرك أحد • وتتضح هذه السهولة من هذا الجزء من التحقيقات مع خالد الاسلامبولى •

س : وما ظروف تعيينك فى العرض العسكرى ؟

ج : أنا كنت غير راغب أصلا فى الاشتراك وكان فيه واحد معين غيرى وهو النقيب عبد الرحمن سليمان من كتيبتى وهو كانت ظروف مراته صعبة شوية فقائد الكتيبة الرائد مكرم عبد العال عيننى أنا • وسبب عدم رغبتى أولا فى الاشتراك هو انى كنت أرغب فى النزول أجـازة •

س : ألم يكن ضابط الامن بالوحدة يعلم المعلومات المسـجلة عنك ؟

ج : كل اللواء كان يعلم !

س : وقائد الكتيبة تحديدا ؟

ج : قائد الكتيبة وقائد اللواء يعلمان !

س : هل زورت خطأ بالحـاق كل من عبد الحميد وحسين وعطا على أساس أنهم جنود من اللواء ١٨٨ ؟

ج : عملت جواب ثم مزقته •

س : لمـاذا ؟

ج : أنا عملت هذا الجواب علشان يدخلوا بيه . وهمه دخلوا بدون اعتراض ، فلم أجد حاجة لمثل هذا الخطاب ؟

س : متى مزقت هذا الخطاب وفى أية ظروف ؟

ج : لا أذكر ، وأنا لم أجد له لزوما .

س : من الذى قام بالتفتيش التثبت من عدم وجود ذخائر أو ابر ضرب نار فى الاسلحة « الذخيرة » ؟

ج : لم يقم أحد بالتفتيش على الذخيرة ولكن كان هناك أمر بنزع ابر ضرب النار . ولم يفتش أحد للتثبت من تنفيذ ذلك .

وكانت كل المعلومات متوافرة لمخابرات الجيش عن اتجاهات الضباط الدينية والسياسية ومنهم الضابط خالد . كانت التقارير موجودة منذ ثلاثة أشهر عند رؤسائه على شتى المستويات فى وحدته وكتيبته ولوائه عن انتماءاته الدينية ، ولكن تقريرا ورد قبل العرض بأنه شخص عادى لا يبدو عليه أى شىء غير عادى . وكان شقيقه المنتمى الى الجماعة الاسلامية قد قبض عليه فى سبتمبر الماضى ، وطلب خالد أجازة اسبوعا لرؤيته والاطمئنان عليه ، وكان سلوكه فى الوحدة معروفا باتجاهاته المتزمتة . وكان خالد لا يحب أن يسمع الراديو أو يأكل الفراخ المذبوحة ولا السمنة الهولندى ولا يحب مشاهده التلفزيون . وطبقا لوصف زميله عبد الهادى مصطفى أنه لاحظ بداية التغيير على خالد فى أوائل ١٩٧٩ ، لاحظ عليه انه يصلى بشكل منتظم ، وامتنع عن التدخين ، فاستراح له زميله ، وحادثه فى الاسلام والاعداد له ، وصليا معا فى المسجد ، وعرفه على أعضاء الجماعة مدنيين وعسكريين . ثم ترك له ورقة ذات مرة مكتوبا عليها آية قرآنية معناها : ان الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا لها فهم فى عداد الكفار ، ويوم

الخميس السابق على العرض مباشرة . كان خالد يميل الى العنف مع الجنود لاداء الفرائض ؛ حتى أن المخابرات استدعته ولا يعلم ما تم بعد عودته . عاد جدا ولم يتدخل فى شؤون الافراد بعد ذلك سوى دعوة الناس الى أداء الصلاة . وكان خالد يحث زملاءه على الصلاة وهجر الاعمال الدنيوية . وكان الجيش عادة ما يتابع الافراد المشبوهين فى الوحدات ويضعهم تحت المراقبة الشديدة . وكانت تأتى التقارير من مباحث أمن الدولة عن تصرفات خالد المدنية خارج الجيش وانتماءاته الدينية . فهل صمت الجميع ، وترك خالد يشترك فى العرض وهو يعلم ما كان ينوى ؛ وسهلوا له كل شىء ؟ وهذه الدقة المتناهية فى التنفيذ توحى بان العملية قد قام بها رأس مدبر لانها Master Plan وليس غريبا على أجهزة الدولة والمخابرات المدنية أو العسكرية القيام بمثل هذه العمليات على مدى التاريخ (مقتل كيندى مثلا) .

والافتراض الثالث هو بطبيعة الحال الجماعة الاسلامية . وجماعة الجهاد بالذات التى كان فقيهها محمد عبد السلام فرج صاحب « الفريضة الغائبة » وقائدها العسكرى . عبود الزمر ضابط المخابرات العسكرية بالقوات المسلحة ، وهو الافتراض المسلم به ، وتؤيده التحقيقات ، ويكون هذا الافتراض أكثر صدقا اذا قلنا انه الجناح العسكرى لجماعة الجهاد فى الجيش . فقد بدأت الجماعة الاسلامية تجند أنصارها فى القوات المسلحة ، ضباطا وجنودا ، وكان معروفا لدى المخابرات العسكرية ، مما دعا الى تصفية أكثر من مائة ضابط ذوى ميول دينية بعد حادث الاغتيال . ولم تكن جماعة متطرفة بالمعنى الحهازى للكلمة ولكنها كانت جماعة تؤمن بضرورة الجهاد لقيام الدولة الاسلامية ، والاعداد لذلك ، ولكن الذى أسرع بالتنفيذ شيئان : الاول

هو الحكم على الرئيس بالكفر بالادلة الشرعية . وبفتوى من فقهاء الجماعة ، والثانى اعطاء الرئيس نفسه اشارة البدء بقرارات سبتمبر وخطبته فيها خاصة الاخيرة يوم ١٩٨١/٩/١٥ التى كانت بمثابة آخر مسمار دقه فى نعشه .

لقد أصدر تنظيم الجهاد حكما بكفر الرئيس . فهو كافر لانه لا يحكم بما أنزل الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » (٥ : ٤٤) . وقد أصدر د. عمر عبد الرحمن فتوى رسمية بهذا المعنى أى بصواب قتل الحاكم الكافر ، وقد كان موضع ثقة الجماعة خاصة بعد أن اختاروه أميرا عاما للجماعات . اذ أنه رجل مدين يثق فيه عبد الله السماوى ، ويعطى دروسا دينية ، ويشرح سورة التوبة والانفال عن وجوب قتال المشركين والكفار . كان محمد عبد السلام يتحدث بعد الصلاة فى المساجد عن تكفير الرئيس ، وحكم الاسلام فى وجوب قتال الكفار . وقد تكون اباحة دم الرئيس نتيجة طبيعية للحكم عليه بالكفر . فالحاكم حلال قتله . وهذا الحكم لم يكن اجتهادا فحسب ، بل اعتمد على اجماع الامة وعلى نصوص الكتاب والسنة . وبالتالى فهو حكم له ما يؤيده فى الشريعة ، مستقلا عن الافراد وعن الفقهاء ، حكم موضوعى مستقل له وجوده فى التاريخ ، ويعمل كدافع فى سلوك الناس ، ويحثهم على الاقدام والمبادرة .

وجاء فى أقوال عبود الزمر أن تكفير الرئيس وتحليل دمه كان قد صدر من أهل الفقه مثل محمد عبد السلام « كان قد أفتى بحل دمه منذ عدة شهور » . ويحتمل أن يكون قد درس هذه القضية مسبقا وحدد موقفه منها ، وهذا هو المتوقع من مثله ، كعالم يستفتى دائما فى هذه الامور .. ولكن يبدو أن عبد الحميد عبد السلام أحد

الاربعة الذين نفذوا العملية كان اكثرهم وعيا بأسباب الاغتيال بقوله « الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ومصداقا لقوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » صدق الله العظيم . والدولة توجد بها مفاسد من تشجيع على جذب السياح ، ومن خمور وربا ، وتقديم شرار القوم وتأخير خيارها . والعمل على الاقلال من قيمة المسلمين ، والسخرية من علماء المسلمين المخلصين ، والميل كل الميل على الاخوة الملتحين ، والسخرية من الحجاب الذى فرضه الله تعالى على نساء المسلمين ، وتبديل شرائع الله بقوانين وضعية ، والتضييق على المسلمين فى بناء المساجد ومن يعطون دروس العلم بالقبض على العلماء ، كل هذا كان من الدوافع التى جعلتنى أفكر فى تغيير هذا المنكر أو وضع حد له ، وكان أملنا فى مجلس الشعب عندما تعين صوفى أبو طالب رئيسا له واصدار قرارات بتقنين الشريعة الاسلامية وحتى الآن لم يحدث أى تقدم أو جديد فى هذا الامر ، بالرغم من أن أى قرارات عادية يتخذها رئيس الجمهورية أو من قوانين الاحوال الشخصية تنفذ على الحال دون عوائق . وكذلك التشبيه بأن ثورة الخمينى ثورة اسلامية على الرغم من أن الخمينى يبعد كل البعد عن تطبيق الشريعة الاسلامية لانه شيعى ، والشيعة يعملون على قتل السنية . هذا التشبه يشوه صورة الحكم الاسلامى الصحيح ، فهو تشبيه فى غير محله . كل هذه الاشياء جعلتنى أضع فى مخيلتى ومعتقداتى أن نظام الدولة يعمل ضد الاسلام وليس لصالح الاسلام . والواجب على المسلم الحق الامر بالمعروف وأن يغير المنكر خصوصا اذا كان القائمون على هذا المنكر هم أئمة هذا البلد ، وكل هذا كان تبديلا لشرائع الله » . ويقول عبد الحميد عبد السلام « وأخبرنى خالد فى نفس اليوم أنه يعمل خطة » . ويقول حسين عباس « ان هذا

الامر لا يحتاج الى علم كثير ولكن ما أعلمه أن هذا الظالم كان لا يحكم فينا بكتاب الله أولا ، ثم انه كان يستهزىء ببعض آيات الله سبحانه وتعالى مثل انه قال على الحجاب الشرعى انه خيمة ، وكان يحـارب المسلمين فى كل مكان بجنوده واقصد بالامن المركزى حتى أنهم دخلوا بعض المساجد وقبضوا على من فيها ، وضربوا فيها قنابل الدخان ، وحاربوا علماءنا ، وأصدر أوامره بالقبض عليهم لانهم يقولون قولة الحق بحجة أنه يريد أن ينهى الفتنة الطائفية ، واعتقـل رجاله الكثير من المسلمين حتى أنهم كانوا يقبضون على النساء من الشوارع • وهو قد خرج من دين الله بكلمة قالها وهى « لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين » • وشتم العلماء على الشاشة الصغيرة وقولهم انهم كلاب اذ قال ان المحلاوى مرمى فى السجن زى الكلب ، وقال عن الشـيخ حافظ سلامة بتاع السويس لا أتحدث عنه لانه مجنون ، (وهو قائد المقاومة الشعبية فى السويس فى حرب أكتوبر ١٩٧٣) ، وشوه صورة الانسان المسلم ذى اللحية ، وقال انه مضلل وقال كلاما كثيرا •• وقال أن هؤلاء العلماء الذين هم فى السجون هم الذين يضللون الشباب المغرر بهم بينما هو الذى يضلل علماء الناس •

ويقول عطا طايل ردا على سؤال للمحقق « ولكن الرئيس محمد أنور السادات رحمه الله هو الذى أدخـل فى الدستور لاول مرة فى تاريخ البلاد أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ؛ وكان يصلى ويصوم ويقرأ القرآن فما الذى جعلكم تيأسون من تنفيذ ما عزم عليه عندما أدخل هذا النص فى الدستور ؟ وهـو سؤال يدل على استخدام المظاهر الاسلامية نفاقا وخداعا لتغطية مفاسد الدولة • لا يهمنا نص على ورق ، ولكن الذى يهمنا هو التنفيذ ، وكل ما نراه

هي حتى ما تبقى من الشريعة الاسلامية وهو قانون الاحوال الشخصية قام بالغائه ووضع قانونا جديدا ، وتم الغاء قانون الاحوال الشخصية والقضاء على هذا الحاكم الذى لا يحكم بما أنزل الله وهو الرئيس أنور السادات وذلك معلوم من كتب الفقه « ان المرتد حلال الدم » • ويقول خالد : وأنا قلت له (محمد عبد السلام) انى مشترك فى العرض وممكن أقوم بأى حاجة تخلصنا من هذا الحاكم الظالم فرحب بهذه الفكرة ، وأبدى استعداده لاى مساعدة أحتاج من الافراد أو الذخيرة ، وكان يتكلم عن موضوع اتفاقية السلام وقال « أنه من الخطأ أن نتصالح مع اليهود » • ويقول عطا طايل أحد الاربعة « ولقد بينا لرئيس الجمهورية هذه الاحكام على لسان أئمة كثيرين ، ولم يرض بتنفيذ أحكام الله سبحانه وتعالى متحججا بحجج ما أنزل الله بها من سلطان بل تعدى الامر ذلك وطالب بفصل السياسة عن الدين ، وهذا ليس من الاسلام فى شىء لان الديمقراطية هى حكم الشعب نفسه بنفسه يمكن أن يقودنا القائد ؟ فان ادعى الديمقراطية فهذه الكلمة ليست من الاسلام فى شىء لان الديمقراطية هى حكم الشعب نفسه بنفسه فيستطيع مجلس الشعب أن يقر أى قرار توافق عليه الاغلبية دون الرجوع لكتاب الله ، وأكبر مثل على ذلك هو الديمقراطية فى بريطانيا • فبينما وافق مجلس اللوردات على اباحة اللواط أصبح اللواط شيئا شرعيا فى بريطانيا • وهذا دليل على الديمقراطية عندهم • وموافقة المجلس الممثل فى السويد على تعدد الازواج للزوجة تحت اسم الديمقراطية ، وموافقة مجلس الشعب المصرى على اباحة الرقص والافلام الهازلة أو الهابطة وبيع الخمور وعلمه بجميع فضائح الدعارة وما أشبه ذلك • فلفظ الديمقراطية هذا مرفوض لدى المسلمين ، ولن

يكون لنا منهج الا كتاب الله تعالى « ان الحكم الا لله » • فالله سبحانه وتعالى قد بين لنا اطارا عاما للحكم وترك لنا أشياء نختارها نحن لتناسب كل زمان ومكان ، ومعارضة رئيس الجمهورية لامر الله سبحانه وتعالى بأن تبقى المرأة فى بيتها ولا تخرج الا للضرورة ، والاستهزاء من حكم النقاب للاسلام والسخرية به وهو حكم الهى به نص شرعى فى القرآن • ولقد ازداد الامر استفحالا حينما قام باصدار أوامره بالقبض على كل من يدعو الى الله ومعاداته لكل من يعمل فى سبيل الله ، وتركه للكافرين ، ولم يقم بسجنهم كما قام بسجن المسلمين • كل هذه الادلة أدت الى أنه لابد من استخدام القوة للقضاء على هؤلاء الحكام الذين أحاطوا أنفسهم بسياج من الحديد لا يمكن الوصول اليه » • أما الاسباب المباشرة لتنفيذ الاغتيال فقد قدمها الرئيس نفسه فى قرارات سبتمبر ، وخطبة ١٩٨١/٩/٢٥ أى الاجراءات الاستثنائية الاخيرة والقبض على أعضاء الجماعة والزج بمشايخ المسلمين فى السجون ، وليس القبض على واحد بعينه ، شقيق أو قريب أو صديق بل على عموم أهل مصر • ثم سب رجال الدين ، والاخوة الملتحين ، والسخرية من الحجاب ، وهى سنن عن الرسول ، والتعدى على حرمات المسلمين ، وسب نساء المؤمنين ووصفهن بأنهن كالكراسى أو كأنهن كالخيام ، ثم قوله « لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة » وهو قول جاهل بأحكام الدين ، وتبديل الشرائع الوضعية بشرائع الاسلام ، والنفاق الدينى ، والصلح مع اسرائيل مما يدل على وعى سياسى متضمن فى الوعى الدينى •

والحقيقة ان روح مصر هى التى غيرت وجه مصر • وما الضابط خالد ورفاقه ، وجماعة الجهاد . والاصولية الاســلامية الا الجانب التنفيذى فقط ؛ بعد أن كانت الجماعات اليسارية السرية التقليدية هى التى لها شرف تغيير التاريخ • ولقد وصلت مصر الى طريق مسدود بسياساتها خاصة فى الخمس سنوات الاخيرة حتى أصبحت جثة هامدة تعيث فيها الهوام وتنهش فيها الطيور الجارحة • لما بدأت روح مصر تبعث من جديد فى المعارضة ، وأراد الرئيس تصفيتها أى القضاء على روح مصر ، ثارت غريزة البقاء وحدث الانفجار • فان الضابط خالد ورفاقه يعبرون اذن عن اجماع وطنى شامل ، وكان هو مجــرد الادارة المنفذة لارادة شعبية عامة ؛ وتجلت فى روح مصر الجامعة بين الاسلام والوطنية وطهارة الشباب ومثله ، والعلم النافع ، المقرون بالعمــل ، والرغبة الصادقة فى الشهادة •

٨ ــ جماعة الجهاد ، فكرا وعقيدة [١٨] •

جماعة الجهاد ضمن الجماعات الاسلامية ، كانت الاداة المنفذة لانفجار اكتوبر ١٩٨١ نظرا لفكرها وممارساتها • ويقوم فكرها على عقيدة الجهاد ، تلك الفريضة الغائبة التى تركها المسلمون ، فانهــارت دولتهم ، وقبلوا الضيم والهوان ، وتقوم ممارساتها على قتال الحاكم الظالم فردا أو جماعة ، مواجهة أو اغتيالا بناء على تكفير الحــاكم كفرد مسؤول عن الامة ، أو بثورة شعبية عامة تبدأ من الجيش ويساندها الشعب (عبود الزمر) • فانفجار اكتوبر انفجار عقائدى بالاساس ، ويدل على ذلك أسئلة المحققين المتلاحقة لكل المتهمين ال ٢٤ : هل قرأت الفريضة الغائبة ؟ وكان كتيبا صغيرا لا يتجاوز الخمسين صفحة قادر على تغيير وجه مصر وقلب موازيين القوى فى المنطقة ؟ وهو كذلك بالفعل مما يدل على أهمية العقائد فى المجتمعــات ، وقدرتها على التأثير فى الناس خاصة الشباب الاطهار ، المثالى النزعة بالطبيعة ، المســتعد للشهادة بالتكوين ، كان الجانب النظرى أكمل من الجانب العملى • كان هناك علم الجهــاد دون أن تكون هناك قيادة فعلية لعملية الجهاد •

---

(١٨) جريدة « الوطن » : الاربعاء ١ ديسمبر ١٩٨٢ ، ووضعت الجريدة الجريدة المانشتات الآتية :

- الجماعات الاسلامية ومستقبلها على ضوء قضية السادات (٩) .
- جماعة الجهاد ، فكر وعقيدة .
- آية السيف ناسخة لآية الدعوة .

ووضعت نصا من اقوال التحقيقات ونقلته من الهامش الى صــلب الدراسة . وأعلنت فى نهاية الحلقة : الحلقة القادمة ، جماعة الجهاد ، طريقا وممارسة .

وهذا ما يفسر الاسراع فى التنفيذ ؛ وكيف ان الفكرة أتت فى ذهن الجماعة اسبوعين قبل الحادث بمجرد اشتراك خالد فى العرض بناء على أمر اللواء • ويظل تجهيز الاعضاء عقائديا أهم جانب فى ممارسة الجماعة •

تشمل الجماعة اذن جانبين ، العقيدة والطريقة أو الفكر والممارسة، فالعقيدة هى التوحيد والمنهج ؛ والطريقة هو الجهاد • ويختلط فى ذهن الاعضاء التوحيد فى التصور القديم أى الاسماء والصفات والتوحيد العملى الذى تحدث عنه الفقهاء والذى تنتسب اليه جماعة الجهاد • وكان فقيه الجماعة فى القاهرة على اتصال دائم بجماعة الصعيد وفى نقاش مستمر معهم يتأثرون به ويبلغون رسالته • واحيانا يصعب التمييز بين الجانبين نظرا لان مفهوم « الحاكمية » ينبثق عن التوحيد وفى نفس الوقت أساس الدولة الاسلامية والدليل الشرعى على قيامها • ومع ذلك يغلب التوحيد العملى على التوحيد النظرى كما هو الحال فى الحركة الاصلاحية منذ محمد بن عبد الوهاب تبعا لابن تيمية وابن القيم حتى الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا والحركات الاسلامية المناهضة للاستعمار مثل السنوسية والمهدية • ففى مثل هذه العقائد يمحى الفرق بين النظر والعمل ، بين العقيدة والشريعة كما هو الحال فى الماركسية تماما • وستظل هذه العقيدة تولد تنظيمات وحركات سرية أو علنية • ويكون السؤال حينئذ ليس فى كيفية القضاء عليها بل كيفية توجيهها وصبها فى المشروع القومى الواحد • وردا على سؤال ما هو فكر ومنهاج جماعتكم وفكر وجماعة محمد عبد السلام يرد فؤاد الدوالبيى : « الفكران واحد • وينقسم قسمين وهما التوحيد، الاسماء والصفات ، والمنهاج والهدف هو الحكم بكتاب الله عن طريق

الجهاد فى سبيل الله وذلك باحداث انقلاب فى نظام الحكم مستخدمين الاسلحة » • ويذكر فؤاد الدواليبى انه لمـا رجع من مصر قال انه تابل محمد عبد السلام وانه على فكر اسلامى سليم ويتكلم عن الاسلام وشموليته • ومن حوالى سـنة انتقل الفكر الى تنظيم •• ومن القراءات عرفنا ان الجهاد شمولية الاسلام والجهاد المسلح فى سـبيل قلب نظام الحكم لان الحكم فى مصر لم يكن يحكم بما أنزل الله • ويقول دُرم زهدى ردا على سؤال : « ما الغرض من قيام الدولة الاسلامية ؟ » هو تحكيم كتاب الله فى الارض ، وما يتبعه من حدود شرعية وحكومة اسلامية وسلوك اسلامى ومظاهر اسلامية واعلام اسلامى ، وعلم وثقافة شرعية ورفع لراية الاسلام فى البلاد » •

وتقوم عقيدة الجهاد أولا على فكرة الحاكمية وعلى أساسهـا يتم ادخال الاعضاء الجدد أو الاتفاق مع قدامى الاعضاء على بداية الفعل والتنفيذ • وقد كانت الفكرة الموضوع الرئيسى فى حديث المشايخ السياسيين • ويؤمن بها كل أعضاء الجماعة سواء من يؤيد منهم طريق العنف أو من يفضل طريق النصيحة • ونظرا لاهمية الحاكمية كان المحقق كثير السؤال عنها وعن اقتناع أعضاء الجماعة بها وعن أثرهـا على شرعية القوانين الوضعية فى الدولة وضرورة تبديلها بشرائع الله ، ولا يفترق فى ذلـك قانون الاحوال الشخصية عن القانون الجنائى أو القانون المدنى وسائر النظم الاسلامية • ولكن تبديل قانون الاحوال الشخصية كان هو « القشة التى قسمت ظهر البعير » لانه يمس حياة الانسان الخاصة ، وكأن نظام الاسرة له الاولوية على نظام المجتمع •

ويبين عبد الحميد عبد السلام ان بداية العملية كان الاتفـاق

فى العقيدة مع خالد ومحمد عبد السلام فرج « الاتفاق بيننا على الآيات الحاكمية » . ويقول ممدوح محرم ، ضابط مهندس مقدم « بدأت فى الالتزام فى بداية السبعينات بالعبادات وبدأت أقرأ كتب التفاسير والفقه المختلفة » . وفى بداية ١٩٧٧ بدأت أواظب على الخطب والدروس للدعاة الذين يميلون الى الخوض فى السياسة وخلطها بالدين أمثال الشيخ عبد الحميد كشك ، والشيخ يوسف البدرى ، والشيخ عبد الرشيد صقر ، والشيخ المحلاوى من الاسكندرية ، وأيضا الشيخ آدم صالح من المطرية . وقابلت طه السماوى وشهرته عبد الله السماوى . ومن سماعى لهؤلاء اعتنقت فكرة الحاكمية ، وهى الحكم بما أنزل الله . ووجوب قيام الدولة الاسلامية . وبالرغم من تنكر د. عمر عبد الرحمن لاساليب العنف وفتوى اباحة دم الرئيس الا أنه يؤمن أيضا بالحاكمية قائلا « يكون الحاكم بغير كتاب الله كما جاء فى القرآن «فأولئك هم الكافرون» ، «فأولئك هم الظالمون» ، « فأولئك هم الفاسقون » . فان كان الحاكم قد نوقش وجودل فى هذا الامر أى فى وجوب الحكم بكتاب الله وعدل عنه أى عدل عن الحكم بكتاب الله ورأى ان القانون الوضعى أفضل منه فهو كافر . وان لم يناقش أو يحاج فى هذا فهو ظالم أو فاسق . وفى هذه الحال لا يصح قتله أى فى حالة الظلم والفسق . ويقول طارق الزمر اجابة على سؤال ما هو سندكم فى اباحة الاغتيالات ؟ قول الله عز وجل « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وكانت الجماعة على وعى بالمسألة الفقهية حول عموم الحكم وخصوصه . فكل من يرفض الحاكمية ويعتبر أن السلطة من الشعب

عن طريق البيعة يجعل آيات الحاكمية أحكاما خاصة فى وقائع خاصة فقد نزلت هـذه الآيات فى أهل الكتاب • ولكن الجمـاعة تأخذ بالرأى الآخر ، وهو الاصح شرعا ، الذى يجعل آيات الحاكمية احكاما عامة بالرغم من نزولها فى وقائع خاصة لان أسباب النزول لا تمنـع من التعميم • والحاكمية ليست للسلطة أو للحاكم بل للشريعة ، والسلطة مجرد أداة تنفيذ لشرع الله •

وينتج عن فكرة الحاكمية ، تكفير النظام القائم ، وتكفير الحاكم والخروج عليه ، وجواز قتاله ، واغتنام أموال الدولة ، ويحاربه الجيش والبوليس ، واعتبار الخدمة فيهما كفرا • فلا طاعة الا لامام ، ويجب عصيان امارة الكفر والسفه والجاهلية • تؤدى فكرة الحاكمية اذن الى تقويض شرعية النظام القائم • الحاكمية هى نقطة البداية والخروج على النظام هى النتيجة • وهو الاستدلال المتبع فى الجماعات الجذرية التى ينقلب فيها الوعى الدينى الى وعى سياسى ، مثل جماعة الجهاد ، استدلال يقوم على الانتقال من الفكر الى الواقع ومن المبدأ الى الفعل • وهو نفس الاستدلال الذى تتبعه جماعة التكفير والهجرة ، ولكن بأسلوب آخر ، العزلة وليس القتال • ولا يحدث أبدا تحليل الوضع القـائم والانتهاء الى ضرورة تغيير النظام الى نظام آخر برىء من العيوب يكون هو النظام الاسلامى الذى يقوم على فكرة الحاكمية ، وهو المنهج الاستقرائى الذى ينتقل من الواقع الى الفكر ، ومن الفعل الى المبدأ • وليست الحاكمية هى فكر الجماعة فحسب بل هى الواقع الذى يراه من هم خارج الجماعة لتفسير سلوك الجماعة بأنه يقوم على فكر دينى « متطرف » ، يكفرون الحاكم استنادا الى قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » • فالحاكمية تعبير عن الوحدانية ،

والوحدانية ضد الشرك • وبالتالى استحالت أن تقبل الحاكمية موالاة المؤمنين للكافرين • ومن ثم انتقلت الحاكمية الى مستوى العمل فى ايجاد التعارض بين طرفى الايمان والكفر • وبالتالى تستلزم الحاكمية ممارسة الجهاد • الاسلام دين ودولة ، دنيا وآخرة ، عقيدة وشريعة • وان هذا التعارض هو السبيل لاقامة الدولة الاسلامية ولا يمكن تحقيقه الا بالسلاح والعنف • وعلى هذا يتطابق تماما التعارض بين الايمان والكفر على مستوى النظر مع التعارض بين الحاكمية والجاهلية على مستوى نظم الدولة • .

ووجدت جماعة الجهاد سندا لها فى التاريخ فى « فتاوى ابن تيمية » ورأيه فى التتار • فهم قد دخلوا الاسلام ويقيمون الشعائر ، ويبنون المساجد ، ولكنهم يحاربون أهله ، ويقبضون على العلماء ، ويزجون بهم فى السجون ، اذا ما عارضوهم ، ويحكمون بغير ما أنزل الله ، بقانون جديد هو « الباسق » مجموعة من الشرائع اليهودية والمسيحية والوثنية والاسلامية ، كما يفعل المسلمون اليــوم عندما يحكمون بالشرائع الوضعية • وقد أصدر ابن تيمية فى حقهم وفى حق قائدهم جنيكز خان فتوى بوجوب قتالهم مثل قتال أهل الكفر ، وقاتل هو ضدهم ، ولم يؤثر فقيه حتى الآن فى تاريخ الامة كما أثر الامــام أحمد بن تيمية ومجموعة فتاويه • فهو المرجع الاول والاخير لهم • يذكر اسمه باستمرار ، وهو مازال يفعل فى روح الامة ، يعبر عن واقعها منذ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الاصلاحية الحديثة حتى محمد عبد السلام فرج صاحب « الفريضة الغائبة » • ثار الشعب عليهم بقيادة ابن تيمية درءا للمفاسد وحماية للاسلام كمضمون لا كمظهر وكحق لا كنفاق • وتؤكد الجماعة انه ما أشبه اليوم بالامس ، وبأن

مجتمع التتار القديم يشابه مجتمعنا الاسلامى الحالى • وأوجـه الشبه كثيرة منها : عدم تطبيق الشريعة الاسلامية ، واستبدال قانون وضعى بدلا عنها ، والسخرية من علماء الاسلام ، والهزؤ بالسـنة مثل اطلاق اللحية ، والخمار ، وأن تقر النساء فى البيوت ، وتغيير قانون الاحوال الشخصية ، وعدم الجدية فى تطبيق الشريعة الاسلامية ، والنفاق الدينى الذى لا يتعدى الكلام دون الفعل بحجة الاستعداد والاعداد واحتياج ذلك كله الى وقت طويل • .

والحقيقة ان الماضى هو الذى فرض حكمه على الحاضر بنـاء على أزمة الحاضر وعزلة الفكر الإسلامى عنه • فسرعان ما ألقى الحاضر بثقله كله فى الماضى فوجد المبررات الكافية للخروج على الدولة دون مراعاة لاختلاف الظروف التاريخية بين الماضى والحاضر ، انتصـار القدماء وهزيمة المحدثين • ويدافع أمين الجماعة عن هذا التشابه بين تتار الامس وحكام اليوم فى أقواله وردوده على أسئلة المحقق كالآتى :

س : جاء فى هذا الكتيب صفحة ١١ مقارنة بين التتار وقلت فيه ان القانون الذى وضعه هؤلاء التتار واسمه « الباسق » والذى كان مطبقا على الاراضى الاسلامية التى سيطروا عليها أقل جرما على حد تعبيرك من الشرائع المطبقة فى مصر المأخوذة من القوانين الغربية فما وجه التشبيه الذى أورته فى كتابك هذا ؟

ج : التتار لم يطبقوا شريعة الاسلام كاملة وحكام اليوم لا يطبقون من الاسلام شيئا •

س : وهل تعلم فى تاريخ الزمان كله من هم أشد جرما وفسادا فى الارض من التتار الذين ألقوا جميع المراجع الاسلامية التى كانت

فى بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية فى نهر دجلة حتى اسود ماء النهر من مداد هذه الكتب فقضوا نهائيا على كل مكونات الفقه الاســلامى عدا ما كان بمصر والذين أحرقوا بغداد ودمشق وحلب والذين كانوا لا يميزون فى قتالهم بين المقاتلين وغير المقاتلين من النســاء والاطفال والشــيوخ ؟

ج : صور الحرب على الاسلام على مر العصــور من قبل الحكام متعددة ومختلفة فى الاساليب حسب العصر وحكام اليوم أيضا يحاربون الاسلام بصور مختلفة .

س : من الذى دلك على مثال التتار هذا ؟

ج : قراءاتى لابن تيمية .

س : ألا تجد فى هذه المقارنة غلوا كبيرا .

ج : ليس هناك غلو فى المقارنة .

س : أوضح كيف كان ولى الامر الذى حرضت وأعنت على قتله رحمه الله يحارب الاسلام والمسلمين كحرب التتار لهم ؟

ج : كفاه حربا على الاسلام أنه كان يمنع شرع الله وحكم الله من أن يقوم فى هذا البلد المسلم والذى يتشوق اليــه كل مســلم واضطهاده للمســلمين ولدعاة الاسلام وعلماء المسلمين واســتهزاؤه بأحكام الله ووصفه زى زوجات النبى صلى الله عليه وسلم بأنه خيمة واضحاكه للسذج وناقصى العقول الذين كانوا يستمعون اليه فى مجلس الشعب وغيره من فرائض الله .

س : وما هى فرائض الله التى أضحك الناس عليها كما تقول ؟

ج : وصفه للزى الذى كن يرتدينه زوجات النبى صلى الله عليه

وسلم بالخيمة ، ووصفه لالتزام المرأة ببيتهــا وحسب أمر الله تعالى « وقرن فى بيوتكن » بانه تخلف ، ووصفه للشباب المسلم الملتزم بأوامر الله انه مهووس ومتطرف •

ولما كان التراث الفقهى معاشا فى قلوب الجماعة فانه أصبح ذاتا وموضوعا فى نفس الوقت • ولم تكن الجماعة بحاجة الى واقع حاضر تحلله وترصد علله حتى يمكن بعد ذلك القياس على الماضى • فالقوانين الوضعية الحالية ليست كلها كفرا ، اذ يجمعها والشريعة الاسلامية فكرة المصلحة • وفى بدايات الاسلام لم ير فقهاء المسلمين أى غضاضة فى تبنى بعض القوانين الرومانية والفارسية مادامت لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، وتحقق مصالح الناس خاصة تلك التى تنظم شؤون الدنيا مثل الزراعة والرى وتدوين الدواوين بل وبعض العادات والاعراف والتقاليد خاصة فى مصر • فواضح ان فكر جماعة الجهاد فكر مبادىء لا فكر وقائع ، يحكم بالاصل دون تحليل للفرع ودون بحث فى العلل ، مما يدل على أن أحكام القياس الشرعى لم تطبق بل فرضت أزمة الحاضر نفسها على الماضى ووجدت انفجاراتها فيه • فلولا معاداة الدولة للجماعات ولولا مظاهر الفساد فى الدولة ، لولا هــذا الفصام فى الشخصية الوطنية بين الكثرة والقلة لما وجدت القلة حريتها فى الماضى ، ولما تعرفت على نفسها فيه •

والطابع الغالب على قراءات الجماعة هو فكر الفقهاء وفى مقدمتهم مجموعة « فتاوى ابن تيمية » ، و « نيل الاوطار » ، و « فتح القدير » للشوكانى تلميذ ابن تيمية من خلال محمد بن عبد الوهاب فى اليمن ، « سبل السلام » للصنعانى ، وكتب ابن القيم تلميذ آخر لابن تيمية ،

و « فتح البارى » لابن حجر العسقلانى ، و « المحلى » لابن حزم و « المغنى » لابن قدامة . هذا بالاضافة الى كتب التفسير والحديث والسيرة ثم كتب التاريخ مثل ابن كثير « البداية والنهاية » . ووجدوا فى هذا التراث الفقهى الدينى تعبيرا عن حاجات عصرهم ، وعلى رأسها الاصلاح والتغيير . فقد كان الفقهاء أهل اصلاح وتغيير ، وكانـــوا الحراس على الشرع والراعين لمصالح الامة . هم أضافوا الى كتب القدماء بعض مؤلفات المحدثين مثل الشيخ سيد سابق « فقه السنة » وكتب سيد قطب دون أن يظهر « معالم فى الطريق » خاصة مما يدل على تجاوز جماعة الجهاد له وان كان خير معبر عن الجماعات الاسلامية كلها بعد عصر الاضطهاد . وقرأوا سبع رسائل لجهيمان قائد الهجوم على الحرم فى مكة وكتاب الجهاد لصالح سرية ، زعيم حزب التحرير الاسلامى ، وقائد عملية الفنية العسكرية فى ١٩٧٤ مما يدل على طابع الفكر الملتزم فى جماعة الجهـــاد ، والتواصل التاريخى منذ ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب حتى صالح سرية وجهيمان العتيبى ومحمد عبد السلام فرج . ولكن الاسلام لديه فوق المذاهب ، ويتجاوز الفـــروق التاريخية ، وهو الاسلام الاول قبل نشأة المذاهب والفرق .

وكان من الواضح ان لفكر الجماعة جذورا عند الفقهاء . ولكن الاولوية عندهم كانت لظروف العصر ، البنـــاء النفسى للشباب المسلم الممزق بين حلم التاريخ والواقع المجهض . فتكفير الحاكم المسلم الذى يطبق الشرع موجود فى كتب أهل الســـلف وفى كتب الخلف . ولكن الدافع على اصدار الحكم كان هو الفساد المستشرى فى الدولة والنفاق الدينى الذى يعم حكامها وأجهزتها .

فالتراث اذن بأصالته وقد

ما يريد ، وما يحفظ له دولته وما يحافظ له على هويته ، وما كان أسهل من سريان عقيدة الجهاد فى هـذا الشباب المسلم الطاهر ، والطبيعة البشرية تنحو نحو الولاء لقضيته والشهادة من أجل مبدأ .

وهنا تأتى عقيدة الجهاد ، الفريضة الاسلامية التى فرضها الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، لتحقيق الحاكمية والقضاء على نظام الجاهلية ، ودولة الكفر . لذلك نسخت آية السيف كل ما قبلها ، وأصبح القتال شريعة المسلمين ، وكما حارب أبو بكر مانعى الزكاة . وهى العقيدة التى بدأ فيها أيضا صالح سرية وحزب التحرير الاسلامى والذى كتب أيضـا كتيبا عن الجهاد . والجهاد قمة الفكر الاسلامى وكل ما دونه أقل منه مثل الايمان والنصيحة والامر بالمعروف والنهى عن المنكـر . ويكون رقى الانسان فى مراتب الايمان هو ارتفاعه الى مستوى الفكر « الجهادى » . بل ان الدعوة بالحسنى واقامة الشعائر الدينية هى أيضا ترتفع فيما بعد الى مستوى الفكر الجهادى . وفقيه الجماعة نفسه كان على فكر الدعوة فقط «ولكن من خلال قراءاتى ارتفعت الى مستوى الجهاد وذلك من حوالى ثلاث سنوات » . وقـد كان نبيل المغربى على هذا الفكر من قبل .

وقد كان الحث على الجهاد يتم فى المساجد بحديث يسحر القلوب، يخاطب فى التماس روح الولاء والتضحية فى ظروف العمالة والخيانة والسعى وراء حظوظ الدنيا . وكان لابد أن يأتى فعله فى الشـباب الطاهر . وآية السيف عند جماعة الجهاد ناسخة لآية الدعوة ، وآية الدعوة منسوخة بآية السيف . وبالتالى يكون الجهاد فريضة دائمة وحكما الهيا . وهو حكم شرعى معروف عند الفقهاء فى حالة الدفـاع

عن الديار . ولا يأخذ الفقهاء الحكم الثانى الا فى حالة الاستسلام والعجز عن قيادة الامة .

وكان لفقيه الجماعة القدرة على اقناع الاعضاء باتباع أسلوب الجهاد لقيام الدولة الاسلامية ، وكان مفتيها يصدر الفتاوى الشرعية المباشرة . وكان قادرا على تحويل أية جماعة تنتهج سبيل الدعوة بالموعظة والارشاد ويرتفع بها الى مستوى الفكر الجهادى . وكان دعاتها يركزون على سور القرآن وآياته الداعية الى الجهاد يقرأون فيها احتياجاتهم ، ويجدون فيها ما ينقصهم . وكان استخدام القوة نوعا من الرمز على الاستعداد للتضحية والشهادة ، والقوة المسلحة أعلى درجات الرمز ، فالجماعة دولة فى مقابل دولة ، وشرعية فى مقابل اللاشرعية وان أعلى درجة من درجات الفعل هو الفعل باليد والمستند الى الشرعية .

ويقول محمد عبد السلام فرج أنا أقنعت كرم بفكر الجهاد ولاقامة الدولة الاسلامية .. لم يكن منهاج الأغتيال والتغيير بقوة السلاح .. غير مناهجهم بحيث يكون غير قاصر على الجامعة بل يكون شاملا للدولة بأسرها ، ولا يكون قاصرا على استخدام اليد وانما شاملا للاسلحة وغير ذلك من أدوات القتال .. اقنعت بفكر الجهاد وشرعيته ووجوب قيام الدولة الاسلامية باستخدام القوة المسلحة . ويقول أيضا : اننا نهدف الى اقامة الدولة الاسلامية بأسلوب الجهاد وبقوة السلاح واستفتيناه أى د. معر عبد الرحمن فى ذلك فأفتى بأن ذلك فرض على المسلم وأفتى بكفر الحاكم وحل دمه شرعا .

ويقول فؤاد الدواليبى عن فتوى د. عمر عبد الرحمن « عرضنا

على د. عمر انا جماعة تدعو لشمولية الاسلام والجهاد المسلح لاحداث انقلاب باستخدام القوة وانا جماعة منظمة من ناحية الاعداد والسلاح وفيه أمور شرعية لا نستطيع البت فيها وطلبنا منه على أساس انه رجل عالم وان يرأس هذه المجموعة للرجوع اليه فى أى فتوى خاصة بهذا العمل . وقبل بعد رفض شديد لانه كان يعتقد انه ليس أهلا لذلك . وكان اختيارنا للدكتور عمر لانه كان يدعو للجهاد فى المؤتمرات ».

وكان الحث الخطابى على الاسلام يلاقى اعتراضات من المستعمين عن الامكانية العملية والتشكك حول جدوى القتال الفعلى وكأن الجهاد داخل الامة غير الجهاد خارج الامة ، وان الجهاد داخل الامة هو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، والجهاد خارج الامة هو القتال والاستعداد للقتال ، وكأن جهاد المسلمين فى الداخل هو الدعوة والتذكرة، ومواجهة الحكام بالقول . ولكن فى حالة غياب الحوار ، وسيطرة الدولة على أجهزة الاعلام فان الدعوة باللسان تتحول الى دعوة باليد وتختفى معارضة الجمهور للجهاد باليد ، وتظهر المقاومة للبغى والتسلط والطغيان .

وكتاب « الفريضة الغائبة » هو انجيل الجهاد وهو باعتراف مؤلفه تجميع من الكتب وليس منعزلا عن « صالح سرية » بل من كتب السلف علماء المسلمين الذين كانوا يسلكون منهج النبى عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم . ومعناه الجهاد ، ويدعو الى مقاتلة الكفار أى الحكومة والنظام لانهم لا يحكمون بشرع الله ، ويعتمد فى ذلك على الادلة الشرعية من فقهاء أهل السنة ، وشرعية السلف ، وبالرغم من أن ما فى الكتاب له ما يشابه فى التراث سواء

فى الكتاب أو السنة أو فى كتب الفقه الا أن أثره فى نفوس الشباب كان ضخما نظـرا لانه يعبر عن حالة نفسية ، الثقة بالنفس فى مواجهـة الضياع ، والعزة فى مواجهة الذلة ، والكرامة فى مقابل المهانة ، والقوة فى مواجهة العجز •

وقد أثر كتاب « الفريضة الغائبة » ايما أثر على أعضاء الجماعة • وكانت رسالته بسيطة تصل مباشرة الى قلوبهم ، الدعوة الى الجهاد ، ومقاومة السلطة ، وتغيير نظام الحكم بالقوة • ومن لم يقرأ الكتـاب سمع عن مضمونه فى أحاديث شفوية ودروس دينية وشروح لسورتى الانفال والتوبة • وهى كلها عن قتال الكفار والمشركين كما كان يفعل الاخوان قديما فى تحفيظ الاعضاء سورة « براءة » وهى بمثابة اعلان حرب على النفاق والمنافقين • وقد ظهر أثر الكتاب فى وقت يعلن فيه ان حرب أكتوبر هى آخر الحروب ، وانه يجب وضـع نهاية لسيل دماء الشهداء ، وان السلام هو طريق الرخاء فى الوقت الذى تهـان فيه كرامة مصر ، ويتصلب فيه العدو ، ويبنى المستوطنات ، ويرفض الانسحاب من الاراضى المحتلة • ظهرت فكرة الجهاد فى الثلاث سنوات الاخيرة منذ معاهدة السلام المصرية — الاسرائيلية فى مارس ١٩٧٨ • والتسليم بالصهيونية ، والتحالف مع الاستعمار • فلم تبق معركة تمتص طاقات الشباب ، ولم يعد للجهاد مكانة ، وهو الفريضة المعادلة للتوحيد والتى لا تنتهى الا بنهاية الزمان •

٩ ــ جماعة الجهاد ، طريقا وممارسة (١٩) .

للجهاد طريقان ، الاول قتال الحاكم وجها لوجه أو مباغتة ، مواجهة أو اغتيالا . والطريق الثانى احداث انقلاب فى الحكم بالقوة بمساندة الجيش والشعب ، وتغيير النظام بالقوة . الاول هو الطريق الفردى والثانى الطريق الجماعى ، ولكن تسبق الطريقين الدعوة والتذكرة والنصيحة ، وقولة الحق فى وجه السلطان ، فان لم يرعو السلطان وان لم يستجب للحق تجب مواجهته بالقوة اما فى الحال ، واما فى المآل ، فى الحال تعبيرا عن حق الشرع بصرف النظر عن التمكن ، وفى المآل بعد التمكن والاستعداد . ومواجهة السلطان فى الحال اما تكون وجها لوجه وفردا لفرد واما تكون بثورة شعبية عارمة يقوم بها الجيش وتسانده اللجان الشعبية الثورية . ويشرح كرم زهدى هذين الطريقين كالآتى :

س : وما الحكم فيما لو لم يلتزم الحاكم بأن يحكم بما أنزل الله ؟

---

(١٩) جريدة « الوطن » ، السبت ٤ ديسمبر ١٩٨٢ ، ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية ومستقبلها على ضوء قضية السادات (١٠)
- جماعة الجهاد ، طريقا وممارسة .
- هل كان اغتيال السادات انتقاما من ثورة يوليو ؟
- الاغتيال لم يكن هدفا بل مقدمة لثورة شعبية على الطريقة الايرانية .

ووضعت صورة لاغتيال السادات فى المنصة ، وثلاث صور لعبود الزمر ، وخالد الاسلامبولى ، ود. عمر عبد الرحمن .

واعلنت فى نهاية الحلقة : غدا ، يواصل د. حنفى مناقشة جماعة الجهاد ، طريقا وممارسة .

ج : الحكم فى ذلك كما أخبر الامام ابن تيمية هو أن ينصح فاذا نسى ذكرناه ، فأذا ابتعد وأصر جاهدناه حتى ينزل على حكم الله .

س : وما الوسيلة التى يمكن استخدامها فى جهاد الحاكم حتى ينزل على حكم الله ؟

ج : الوسيلة فى الجهاد تكون بشكلين الاول هو قولة الحق فى وجه السلطان ، والثانى هو الجهاد بالقوة . وفيه رأيان أيضـا رأى يقول بأنه يمكن بأى عدد من المسلمين أن يجاهد الحاكم ليحكم بمـا أنزل الله وان قتلوا جميعا ورأى يقول ان الجهاد يرجأ حتى يأتى الامام الذى يمكن الجهاد من خلفه . فلا جهاد الا خلف امام ممكن فى الارض بالاسـلام .

س : وهل أتى هذا الامام الممكن فى مصر ؟

ج : لا لم يأت الامام الذى يحكم بما أنزل الله ، وشريعة الله كاملة فى مصر .

س : لمن الرأى الذى ينادى بارجاء الجهاد حتى يأتى الامام الذى يمكن للمسلمين الجهاد من خلفه ؟

ج : هذا الرأى للامام جلال الدين السيوطى ، ورد فى كتـاب « الاتقان فى علوم القرآن » والله أعلم .

س : هل ترى ان هذا الرأى هو ما يتفق مع أحكام شريعة الله السمحاء ؟

ج : أرى ذلك الآن ، فاتفق مع هذا الرأى تماما .

طريق الجهاد الاول هو قتال الحاكم الظالم ، ويتم ذلك لانه هو الوسيلة الوحيدة المتاحة نظرا لعدم وجود جيش يستطيع الوقوف أمام جيش الحاكم الظالم ، وما سوى ذلك متروك لقدرة الله ، فالكافر دمه

مباح ، وتكفير الحاكم ليس موقفا لجماعة معينة أو حكما لفرقة بل هو حكم جميع المسلمين وجماهير الامة • وبالتالى تعبر جماعة الجهاد عن جماهير الامة الاسلامية واجماع الامة على تكفير الحاكم الظالم وقتاله واباحة دمه اغتيالا حتى ولو ادعى الايمان نفاقا وخداعا ، وتقوم بذلك ثأرا لدين الله وليس من أجل القبض على الافراد ، وان كانت قرارات سبتمبر وخطبه وسب رجال الدين فيها الاسـباب المباشرة للاغتيال • ولكن السبب الشرعى المبدئى هو حق الامة فى مواجهة الحاكم الظالم بالقوة والقضاء عليه بالسيف حتى ولو كان بأسلوب الاغتيال •

ويقول عطا طايل فى بداية أقواله مستشهدا بنصوص الحاكمية ورفض الموالاة « يقول الله تبارك وتعالى « •• وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » ويقول تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل •• الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم » • صـدق الله العظيم ، ولقد قمت بهذا العمل وهو قتال كل حكام لا يحكمون ولا يطبقون ما أمر الله سبحانه وتعالى به حتى لا ينطبق علينا قول الله تعالى عن فرعون « فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين • فلما اسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين » صدق الله العظيم • هنا يبين الله لنا ان اللعنة لم تحل على فرعون وحده بل عليه وعلى جنوده وقومه لانهم لم يمنعوا فرعون من طغيانه ولا نقبل على أنفسنا « على نفسى » أن أكون كقوم فرعون يصيبنا ما أصاب قوم فرعون لان الله سبحانه وتعالى يقول « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » • ونحن ليس عندنا جيش ، وليس عندنا قوة ، وليست هناك وسيلة الا الاغتيال • وأخبرنى خالد فى نفس هذا اليوم انه يعمل

خطة للقضاء على هذا الحاكم الذى لا يحكم بما أنزل الله وهو الرئيس أنور السادات » . وردا على سؤال كيف ستبيح الدماء ؟ أجاب عطا « الكافر الذى يشاقق الله ورسوله يستباح دمه الذى يسجن المسلمين الذين ليست لهم تهمة الا قول لا اله الا الله » .

والحاكم الظالم هو الذى يحارب الاسلام ولا يطبق شريعتـه ويحكم بشريعة أخرى ثم بعد ذلك ينافق حتى ولو صلى وصام وظهـر فى المساجد خارجا منها وداخلا اليها ، محتفلا بالموالد ، وحتى لو وضع فى الدستور ان الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع أو كون لجانا فى مجلس الشعب لتقنين الشريعة أو صاغ حد الردة ، فكلها كانت مظاهر نفاق نظرا لان البلاد كانت تسير فى طريق آخر بعيدا عن شرع الله . لا فرق فى شرع الله بين اقامة الصلاة واقامة الشرع بتطبيق الشريعة . يقول كرم زهدى ردا على سؤال « وهل يجـوز قتل الحاكم الذى خلط عملا صالحا بآخر باطل ؟ الحاكم الذى لا يحارب الاسـلام لو ملأ الارض عملا سيئا فعلى نفسه ، ولا يجوز الخروج عليه ، وفى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « من خرج عليكم يريد شق عصاكم فاقتلوه » وقال « لا تقاتلوهم ما أقاموا فيكم الصلاة ، يقصد بذلك الحكام الذين يأمرون بالحدود ويطبقونها مهما فعلوا من سيئات ، وأما الحاكم الذى قاتل هو فقط الذى يحارب الاسلام ويستهزىء به ويبدل الشرائع الاسلامية الموجودة فى البلاد الى الافرنجية ، ويقف فى طريق الدعوة الاسلامية أى يصبح حائلا دون وجود الاسلام والشريعة فهذا هو الذى نصت النصوص على قتاله والخروج عليه .

س : ألم يكن أنور السادات رحمه الله يقيم فينا الصلاة ومن ثم فانه اعمالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز مقاتلته ؟

ج : المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم « ما أقاموا فيكم الصلاة » أى ما أقاموا فيكم الشرع وعلى رأس ذلك الشرع أمره بالصلاة ، وامام المسلمين ينبغى أن يأمر بالصلاة وأن يؤم المسلمين فيها وأن يقيم الحد على تاركها بعد الاستتابة » .

ولقد صبرت الحركة الاسلامية كثيرا منذ بداية ثورة يونيو ١٩٥٢ على الجهاد ، فنالها ما نالها مما يدل على الرغبة فى الثأر من الثورة لا شعوريا . وقد يكون الاغتيال فى أكتوبر ١٩٨١ هو أكبر ثأر لاضطهاد الحركة الإسلامية ابان عمر الثورة والثورة المضادة ، بعد حادث المنشية فى يوليو ١٩٥٤ . وربما كان اضطهاد الحركة الاسلامية على مدى ثلاثين عاما هو الذى دفع الجماعة الاسلامية الى ترك الصبر والاعلان عن الجهاد . ويتضح ذلك من أقوال محمد عبد السلام فرج .

س : قلت فى التحقيق وكما قال غيرك وخاصة القتلة ان باعث الإنتقام من الرئيس كان موجودا فى الانفس تحت تأثير الاجراءات الاخيرة التى اتخذت على اثر الفتنة الطائفية فما هو رأيك فى ذلك ؟ وما مقدار هذا التأثير فى التصميم على الاغتيال ؟

ج : كان الموقف الاخير الذى ظهر فيه العداء الواضح من قبل التصميم على عملية الاغتيال وبالتالى بالفتنة الطائفية ، وهكذا كانت الفرصة كبيرة فى التصميم على عملية الاغتيال ، فوجدنا الفرصة سانحة خلال عملية العرض .

س : لماذا لم تنتظروا حتى يقول القضاء كلمته بشأن المتحفظ عليهم ؟

ج : القضية ليست قضية أفراد مقبوض عليهم ولكن قضية الثأر لدين الله سبحانه وتعالى .

س : لماذا لم تصبروا حتى تكبر أسنانكم وتزداد معارفكم بالدين ؟

ج : كوننا شبابا لا يعنى أننا أقل من مستوى هـذا العمل ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعلن انه نصر بالشباب وعودى من الشيوخ •

س : ولماذا لم تصبروا كما صبر رسول الله صلى الله عليـه وسلم كما صبر السنين الطويلة وكان على الحق المبين مؤيدا بوحى من الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبه فكان من المؤمنين •

ج : منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ والحركة الاسلامية تعانى من عداء شديد من قبل هذه الثورة • ونحن المسلمين قد صبرنا كثيرا وثورتنا ليست انتصارا لانفسنا ولكنها تطبيق لامر الله سبحانه وتعالى •

س : وأنت تعلم ان الله سبحانه وتعالى جلت قدرته قادر على أن ينصر دينه بكلمة منه ولكنه بين لنا انه انما يبلو المؤمنين الصبر والاذى فلماذا لم تصبروا كما صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ظل ١٣ سنة صابرا يتعرض للاذى هو ومن معه فى مكة ؟

ج : بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم فى مكة وكانت فترة بداية الدعوة وليست مطالب فلم يكن أمامه الا أن يعلن دعوته أمام الناس ، لم يؤذن له فى القتال لمدة ١٣ عاما ثم أمره الله سبحانه وتعـالى « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » • وكانت هذه الآية اذنا للنبى صلى الله عليه وسلم بالقتال ، والتزاما بدين الله عز وجل وهى قائمة لم تنسخ حتى يومنا هذا •

س : أليس مدلول هذا الواقع الذى تحدثت عنه انه لا اذن بالقتال الا بحال التمكن فى مجتمع اسلامى وليس قبل ذلك ؟

ج : هناك فى الاسلام قتال فى حالة عدم التمكن وهو فى حالات الخروج على الحاكم الظالم أو الحاكم الكافر » •

وطريق الجهاد الثانى هو الثورة الشعبية ، فالاغتيال وحده لا يكفى اذ لابد من مساندته بثورة فعلية لتغيير نظام الحكم والسيطرة على أجهزة الدولة • ولذلك لم يتحمس عبود الزمر أولا لفكرة الاغتيال عندما عرضها عليه محمد عبد السلام وخالد ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا ازاء اصرارهما على التنفيذ ، لذلك أعد عبود العدة ، وأعد لديه رسوما كروكية لمبانى القيادة العامة (العمليات) ولمبنى المخابرات • والاذاعة والتفزيون ، ووضع خططا للاستيلاء عليها ، وهذا هو السبب فى قيام ثورة أسيوط ، وضرب مديرية الامن صباح العيد حسب الاتفاق ، ومحاولة الاستيلاء على الاذاعة ، كان الهدف القيام بثورة شعبية مؤيدة للحركة فى الصعيد ، كان المشروع اذن هو القيام بثورة اسلامية لاقامة دولة اسلامية بقوة السلاح فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ابتداء من اغتيال رئيس الجمهورية واحتلال الاذاعة جمعا بين أفكار محمد عبد السلام وأفكار عبود الزمر ، وقد وافق عبود على أن يحدث شىء فى العرض يلهى الحكومة عن القبض على تنظيمه الخاص وازالة الخوف عن الجماهير ، وقد تم اعداد منشورات لاعلان الحكومة الاسلامية بعد حادث الاغتيال • ولكن كان التخطيط أن يتم الاغتيال بعد سنتين بعد اكمال الخطة اللازمة للثورة الشعبية والسيطرة على الاهداف الحيوية ، وأن يتم الاغتيال فى القناطر الخيرية لان الرئيس كان يقيم فيها بصفة مستديمة • كان المطلوب أولا معرفة رد الشعب على الاغتيال لان مساندة الشعب أساس الثورة ، الاغتيال وحده لا يكفى بل لابد من مقاومة السلطة واكمال الثورة بمساندة الشعب • يقول الاشوح

« الغرض من قتل الرئيس انه لا يحكم بشرع الله وبنصوصه على الناس ، وبعد قتل الرئيس تقـام دولة اسلامية لانهم كانوا فاكرين ان الجيش والناس ستقف معهم • وقـد سجل محمد عبد السلام بيانا للاذاعة مسجلا على شريط وأعطى د• عمر عبد الرحمن فتـوى لقتال الامن المركزى والشرطة ، ولاخراج سلاح من القوات المسلحة عن طريق دس السم للافراد أو تنويمهم أو ضربهم ضربا لا يفضى الى الموت ، وكانت البيانات معدة لمخاطبة الحركات الاسلامية وطلب مساندتها ، وتأييد الشعب المتمسك بالدين ، ومطالبة القوات المسلحة بأن تقف على الحياد أو أن تساند الثورة الاسلامية اذا شاعت • وقد أتى عبود بأسلحة لضرب عربات الامن المركزى وتصعيد الموقف فى الصعيد أول يوم العيد ، وخروج مظاهرات للمطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية وطبع منشورات بهذا المعنى ، ويشرح عبود الزمر بعد اعتناقه مذهب الجهاد انه اتفق مع محمد عبد السلام ونبيل المغربى على تنفيذ ذلك عن طريق وضع خطة للعمل باتجاه اقامة الدولة الاسلامية « ونظرا لاننى عسكرى وهم مدنيون فقـد اقترحت عليهم فكرى فى هـذا الشأن ، وهو ضرورة عمل خطة احكـام أى السيطرة على الاهداف الحيوية والسيطرة مثل مبنى وزارة الدفاع ، ومبنى الاذاعة ، وقيادة الامن المركزى ، ووزارة الداخلية ، وقتل بعض الشخصيات الهامة بحيث يؤدى القتل الى ارباك القيادات وفقد السيطرة على الدولة مثل وزير الداخلية وقائد الامن المركزى ووزير الدفاع ووزير الخارجية أو يشل حركتهم وافقادهم السيطرة على أمور الدولة فضلا عن قتل الشخصيات المؤثرة من الاحزاب الشيوعية حتى لا تركب الموجة وتستغل الحركة الاسـلامية لصالحها مثل خالد محيى الدين ، علاوة على شل شبكة

المواصلات الخطية فى مصر القاهرة والجيزة • وفضلا عن خطة الاحكام هـذه كنت أفكر ضمن الخطة الشاملة فى اخراج الشعب المسلم فى مظاهرات لتأييد الثورة الشعبية بعـد اعلان البيانات الخاصة بتفجير الثورة الاسلامية فى الاذاعة مـع اجراء مواجهات محدودة مع عناصر الامن المركزى التى قد تعرض للمظاهرات وذلك بغرض كسر حاجز الخوف أمام الجماهير لكى تنطلق ، وكذلك تحقيق فقد اتزان القـوات المسلحة باعلان بيانات وهمية فى الاذاعة بوصول تأييد بعض قادة الفرق • وهذا هـو الرأى الذى توصلنا اليه نحن الثلاثة • ولكننا كنا بصدد وضـع خطط تفصيلية لتنفيذ جميع هذه العمليات بعد جمـع المعلومات اللازمة وتدريب الافراد • وقد كان هذا التفكير منذ سنة • ثم بدأنا فى أخذ خطوات عملية لتنفيذ هـذا المخطط وتكون مجلس شورى على مستوى القاهرة الى مصر كلها من محمد عبد السـلام ونبيل المغربى وأنا ، وكان تقسيم العمل كالآتى : محمد عبد السلام هو الداعى لهذه الحركة أو صاحب الفكر ، وهذا فى المرحلة الاولى ، أما نبيل المغربى فكان يتولى تدريب الافراد فى موضوعات الطبوغرافيا والامن والتدريب على الاسلحة وتجميع المعلومات المطلوبة منه لاستكمال الخطة ، وأما أنا فكنت أتولى عملية التخطيط للثورة الشعبية وقتـال الاعداء » • ويستمر عبود الزمر « كنت أعتقد ان قيام الدولة الاسلامية يلزم أن يكون له مقدمات تتمثل فى اعداد المجتمع من ناحية الوعى الاسلامى ، وتفهم مبادىء الاسلام ، واعداد اللجان الثورية فى الاحياء والمناطق المختلفة ، وكان ذلك يتطلب أعواما من الاعداد • ثم بعـد ذلك حين تفجير الثورة الاسلامية يكون المجتمع قد هيىء للثـورة •• حوالى ثلاث سنوات أو قد يزيد طبقا للموقف » • ويقول أيضا « كانت الخطة تعتمد على الثورة الشعبية ، واعداد القاعدة الشعبية لذلـك •

بسبب استحالة قيام القوات المسلحة بانقلاب عسكرى أو تحريك وحدة عسكرية تقــوم بتنفيذ مهمة معينـــة نظرا لاستحالة تجميــع ضباط الوحدة بالكامل على الفكر الجهــادى المطلوب علاوة على وجود عناصر نصرانية وحزبية تقــوم بالتبليغ اذا ما حدثت أى محاولة للتحــرك علاوة على اجراءات الامن بداخل القوات المسلحة والشرطة العسكرية وقوات الحرس الجمهورى وجهاز المخابرات الحربية ، كما اننى كنت مقتنعا انه يستحيل فى هــذا البلد قيام انقلاب عسكرى لما تقدم . واعتقادى ان الثورة الشعبية هى التى تستطيع أن تحسم الموقف مــع القوات المسلحة والشرطة بحيث يستحيل أن تتحرك القوات المسلحة ضد الشعب . التجربة الايرانية دلت على انه يصعب على القــوات المسلحة والشرطة قتال جماهير الشعب التى تطالب بتطبيق شريعة الله بل سيحدث انقسام فيهــا ، وتنضم عناصر منها الى الثورة الشعبية بأسلحتها تلقائيا دون اعداد مسبق فتكسب الثورة قوة » . ويقول عبود « سبق أن قررت ان تنفيذ خطة قتل الرئيس فقط لا تحقق الهدف من العمل الجهادى الشامل ، وانى كنت أرى ان ذلك يحتاج الى وقت من الاعداد ، ولم يكن عندى تصميم على قتــل الرئيس فى الوقت الحاضر » . ويقول محمد عبد الســلام بالنسبة للقوات المسلحة انه لم يكن فى تخطيطهم استخدام القوات المسلحة الا بعــد قيام الثورة الشعبية الاسلامية ثم استخدام القوات المسلحة للسيطرة على الموقف . ويقول محمد عبد السلام أيضا بالنسبة لارتباط خطة الاغتيال بالثورة الشعبية « بالنسبة لعملية المنصة كانت ستوفر علينا مجهودات كبيرة حيث ان كل الذين يملكون زمام الامور فى نظام الحكم الجائر مجتمعون فى المنصة ، وكان ذلك سببا فى التفكير فى تعجيل القيام بثورة شــعبية

من خلال عملية المنصة • فقمنا بالتجهيز لثورة شعبية لاتمام نجاح الخطة وكنا نتوقع انه سيحدث استجابة من الشعب ولكن فشـل الخطط الاخرى أدى الى عدم وصول الثورة الى الشعب » •

الثورة الشعبية ثلاثة أشياء : الفكرة « محمد عبد السلام » ، وتدريب الافراد « نبيل المغربى » ثم التخطيط للثورة « عبود الزمر » وتسبقها مقدمات منها الوعى الاســلامى ، وفهم مبادىء الاســلام • والأهم من ذلك إعداد « اللجان الثورية » فى الاحياء والمناطق السكنية لمساندة الثورة ، وكان مخططا لها أن تقــوم بعد ثلاث سنوات حتى يتم اعــداد الجيش والمســيطرة عليــه ، وتعــد اللجــان الشعبية لمســاندة الجيش ، فالجيــش لا يمكن التجنيــد فيــه بأعــداد كبيرة • ونظرا لوجود أجهزة الامن فيه • ومع ذلك تدل تجربة الثورة الاسلامية فى ايران على أن الجيش والشرطة لا يستطيعان الوقوف أمام الشعب ، ومع ذلك بدأ تجنيد ضباط الجيش وجنوده فى جماعة الجهاد • وبدل أن يسأل ضابط عن شرعية « الفراخ المستوردة » فانه يتحدث عن « الاحوال الاسلامية » فى القوات الجوية • ونظرا لان الثورة الشعبية لم تكن جاهزة وكمــا رفض عبود الزمر فكرة مهاجمة المنصة بعناصر من القوات الجوية المشاركة فى العرض فانه لم يتحمس أيضا لاغتيال الرئيس لأنه عمل فردى وليس عملا ثوريا ولا يحقق الهدف من الجهاد كعمل ثورى الا أنه قد يكشف عن وجود الخطــة الام •

كان تخطيط الجماعة أن تتم تهيئة الشعب للجهاد بعــد عدة

سنوات ، ووكل لعبود الزمر أمر تهيئة القوات المسلحة نظرا لان أعضاء جماعة الجهاد بها كانوا قليلين ، وكان الغرض من تجنيدهم أولا طلب معاونتهم بخبراتهم العسكرية ومد الجماعة بأسلحة الجيش وذخيرته اذا ما أتت لحظة تفجير الثورة الشعبية ، وكان النموذج الناجح هو الثورة الاسلامية فى ايران • وبالرغم من رفض جماعة الجهاد خاصة الاعضاء الذين قاموا بعملية الاغتيال مقارنة حركتهم بالثورة الايرانية ، بل انهم اعتبروا مقارنة السادات لحركتهم بالثورة الايرانية «الدموية» عند الخمينى أحد الاسباب المباشرة للاغتيال مع سب رجال الدين والسخرية من شعائره والقبض على دعاته واهانة أئمته ، الا أن الجانب الثورى فيها من أجل الجانب العقائدى « عقائد الشيعة » • ولكن عبود الزمر ضحى بالجانب العقائدى من أجل الجانب الثورى وهو الموقف الاسلامى الاصح نظـرا لان الفقه يسمح بالاختلاف النظرى فى مقابل وحدة العمل ، فالحق متعدد ولكن العمل واحد • لذلك لم يوافق عبود الزمر عندما عرض عليه الامر أول مرة ، ولكن لم يستطع الرفض عندما عرض عليه الامر من جديد ، ولكنه طالبهم بالحذر • ولكن يبدو ان جماعة الجهاد لم تستطع أن ترفض تماما فكرة عبود الزمر فى الثـورة الشعبية المساندة فقلدوها دون الاعداد لها ، وقاموا بمحاولة صبيانية فى الصعيد للاستيلاء على مديرية الامن ، وقتلوا الابرياء صباح العيد ، وأمكن اجهاضها فى النهاية ، كان الهدف اذن من عملية الاغتيال قيـام الدولة الاسلامية وذلك عن طريق القضاء على كل جهاز الدولة ورجالها مرة واحدة مما يسهل بعـد ذلك قيام الدولة الاسلامية • ولم تكن هنـاك مجموعات فى الوجه البحرى ، كانت هنـاك مجموعة واحدة

بالاسكندرية تم حلها ، وتفرق أعضاؤها من كثرة القبض عليهم ، وبالتالى لم تقم الثورة الشعبية الا فى الصعيد ، فاذا كانت فكرة الاغتيـــال قد أتت لخالد قبل العرض باسبوعين على الاكثر فانه من المستحيل أن يقـــوم الاعداد لثورة شعبية مواكبة فى مثل هـــذا الوقت ، وكانت النتيجة اكتشاف التنظيم فى الجيش ، وابعاد كل الضباط ذوى الميول الدينية عن الجيش ، وقد كانوا نواة المستقبل للحـــركة الاسلامية . ويقول محمد عبد السلام فرج ردا على سؤاله عن السبب لاطـــلاع جماعة الصعيد على الخطة « علشان يقوموا بثورة شعبية مؤيدة للحركة فى الصعيد » . وردا على سؤال « وهل كانوا مستعدين لتفجير ثورة شعبية فى هذا الوقت القصير بين المقابلة وتاريخ العرض ؟ » قـــال « أخبرونى انه فى خلال أسبوع واحد سيتم استعدادهم ! » . ويقول محمد عبد السلام فرج موضحا ارتباط الاغتيال بالثورة الشـــعبية « السبب فى التعجيل من عملية المنصة اننا كنا نرى انها تحقق هدفا كبيرا بالنسبة للرئيس ومعاونيه لانها كانت ستوفر علينا جهدا كبيرا .. لان الشخصيات الكبيرة كلها مجتمعة فى المنصة ولكن بجوار ذلك لابد من تفجير ثورة شعبية .. عملية الاغتيال ستكون فى صالح الهدف » .

الاغتيال اذن عمل فردى ولكنه يدخل فى اطار كلى متكامل ، يكون هـــو تفجير الثورة الاسلامية . وبالرغم من عدم اغتيال الشاه الا أن الثورة أجبرته على المغادرة والاختفاء دون ما حاجة الى الاغتيال ، أما فى مصر فلم يمتثل السادات من تحذير الائمة له ، ولم تكن هناك ثورة شعبية تجبره على الرحيل كما فعل الشاه ، فلم يكن هناك الا الاغتيال كطريق وحيد للخلاص ، ولو كانت هنـــاك تنظيمات سياسية فعالة قادرة على العمل السريع لانتهزت فرصة الاغتيال وقامت بحركة

شعبية مساندة ، وبالتالى تكررت مأساة ١٨/١٩ يناير ١٩٧٧ عندما هب الشعب دفاعا عن حقوقه ضد السلطة ولم يسـانده جيش أو تنظيم • والآن قام التنظيم بتصفية رأس النظام ولكن لم يسانده شعب أو جيش أو تنظيم • ويقول كرم زهدى « اتفقنا على قيامنا بالسيطرة على أسـيوط فى نفس الوقت •• واستخدام القـوة فى السيطرة •• » • ويقـول أيضـا « لم يكن عندنا مسبقا فكرة الاغتيال للرئيس بل كانت كل الفكرة هى عمل متكامل لتمكين شرع الله ولم يكن الرئيس بعينه » •

ويشرح كرم زهدى توافق الاغتيال مع حركة الصعيد صباح أول يوم العيد • وردا على سؤال : وما دليلكم الشرعى فى عملية أسيوط واستحلالكم للدماء التى أريقت فيها ؟

ج : احنا كنا متفقين أصلا على أن الضربة الاولى ستكون ضربة تهديد وفرقعة اى اطلاق نيران فى الهواء فاذا ردوا عليها ضربنا ، وهـذا الامر دليله الشرعى هو اننا نريد أن نزيل النظام الذى يحكم بغير ما أنزل الله ولم يحكم بشرع الله • فاذا قاتلنا الذين يحافظون على النظام الجاهلى غير الشرعى فانه يصح لنا قتالهم ، ويقول عبد الهادى مصطفى ان محمد عبد السلام أخطره أنه سيتم قتل جميع القيادات فى الدولة والسيطرة على البلد واقامة الدولة الاسلامية •

وقد حرص تنظيم الجهاد على أن يجمع بين الامارة والشورى ، بين الطاعة للامير وعقد البيعة له وبين عدم الاستبداد بالرأى وعرض الامور على أعضاء الجماعة • وبالرغم من ان الامارة واجبة الا آن الشورى أيضا واجبة منعـا للاستبداد بالرأى والانفراد بالقرار فى

أمور تهم المسلمين جميعا ، فقد عرض الاغتيال على محمد عبد السلام وعبود الزمر أى الفقيه والقائد • كما عرضت على عمر عبد الرحمن الفكرة العامة باعتباره فقيها وأمير الامراء ، ولم يحدث اجتماع لمجلس أمراء الجماعات كلها ومناقشة الرأى والتصويت عليه لان ذلك كان مستحيلا عمليا لضيق الوقت ، وخشية تسرب الامر ، وللثقة المتبادلة بين الإمراء من ناحية وبين الامراء وأعضاء التنظيم من ناحية أخرى • لم يعرض أحد الخطة على مجلس الشورى لان الذين عرفوها كانوا من مجلس الشورى وبالتالى أمكن تنفيذها دون موافقة رسمية من مجلس الشورى ، ونظام الجامعة هو النظام العنقودى أى الخلايا وعلى كل منها رئيس ، ويكون الامير على رأس الرؤساء •

كانت الامامة تستلزم الطاعة المطلقة الا أنها لم تكن طاعة عمياء ، بل كانت طاعة الامير واجبة طالما أطاع الله والرسول[٢٠] • فعلى المسلم أن يطبق قاعدة « التبين والتمييز » والتى على أساسها نشأت جماعة

---

(٢٠) جريدة « الوطن » ، الاحد ٥ ديسمبر ١٩٨٢ ، وقبل هذه العبارة وضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية ومستقبلها على ضوء قضية السادات (١١) .
- جماعة الجهاد بين الفكر والممارسة .
- هل ينطفىء الحماس العقائدى بمجرد تحويله الى فعل ؟

ووضعت ثلاث صور للدكتور عمر عبد الرحمن ، ولمحمد عبد السلام فرج ، ولعبود الزمر •

واعلنت فى نهاية الحلقة : يتبع غداً .

بأكملها هى جماعة « قف وتبين » • وكان يشترك فى الامارة العلم والفقه حتى يمكن البت فى الامور الشرعية • وكان فقيه الجماعة « محمد عبد السلام » يرى أن د• عمر أفقه منه وبالتالى فهو أولى بالامارة منه ••• ولكن د• عمر رفضها دون أن يرفضها بتاتا ، ومع ذلك كانت الجماعة تسفتيه ، فأفتى بكفر الرئيس دون أن يفتى باحلال دمه شرعا فهو كافر دون كفر يخرجه من ملة الاسلام ، ، وكفره كالفسق أى ارتكاب معصية أو كبيرة لا تخرجه من ملة الاسلام • ومع ذلك لم تقتنع الجماعة بفتواه • وقد جعل ذلك التنظيم أشبه بالتنظيم العسكرى تنفيذا للاوامر دون مناقشة أو اعتراض وهو الطابع العام الغالب على الحركات الاسلامية المعاصرة ، وله نمطه فى الجمعيات السرية ونظم الشيعة ، لذلك بدأ محمد طارق بعد الحادث التخلى عن محمد عبد السلام تدريجيا حتى يتبين ويميز وان كان ذلك لا يعارض قاعدة « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والثقة بأهل العلم والفقه والفتيا » • وتدل أقوال محمد عبد السلام فرج أنه طبقا لقاعدة الشورى تمت الموافقة على الاغتيال داخل جماعة الجهاد •
كان مجلس الشورى يتكون من الاخ عبود والاخ محمد عبد السلام فرج ، والاخ كرم ، والاخ فؤاد الدواليبى ، والاخ طلعت فؤاد ، والاخ عبد المنعم عبد الماجد ، والإخ ناجح ابراهيم ، والاخ محمد عصام دوبالى ، والاخ مجدى عبد الرحمن • ويشرح طارق الزمر مجلس الشورى قائلا « التنظيم عبارة عن مجموعات ، وكل واحد أمير مجموعة ، وبعدين فيه مجلس شورى لجميع الموضوعات ، ومجلس الشورى برئاسة الشيخ عمر عبد الرحمن ، ومكنتش أحضر مجلس الشورى ، وكان يحضر مجلس الشورى عندنا عبود ومحمد عبد

السلام ، وباقى الافراد من قبلى ومجلس الشورى هو الذى كان يعطى الفتوى العامة » • ويتحدث فؤاد محمود حنفى وشهرته فؤاد الدواليبى عن مجلس شورى جماعة المنيا وأسيوط وهو مكون من محمد عصام ، وعاصم عبد الماجد ، وكرم زهدى ، وفى أسيوط أسامة حافظ ، وعاصم عبد الماجد ، وناجح ابراهيم ، وشعبان • وكانت تتم فيه المناقشات بخصوص الفكر الاسلامى • ومرة أخرى يقول ان مجلس الشورى يتكون من مجدى عبد الرحمن (سوهاج) وناجح وأسامة عاصم (أسيوط) وفؤاد ، وكرم (المنيا) والدواليبى ، ومحمد عصام ، وعلى الشريف (قنا) •

كانت هناك امارة أحيانا بلا مشورة ، ومشورة امارة لتسهيل الحركة ، وليسهل اتخاذ القرار • الامارة دون مشورة قائمة على الثقة ، والمشورة بلا امارة قائمة على العمل الجماعى ، وذلك حتى لا يتعطل العمل ، ويتم الانجاز ، والا وقع التنظيم فى بيروقراطية التنظيمات الحزبية ومناقشات اللجان • لا تلتزم الجماعة بطريقة أو شيخ أو أوامر أمير كما تفعل الطرق الصوفية بل تتدبر أمورها داخلها • وكان الشرع الاسلامى يتحكم فى الحالتين أى عامل موضوعى تاريخى أصولى يكون هو المرجع الاول والاخير للامير وللجماعة على حد سواء •• ومن هنا أتت أهمية الفقيه ومقدار علم الفقهاء • فالامير ومجلس الشورى ، كلاهما لا يحكم عن هوى ولا يصدر عن مصلحة بل يبغى موضوعية الشرع ، ومن هنا جاءت أهمية التأويل وحكم المؤول •

وكانت تنتسب الى الجماعة مجموعة من أطهر شباب مصر ، شديدة الاقتناع بفكر الجهاد وممارسته • ويبدو ذلك من الاسماء

المستعارة • فقد كان خالد هو « ظافر » وعبود الزمر « منصور » •
وقد بلغت شدة الاقتناع حد التأكد من نجاح العملية ١٠٠٪ ، وعدم وضــع أية احتمالات للفشل ، وعدم وجود خطط بديلة فى حالة فشل الخطة الحالية لسبب أو لآخر • كان الاعتماد كله على عنصر المفاجأة •
ولو حدث قتال مع الحرس فسيقاتلون حتى يسقطوا شهداء • لذلك لا يسمون عمليتهم جريمة بل عملية اغتيال الظالم ، يتوجهون بالغريزة نحوه لتخليص البلاد • ويتمنى المسلم الشهادة فى سبيل الله وليس فقط اغتيال الحاكم واقامة الدولة الاسلامية • فالجانب الموضوعى يقابله جانب ذاتى • وكان يحدث للشباب نوع من التغير المفاجىء فينقلبون من حال الى حال دون تدرج أو اقتناع ، من الفساد الى الطهارة ، ومن الكفر الى الايمان ، ومن الجاهلية الى الإسلام ، مما يجعل فكــر الاضطهاد ، وليد الاخوان ، يعبر عن بنائهم النفسى • هــذه اللحظة هى لحظة الهداية والتوفيق من الله • وكان معظمهم من صغار السن ابتداء من ١٨ حتى الثلاثين • فالشــباب أقرب الى الطهارة والاخلاص والولاء والمثالية التى لم تنجرف مع تيار الحياة وزحمة الدنيا بالثراء السريع أو الهجرة خارج البلاد ، بالرغم من أن معظمهم من الطبقة المتوسطة الدنيا ويسكنون أحياء شعبية فقيرة أقل من المتوســط •
ويمثلون قطاعات مصر • فمنهم مهندسون ، وأطباء ، وضباط ، وأساتذة جامعات ، وعمال ، وجنود ، وطلاب ، وينتسبون الى الريف والحضر على السواء • فالاسلام قادر على اختراق كل طبقات المجتمع وفئاته ومهنه ومستويات ثقافته •

باع حسين عباس نفسه لله ، وذهب ليرى أهله بعد تنفيذ العملية وليكن ما يكون • لم يبلغ زوجته • ولكن كان يبدو على وجهه الفرح •

وكان يشير الى عطا بأنه الشهيد لانه رآه ملقى على الارض • وقــد كان عطا طايل فخورا بأقواله واعترافاته مع العلم بأن النهــاية هى الموت • وهو يتمنى الموت لانه فى المطلوب وهــو قتال أئمة الكفر • لقد صمم الاخوة على هذا العمل على أســـاس انه عملية استشهاد • وردا على سؤال : كيف تم تنفيذ الجريمة ؟ قال حسين عباس : « كلمة جريمة لا أقبلها • فما تم بالنسبة لنا ليس جريمة • فهى عملية اغتيال الظالم ، وأول من نزل أخونا خالد بارك الله فيه • ونزل وأعطى أخانا الشهيد عطا قنبلة فألقاها بعد نزوله • وعلى ما أتخيل أول من نزل أخونا خالد ، وتلاه عطا الشهيد ، ثم أخونا عبد الحميد ، وأنا آخر من نزل » • وردا على سؤال : كيف أطلقت النار على المنصة ؟ قال : « خرجت من فوق العربة بالتوجه الغريزى نحو الظالم » • ويقــول علاء الدين مدافعا عن نفسه بأنه ما فكر يوما أن يقتل مصريا مما يدل على ان الاغتيال السياسى لم يكن ضد الوطنيـــة • ولكن الاغتيال كان هــو الوسيلة الوحيدة المتروكة بعد أن سدت جميع الســبل • وينهى عطا طايل أقواله للمحقق قائلا : « فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا الى أن نلتقى يوم القيامة » • وقد عرض عليه خالد الامر من قبل ، وقال هناك استشهاد فى سبيل الله ، ورحبت بذلك • وكان الاربعة يصفون بعضهم بعضا بالشهيد •

وقد كان احساس خالد بالشهادة احساسا مرهفا • وكلما اشتدت الطهارة شعر الانسان بسوء الاوضاع وأسرع بايجاد التوافق بين طهارته وشرور العـــالم بتخليص العالم من الشر فينتهى بأن يخلص نفســه من شرور العالم • كان معروفا بين زملائه بهــذه الطهــارة فى عصر انغمس فيه أقرانه فى الدنيــا ، يغترفون منها ، ويتســابقون

عليها • وفى حالة الاختيار بين الولاءين ، ألولاء للجيش أم الولاء للاسلام ، يكون الاختيار واضحا بلا تردد ، الولاء للاسلام • وقد كانت الرغبة عند الجميع ألا يقتل مسلم برىء بغير ذنب • وكان السؤال باستمرار عن حكم الشرع فى ذلك حتى لا يقتل برىء دون ذنب • ولولا الحديث القائل « ان الابرياء يبعثون على نياتهم » وتأكيد ذلك من فقهاء الجماعة وأمرائها لما أقدم خالد والرفاق على مثل هذه الشجاعة بهذا الاقتناع • ان الطهارة فى عالم دنس لابد وأن تتحول الى قذيفة تنطلق ضده حفاظا على الذات ، ورفضا للتقوقع والتحول الى طريقة صوفية أو الى اعتكاف فى زاوية ، وقد كان أيضا هو السبيل أمام أئمة آل البيت لمواجهة طغيان يزيد والحكم اللاشرعى •

ومع ذلك فقد كان التردد والضعف أحيانا يظهران فى سلوك الاعضاء لا عن خوف أو ايثار للحياة بل عن رؤية لصعوبة التبعة واستحالة التنفيذ العملى ، وحيرة الانسان بين المبدأ والواقع ، وتردده أمام النتائج الفعلية التى تنشأ عن الاقتناع بالمبادىء العامة ، مثل الخروج على النظام الناتج عن فكرة الحاكمية ، واغتيال الحاكم كأحد وسائل الخروج على النظام • فقد تردد بعض الاعضاء احساسا منهم بعدم جدوى العنف وخطورته ، وربما لان طريق الاغتيال ليس طريقا شرعيا حتى لو كانت هناك بعض الادلة التى يعتذر صاحبها بالتأويل • وقد يصيب قتل راعى الدولة البلاد بمفاسد أكبر من الحادث نفسه • ولكن الظروف النفسية والاجتماعية هى التى تدفع الى تجاوز هذا التردد • كان بعض أعضاء الجماعة يرفضون أسلوب القاء القنابل ، وتفجير عربات أنابيب البوتاجاز ، ويعتبرونه

عنفا صبيانيا (جماعة نبيل المغربى) . وكان يقال للبعض تشـجيعا لهم على حمل السلاح للدفاع عن النفس وليس لممارسة العنف أو للقيام بأعمال الاغتيال ، وقد أنكر بعض أعضـاء الجماعة معرفتهم بعملية الاغتيال ، ورفض البعض الآخر أن يقره من حيث المبدأ ، بل ان أمير الجماعات كلها د. عمر عبد الرحمن تراجع عن فتواه فى التحقيق ، وحاول التنصل من التبعة ، متخفيا وراء العلم ، ومتواريا خلف تقسيمات الفقهاء . ويعترف صالح رمضان مثلا بأنه آوى حسين عباس فى بيته ليلة بعد الحادث دون أن يعلم . ولو علم لما آواه . كما أنكـر محمد عبد السلام فرج كثيرا من الاقوال ثم عاد وغير موقفه واعترف بكل شىء ومحمد طارق كان يريد الاطمئنان على مصيره . وكرم زهدى قال « أنا لم أشترك ولم أحرض ولم يكن أمامى أمام اصرار خالد على هذه الفعلة الا أن أوافقه على مواقفه . وما كانت مواقفى الا نتيجة بعض الظروف التى كانت تحيط بنا من جميع النواحى .. لم أحرض ، ولم أساعد بشىء ملموس فى هذه الفعلة » . ويعترف الاشوح بانه خاف عندما سمع البعض بيشتم الريس ، ويقول صـالح جاهين : « طلب منى عبود الزمر أن نقوم بأعمال ضد الحكومة فرفضت ذلك وقلت له انكم كنتم تقولون عنا انا نساء الاسـلام ، واننا رفضنا أن نستجيب لنداء الله فأنتم الآن تريدون منا أن نتحرك دفاعا عنكم لا دفاعا عن دين الله » . ويقول صالح حسين : « أنا أتبرأ من فعلته « حسين عباس » ، ولو كنت أعلم انه يفكر فى قتل رئيس الجمهورية لنصـحته بأن يتقى الله » ، ويلقى أسامة اللوم على جهات الامن قائلا : أريد أن أقول ان كل ما حدث يعد خطأ فلاشك ان مسؤوليته تقع على جهات الامن التى قصرت فى توعية الشباب ولم تعمل على هدم الحاجز الذى

بينهـا وبين الشباب مما دعا الشباب الى أن يلجأ لهذا المسلك الذى لا يرضون عنه . ويقول أنور عكاشة : « كل عمل عند المسلم لابد أن يكون له مسـتند شرعى . فتفجير القنابل فى ميدان عام ووقـوع ضحايا من المسلمين ليس له ما يؤيده من الكتاب أو السنة . فلا يجوز قتل المسلم مهما كان السبب ، ولان قتله لا يحقق أية أهداف » . وقد اعترض أنورعكاشة على أسلوب عبود الزمر فى البداية بحرب عصابات . واقترح أن يرسل رسالة الى الرئيس حسنى مبارك يطالبه بتحقيق الشريعة الاسلامية والافراج عن المعتقلين . وتقول زوجة عبد الحميد عبد السلام ان زوجها لو أخبرها انه ينوى اغتيال الرئيس لكانت قد منعته حتى لا يرمى نفسه فى النـار لان القتل حرام . ولكن الموقف الدال هو موقف د. عمر عبد الرحمن فى قوله بأن الاغتيال حرام بدليل قوله تعالى « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » . ويقول عبد الحميد عبد السلام فى جماعة التكفير والهجرة « أنا أختلف معهم فى الرأى لانهم يكفرون الناس جميعا . فكل من هو خارج جماعتهم ولا يمتثل لهم كافر . وأنا لا أرى تكفير الناس الا بالنية . كما أعلن محمد عبد السلام فرج أولا ان للدماء حرمة ولا تستباح . وتتصل من مواقفه العملية . وردا على سؤال : ما هى مناهج الجماعات الاسلامية المختلفة فى زماننا ؟ يجيب محمد عبد السلام : « توجد جماعة التبليغ والدعوة ، وفكرها قائم على تبليغ الدعوة للناس فى بيوتهم وفى المقاهى والاماكن العامة ، وهم يدعون الى الصلاة والشعائر فقط ولا يتكلمون فى السياسيات ، وليست بغيتهم اصلاح الحكم نهائيا .وتوجد جماعة الاخوان المسلمين، وطريقها هو دعوة الناس ، وتكوين قاعدة شعبية ، ولكنهم أيضا يتكلمون

فى السياسة ويحاولون أن يتجنبوا المصادمات مع الدولة ، ولو انهم يعلنون ان الاسلام لابد أن يقوم ويعود ، ولابد من اقـــامة الدولة الاسلامية بطريق الدعوة طويلة الامد . كما توجد جماعة التكفير والهجرة وحجمها ضئيل للغاية » .

« س » والجماعات الاسلامية فى الجامعات ؟

« ج » : جماعة الاخوان المسلمين .

وقد دخلت جماعة الجهاد فى نقاش عنيف وحوار مستمر مـــع باقى الجماعات الاخرى التى لا تؤمن بهـــذا الاسلوب مثل النقاش بين محمد عبد السلام وجماعة السماوى التى لا تؤمن بالجهاد على هذا النحو ، كان الاول يناقش الثانى باستمرار فى موضـــوع الجهاد ويحثه على ضرورة تكوين الخلافة المسلمة لان الدولة ليست اسلامية . ولا تطبق شريعة الله ولابد من اقامة الدولة الاســـلامية عن طريق انقلاب عسكرى . وكان السماوى يرفض ذلك من باب ان دخـــول الجيش نفســـه كفر ، ويرى أن يقتصر الجهاد حاليا على الدعوة الى الاســـلام والناس بأنفسهم سيفهمون الفرق بين الصحيح والخطأ والاستمرار فى الدعوة السلمية حتى يأذن الله بالجهاد بحد السيف . كما ان بعض أعضاء جماعة الجهاد كانوا أولا أعضاء فى جماعة « التكفير والهجرة » التى كان اسمها أولا جماعة « العزلة » . أعطتهم الحكومة أرضـــا يزرعونها فى الخطاطبة اتقاء لشرهم ، وابعادا لهم . ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ، وتركوا أميرهم . مع انها كانت بدايات صـــحيحة لتكوين جماعات دين وعمل ، ايمان وانتاج كما فعلت الهجرات اليهودية الاولى فى فلسطين ، وتكوين المستوطنات ، وتحويل العمل الى عبادة ، وقراءة التوراة الى زراعة الارض . وكانت الجماعة الاسلامية بأسيوط تدعو الى الاسلام عن طريق الكتاب والدروس ، وتقوم بالرد على

فكر الجماعات الاخرى سواء جماعة التكفير والهجرة أو جماعة الاخوان المسلمين ٠

ويظهر التردد بوضوح فى شخصية د٠ عمر عبد الرحمن فانه أنكر معرفته بجماعة الجهاد ، باستثناء جماعة صغيرة فى الفيوم رفض امارتها لانه أعمى لا يعرف قيادة الجماعات ٠ كما انه أنكر فتواه باباحة دم الرئيس وباباحة قتال النصارى واباحة دماء رجـال الامن المركزى والشرطة وأخذ أسلحتهم بل انه نهاهم عن ذلك أو على الاقل لم يعلم أو علم ولكنه صمت ، وان رأيه هو تنبيه الرئيس ومطالبته بتطبيق الشريعة دون اباحة دمه بالرغم من ايمانه بالحاكمية ٠ بل انه استطرد فى ذكر الادلة على ايمان الرئيس وجهـاده فى الاسلام ! فقد وضـع فى الدستور ان الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، وقاد حرب رمضان ، وأعلن نيته الصادقة فى تطبيق الشريعة ، وحواره مع بعض قيادات الحركة الاسلامية ونقده للشيوعية ٠

بل يرفض أن يكون هناك مقارنة بين مسلمى اليوم وتتار الامس كما فعل مفكر الجماعة فى « الفريضة الغائبة » نقلا عن ابن تيمية ٠ كما انه لا يحرم العمل فى الدولة ٠ ولا يسلم باتباع وسائل العنف لاقامة الدولة الاسلامية بل تكفيه الدعـوة بالحكمة والموعظة الحسنة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠ ولو كان هذا موقفه حقيقة لما اختير أميرا عاما للجماعات الاسلامية كلها ، وفقيها من فقهاء جماعة الجهـاد ٠ ويعارض رأى جماعة الجهاد فى اعتبار آية السيف ناسـخة لآيات الدعوة ، ويجعل آية الدعوة ناسخة لاية السيف ٠ بل يظهـر هذا التردد فى شخصية فقيه الجماعة ذاته عندما بدأ اعترافاته بالانكار

التام ثم غير موقفه بعد ذلك الى الاثبات التام ، وكأن العقيدة مهما بلغت قوتها فانها بعد أن تتحقق فى فعل وسلوك وتتحول الى واقع عملى يظهر الفرق الشاسع بين الفكر والممارسة •

ويقول ممدوح محرم تائبا : « أنا أحسست بالذنب ، وندمت على تورطى مع محمد عبد السلام ، وتيقنت ان من واجبى كشف النقــاب عن كل ما يتصل بهــذا المرض الفكرى لتجنيب الامة هــذه الفتن المظلمة ، واتقــاء لاراقة دماء المواطنين الابرياء فى هذا الوطن المفدى وهذا البلد الامين » • وردا على سؤال المحقق فيما يتعلق باســلام الرئيس ووضعه نصا فى الدستور يجعل الشريعة الاســلامية المصدر الرئيسى للتشريع والذى يعتبره باقى أعضاء جماعة الجهاد نفاقا يقول الشيخ عمر : « أفهم من السؤال انى قلت ان الرئيس محمد أنــور السادات كافر ، والحقيقة أنى لم أقل ذلك ولا أعتقده ولا أكفر مسلما لقول الله تعالى فى المشركين « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » فما بالك فيمن فعل ذلك ولم يكن مشركا ؟ وكيف يكون كافرا وهــو أولا قد وضع فى الدستور هذا النص ، وثانيا قــاد حرب رمضان وفيها انتصار على اليهود ، وثالثا قد سمعت من أعضاء لجنة الفكر والدعوة بالحزب الوطنى انه قال لهم : لقد صبرتم كثيرا على من قبلى فتمهلوا على ، ورابعا رده على التلمسانى عندما قال أشكوك لله ؛ وخامسا ما ذكره الشيخ النمر من ان الرئيس قال لهم فى اجتماع أسرعوا بتنفيذ هــذا الامر ، وسادسا طرده للشيوعية التى كانت تهدد مصر فى عقيدتها وايمانها بالله • وان أقصى اثم يعترف به هو النجوى بناء على سؤال المحقق بقوله « ولكنك تعلم القاعدة الشرعية التى أحكمها المولى سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم انه لاخير فى

النجوى الا أن تكون على الامر بالصدقة أو المعروف أو الاصـــلاح بين الناس وان صفة أمة الاســـلام التى فضلها الله تعالى على كل الامم انها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر • ويرد عمر : هذا من الخطأ الذى ارتكبه المخالف لقاعدة النجوى فى الآية السابقة والآية الاخرى وهى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتناجوا بالبر والتقوى » • ثم يعترف بأن الرئيس « قتل ظلما وعدوانا لانى لم أعرف ان مجلسا من العلماء ناقشه ورفض الحكم بكتاب الله » • ويقول فى رفض المقارنة بين المسلمين اليوم والتتار بالامس التى وضعها محمد عبد السلام فى « الفريضة الغائبة » نقلا عن ابن تيمية : « لا أرى وجهـــا لهذه المقارنة فالبون شاسع • هؤلاء كانوا كفارا أى التتار أعداء الله وأعداء للعلم حيث وضعوا كتب العلم التى كانت موجودة فى بغداد فى نهر دجلة حتى تلون ماء النهر بالمداد من كثرة ما ألقى فيـــه من الكتب • أما حكـــام اليوم فهم مسلمون ، ولم يصنعوا شيئا من هذا الفســـاد » • ويقول بالنسبة لتحليل العمل فى الدولة بالاجر : « هذا الراتب حلال لانى انتقاضاه نظير عمل أؤديه وآخذ الاجر عليه ، وقد استفتيت فى وظائف الدولة والعمل فيها فقلت ان العمل بوظائف الدولة حلال » • ويقول فى الوسيلة الشرعية المتبعة لقيام الدولة الإسلامية : « وسيلتى الشرعية فى ذلك ما علمنيه ربى سبحانه بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » • وقوله سبحانه « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن » وقوله « فلذلك فادع واستقم كما أمرت » لانى أبين للنـــاس فى الخطب والدروس

والمحاضرات والندوات والاجتماعات عظمة الاسلام ورفعة منهجه ، وابين لهم ان عليهم واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يقولوا الحق ولو كان مرا وأن يطالبوا الحاكم فى الصحف والمجلات وبالكتابة اليه والى المجالس المتخصصة للمطالبة بالحكم بكتاب الله لا سيما وأن آيات القرآن فى ذلك كثيرة ومنها قوله تعالى « وان أحكم بينهم بما أنزل الله اليك » وآيات أخرى كثيرة » • ويقول عن الرئيس : « ولم أعلم أن الرئيس محمد أنور السادات قد نوقش فى هذا الامر ورفضه » • ويقول رافضا نسخ آية الدعوة بآية السيف : « هـذا فهم سقيم لكتاب الله عز وجل اذ بهذا الفهم تعطل مبادىء كبرى وعظيمة فى القرآن الكريم • وهل هناك أخطر من أن يعطل مبدأ الدعوة الى الله حين نسمع لهذه الآراء التى تقول ان آية السيف قد نسخت آيات الدعوة بل ان مبدأ الدعوة الى الله هو أصل عظيم من أصول الاسلام بل هو من أعظم أصوله ، وهذه دعوة خطيرة لتعطيل آيات كثيرة من كتاب الله لا معنى لها ولا هدف وأنا أميل الى القول الذى يقول لا نسخ فى القرآن » •

١٠ — الفريضة الغائبة وجدل التاريخ (٢١)

« الفريضة الغائبة » هى انجيل جماعة الجهاد ، يسأل كل عضو

---

(٢١) جريدة « الوطن » ، الاثنين ٦ ديسمبر ١٩٨٢ .
ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

فيها من المحققين اذا كان قد قرأه أو فهمه أو اعتنق أفكاره ، أو تأثر به • والغريب أن يحدث مثل هذا الكتيب الصغير الذى هو مجــرد تجميع آيات وأحاديث من كتب السلف هذا الاثر الضخم فى حيــاه أمة ، ويكون أداة انقلاب فى نظام الحكم بداية من اغتيال الرئيس حتى الثورة الشعبية الشاملة مما يدل على ان الظروف النفسية والاجتماعية كانت مهيأة لقبول مثل هذه النصوص • والظروف النفسية تتلخص فى حال الدعوة الاسلامية فى عهد الثورة المصرية واضطهاد الحــركة الاسلامية ، الاخوان أولاً ثم الجماعة الاسلامية ثانيا ليس فقط فى مصر بل فى تونس ، والمغرب ، وسوريا ، والاردن ، والعراق ، ولبنان ، والسودان ، والحجاز ، وابعاد أعضــاء الجماعة عن المشاركة فى الحياة الوطنية ، وعزلتهم عن واقعهم ، فكان لابد أن ينشأ مجتمعهم الخاص ، وتكوينهم النفسى المميز كجماعة أقلية مضطهدة تناصب الاغلبية العداء •

- الحركة الاسلامية ومستقبلها على ضوء قضية السادات (١٢) .
- الفريضة الغائبة وجدل التاريخ .
- أوجه التشابه بين تتار الامس وحكام اليوم .

ووضعت ثلاث صور لحسن البنا ، وسيد قطب ، ومحمد عبد السلام فــــرج .

واعلنت فى نهاية الحلقة : الحلقة القادمة ، د. حسن حنفى يواصل مناقشة الفريضة الغائبة .

وتتجلى الظروف الاجتماعية فى مظاهر الفساد العامة فى البـــلاد . واحساسهم بأنهم القلة الاخيار وسط محيط من الاشرار ، وان هذه الظاهرة هى التى تثير السياسى فيصبح من المعارضة كما تثير المتدين فيصبح من الجماعة الاسلامية . فالدين هو البوتقة للوعى السياسى ، هو مقياس الطهارة فى جسم الفساد .

ولا يحتوى الكتاب الا على النص « الخام » والشروح عليه . وتتجلى هــذه الظروف النفسية والاجتماعية فى نوعية النصــوص المختارة التى تعبر عن أحوال العصر والرغبة فى استئناف عملية التقدم والنهضة والرجوع بالاسلام الى مجده الاول وعدم اليأس ورفض القنوط . كما أن الشروح عليها تعبر عن البنـــاء النفسى والاجتماعى ، اسقاط الحاضر على الماضى ، وقراءة النفس فى التاريخ ، والقيـــام بعملية التأويل الضرورية من خلال تشابه المواقف بالرغم من بعـــد فترات التاريخ ، التتار بالامس وحكام المسلمين اليوم ، وبالتالى تنشأ الحركة من خلال الثبات ويحدث التغير من خلال التواصل ، ويتراءى الحاضر فى الماضى ، ويعيش الماضى فى الحاضر ، وتنطلق قوى التاريخ ، وتتحرك الشعوب . وهذه النصوص هى زبدة التراث وخميرته الاولى . وأكثر النصوص فاعلية فى ســـلوك الناس . فالنصوص الفلسفية لا تؤثر الا فى القلة المثقفة المتعلمة المطلعة على ثقافات الغـــير والحضارات المجاورة ، والنصوص العقائدية لا تؤثر الا فى العلماء المتخصصين فى أصول الدين ، والنصوص الصوفية لا تؤثر الا فى الطرق الصـــوفية والذين آثروا الانعزال عن العالم لما انتهت المقاومة الفعلية الى طريق مسدود ، أما النصوص الفقهية فهى التى تحتوى على الفتاوى ، رأى علماء الامة فى أحداث العصر ، وحكم الشرع فى مجريات الامـــور .

فهى أشبه بالمنشورات السياسية اليوم وبيانات الاحزاب السياسية والمؤتمرات الصحفية للقـادة . وبالتالى كان لهـا فعلها المباشر فى الجماعة الاسلامية ورؤيتها لاحداث العصر .

وأهم ما فى الفريضة الغائبة شيئان : الاول ، وضع الفكر الاسلامى فى الزمان ، والفكر الاسلامى فى صورته البدائية النصية فى نصوص تؤكد الانا فى مواجهة الآخر ، ترفض الموالاة ، وتؤكد عنصر التمايز ، وتبرز المعارضة . ويتجلى هـذا الفكر فى عقيدة الجهاد ، وتوجيـه هـذه العقيدة نحو الحاضر الآن ، فى التو واللحظة مما يجعل المسلم يقشعر ويخاف ، وتبدأ عمليةِ التحول الفجائى لديه ، فينقلب حاله من حال الى حال كما يحدث للصوفى عندما تأتى لحظة النداء فى حـادثة عارضة ، أو نداء شيخ ، أو صوت مجهول ، أو هاتف باطنى ، أو رؤية قلبية . لذلك تتصـدر الكتاب الآية الكريمة « ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » . ويؤكد الشرح هـذا المعنى الآنى للنداء الالهى حتى يبدأ المسلم على الفور فى سـماع النداء وهو ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن . والثانى ، هـو الفعل والعمل والتنفيذ والتحقيق والمبادرة أو ان شئنا بلغـة الاجتماع والسياسة القوة وكأن الدخول فى الحاضر الآني ، وفى اللحظة الحـالية يجعل المؤمن فاعلا ، وتضيع المسافة بين النظر والعمل ، بين الفكر والممارسة . واستعمال القـوة يقتضى اراقة الدماء ، والتعارض بين الحق والباطل ، بين الايمان والكفر ، بين الهداية والضلال . وبالتالى يتوافر للفكـر عنصراه الضروريان : الانسان والتاريخ ، الزمان والحركة ، الحاضر

والفعل • وبالتالى يحدث الفكر أثره فى كل من يقرؤه بالتحول الفجائى ، ويعيش الحاضر بعـــد الخروج منه والتعويض عنه بالماضى أو الحلم فى المستقبل ، وينقله من موقف المتفرج الى موقف العامل • فالفكر قائم على الانتقال من الضـــد الى الضد • وكذلك السلوك يتحول بالانتقال من الضد الى الضد حتى أصبحت جماعة الجهاد أشبه بالطريقة الصوفية التى يبدأ فيها المريد بالتوبة ، والانتقال من حال الى حال . ولسان كل شاب مسلم يقول « اليوم خمر وغدا أمر » ••

ثم ينطلق الزمان من الحاضر الآنى الى المستقبل على عكس ما هو معروف وشائع عن الحركة السلفية من أنها اتجاه نحو الماضى ، من الحاضر الى الماضى ، وعودة الى العصر الذهبى ، واغراق فى الماضى هروبا من الحاضر ، وعجزا عن مواجهته ، بل ان الدعوة الجديدة دعوة « مستقبلية » تتجه من الحاضر نحو المستقبل ، وتعطى المسلمين أملا جديدا ، فالمستقبل يحتوى على امكانية أكثر من الماضى ، وان المسلم متجه بقلبه نحو المستقبل ، قادر على الفعل وليس نحو الماضى ، عاجزا عنه ، وترتبط بهذه النظرة المستقبلية الرؤية المشيانية Messianic التى تجعل الخلاص واردا فى المستقبل اما بزعامة أو بمصلح أو كل فترة من الزمن ، وبالتالى تكون هذه النظرة عن الخلاص فى المستقبل أكبر رد فعل على الوضع الشائع عند أهل السـنة الذى يغلب عليه التشاؤم والحسرة على الماضى ، وان التاريخ فى انهيار مستمر « خير القرون قرنى » •• من النبوة الى الخلافة الراشـــدة ثم الى الملك العضود ••

لذلك لا مكان لليأس بدعوى الصبر ، وهى الدعوة التى وجهها

المحققون باستمرار الى أعضاء جماعة الجهاد متسائلين : فيم الاسراع وفيم العجلة ؟ أو بدعوى ضياع الوقت فى الاحلام والا فما معنى عقيدة المهدى المنتظر التى يؤمن بها الشيعة والسنة على حد سواء الا هـذا الامل فى المستقبل مقابل اليأس من الحاضر بناء على تجارب الماضى . هذا المهدى الذى سيظهر فى آخر الزمان ، ويملأ الارض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا .. ؟ وما أكثر الآيات القرآنية التى تبشر بالامل وباستخلاف الله للمؤمنين وخلافتهم للارض . فكان من الطبيعى أن يتعلق الشباب بجماعة الجهاد التى تعطيهم الامل فى مواجهة اليأس، والاحساس بالرسالة فى مواجهة التميع والانحلال ، ثم يقوى هـذا الاحساس لديه بفعل العزلة عن المجتمع ، والفصام بين الانا والنحن حتى يتشأ فى نفسه الشعور بأنه مخلص العالم ، وانه المسيح الجديد ، وان التحولات الرئيسية فى التاريخ منوطة به وبرفاقه من خـلال الجماعة .

ثم يأتى البعد الثالث للزمان وهـو الماضى وضرورة التحرر من الارتباط به والعودة اليه والتخلص من اساره من أجل تحقيق الانطلاقة نحو المستقبل ، وهنا تبدو الحركة السلفية كرؤية مستقبلية للعالم لا عودة الى الماضى كما هـو معروف فى كتب علم الاجتماع الغربى وفى أذهان الباحثين المعاصرين المتأثرين بالغـرب وبأحكامه المسـبقة . فالاسـلام مقبل وليس مدبرا ، والمسـتقبل أكثر غنى من الماضى ، والبشارة أقوى من الحسرة ، والامل أقوى من اليأس ، ولا يزال أمام المسلمين مجال للفتوح وللانتشار فى الارض ، وان تاريخ الامة منذ الفتح العثمانى حتى اليوم هو تاريخ فتوح وانتصارات ، وقد تنبأ

الرسول بالفتح العثمانى قبل ثمانمائة سنة ، كما أنه تنبأ بفتح المسلمين المرجو منهم اليوم • وهذا هو مدلول الصحوة الاسلامية الحالية التى تدل على أن المستقبل للمسلمين • واذا كان تاريخ الاسلام قد مر بأربع مراحل فى الماضى : النبوة ، والخـلافة ، والملك العاصى ، ثم الملك الجبرى ، فان المرحلة الخامسة هى عودة الخلافة والحكم بسنة النبى أى عود الى المرحلة الثانية ، والملك العاصى قد انتهى بالثورات العربيه الاخيرة • أما الملك الجبرى فهو الذى يأتى عن طريق الانقلابات التى تحمل أصحابها الى الحكم رغم ارادة الشعب • فاذا كانت المراحل الاربع فى الماضى تمثل الانهيار ، فان المرحلة الخامسة تمثل النهضة ومستقبل الامـة • والصحوة الاسلامية فى ظاهرها هى عـودة الى مرحلة الخلافة الاولى ، المرحلة الثانية بعد النبوة • وهنا تتبنى جماعة الجهاد مفهوم دورات التاريخ الذى له أبلغ الاثر فى حركات الاحيـاء والنهضة وفى الثورات الدينية عندما يتحد نشاط الجماعة باحدى مراحل الدورة ، وهى فى الغالب مرحلة البداية الجديدة ، والعودة الى المرحلة الاولى ، مرحلة البداية ، ونهاية مرحلة الانهيار ، وبالتالى يكـون وجود الجماعة ونجاحها مواكبا لحركة التاريخ • وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم باقامة الدولة الاسلامية واعادة الخلافة • هـذا فضلا عن كونها أمرا من أوامر المولى جل وعلا وواجبا علي كل مسلم بذل قصارى جهده لتنفيذه • ويستشهد بأربعة أحاديث :

(أ) « ان الله روى لى الارض فرأيت مشرقها ومغربها وان أمتى سيبلغ ملكها ما روى لى منها » •

(ب) « ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله

بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل يعز به الله الاسلام وذلا يذل به الكفر » .

(جـ) « مدينة هرقل تفتح أولا القسطنطينية » .

(د) « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها اذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها اذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاصيا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها اذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها اذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل فى الناس بسنة النبى ويلقى الاسلام جرانة فى الارض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الارض لا تدع السماء من قطر الا هبته مدرارا ولا تدع الارض من نباتها ولا بركاتها شيئا الا أخرجته » .

واقامة الدولة الاسلامية فرض على كل المسلمين ، فلا تحقيق للحاكمية الا بالدولة ، وما يتم به الواجب فهو واجب طبقا لقاعدة القدماء من الاصوليين ، والدولة الاسلامية هى نواة الخلافة ، وبالتالى فان الخلافة أيضا فرض على المسلمين يجب العمل على اعادتها . فامام المسلمين هو قائدهم وخليفتهم ، ومن مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، طبقا للحديث الذى تعتمد عليه الشيعة فى القول بوجوب الامامة . وصيغته عند أهل السنة « من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . فالامامة عند الشيعة أصل من أصول العقيدة ، وهى عند أهل السنة ضرورة شرعية عملية وليست أصلا من أصول الدين . وهذا هو موقف الفقهاء وجمهور علماء المسلمين وما اتفق عليه الائمة

جميعا حتى حسن البنا وسيد قطب أخيرا . فالاسلام دين ودولة ولا شأن له بما حدث فى الغرب نتيجة لتسلط الكنيسة على الدولة وعلى كل شيء مما أخل بالحياة السياسية والعلمية والفكرية . فكان الحل الوحيد هو الفصل بينهما والاتجاه نحـــو العلمانية . أما الاسلام فانه نظام حياة ، عقيدة وشريعة ، لانه فكرة ممكنة التحقيق ، مثال يتحول بطبيعته الى واقع . ولما كانت الدولة جزءا منه فانه يزحف على الدول القائمة ويبتلعها ليؤسس دولته . والدولة الإسلامية نواة للحكـــم الإسلامي العام للدولة الاسلامية أو للامصار تحكمها كلها الشريعة . وعلى رأس الدولة النواة يوجد امام المسلمين الذى يرمز لوحدة الامة ووحدة عقيدتها والذى يدافع عن الديار ، ويحمى الحمى ويذب عن الحوزة ، ويقوى الثغور ، ويرسل السرايا ، ويفتح البلدان .

والدولة التى يعيش فيها المسلمون اليوم ليست دولة اسلامية . فمن الشروط للدولة الاسلامية أن تعلوها أحكام الاسلام . وتتحول الى دار كفر اذا اجتمعت فيها ثلاثة شروط « طبقا لفتوى أبى حنيفة » : الاول أن تعلوها أحكام كفر ، والثانى ذهاب الأمان للمسلمين ، والثالث المتاخمة أو المجاورة لدار كفر فتكون مصدر خطر على المسلمين وسببا فى ذهاب الامن . وحكم الدار يتبع الاحكام التى تعلوها طبقا للفقهاء « صاحبا أبى حنيفة الإمام أحمد والامام أبو يوسف » . فان كانت تعلوها أحكام الاسلام فهى دار الاسلام ، وان كانت تعلوها أحكـــام الكفر فهى دار الكفر . وهما قسمان واضحان لا خلاف عليهما ومعروفان فى كتب الفقه القديمة . ولكن الحكم يكون صعبا بالنسبة لدار يعيش فيها مسلمون وكان يحكمها الاسلام ثم تحول الحكم فيها بغير الاسلام هل هى دار اسلام أم دار كفر ؟ دار حرب أم دار سلم ؟ ويلحق

فقيه جماعة الجهاد هذا القسم الثالث بدار الكفر كما فعل ابن تيمية من قبل فى فتواه عندما سئل عنه لان الحاكم بغير ما أنزل الله كافر طبقا لآيات الحاكمية . وفى هذا القسم الثالث يندرج تاريخ الاسلام كله بعد الخلفاء الراشدين عندما تولى أمر المسلمين اناس لا يحكمون بكتاب الله ، وأظهر مثل على ذلك هو حكم التتار ، فمن فعل ذلك يكون كافرا ؛ والكافر يجب قتاله وعلى ذلك يتفق ابن تيمية وابن كثير فى شأن التتار الذين كانوا يحكمون المسلمين بقانون يسمى « الباسق » وهو مجموعه من الشرائع المستقاة من اليهودية والنصرانية والاسلام طبقا للهوى والغرض . وهو ما كان موضوع سؤال مستمر فى « التحقيقات » . فالمسلمون اليوم يعيشون فى دار الكفر وتنطبق عليهم أحكام دولة الكفر وعلى رأسها وجوب القتال . وحكام اليوم كفار ، خرجوا عن ملـة الاسلام شرعا . ويشير المؤلف الى « بدائع الصنائع » والى كتاب « الجهاد » لابن تيمية . وفى هذا القسم الثالث سئل الامام ابن تيمية عن حكم بلدة ماردين التى كانت تحكم بحكم الاسلام ثم تولى أمرها اناس أقاموا فيها حكم الكفر . ويستشهد المؤلف بالاضافة الى آية الحاكمية السابقة بآية « افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » . ثم يقتبس نصا لابن كثير « ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شر وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يصنعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذى وضـع لهم الباسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد

اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاســلامية وغيرها • وفيها كثير من الاحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم • فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه فى كثير ولا قليل » • ويذكر نص آخر لابن تيمية « ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين ، وباتفاق جميــع المسلمين ان من ســـوغ اتباع غير دين الاسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهــو كافر ، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب كما قال تعالى « ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » •

فحكام المسلمين اليوم فى ردة عن الحكم الاسلامى نظرا لانهم تربوا فى أحضان الاستعمار سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية أى أمريكا وروسيا واسرائيل أى أنهم أتباع الغرب وأتباع الشرق الخائنون لقضية البلاد المفرطون فى حقوقها ، مسلمون بالاســم أو بالشعائر لا أكثر ، وعقوبة المرتد أقسى من عقوبة الكافر لان المرتد عرف الحق ثم أنكره فى حين أن الكافر لم يعرف الحق ، خطأ المرتد خطآن نظرى وعملى فى حين أن خطأ الكافر خطأ واحد ، نظرى فقط ؛ وربما لو عرف الحق لآمن ، المرتد لا عذر له فى حين أن الكافر قد يكون له العذر ، مما يدل على أن الخطأ العملى أقسى وأشــد من الخطأ النظرى ، لذلك يقتل المرتد العاجز عن القتال فى حين لا يقتل الكافر ،

كما ان المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته بخلاف الكافر .
ويكون موقف المسلمين منه هو القتال .

ويذكر المؤلف نصا آخر لابن تيمية « وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الاصلى من وجوه متعددة ، منها ان المرتد يقتل بكل حال ولا تضرب عليه جزية ولا تعقد له ذمة بخلاف الكافر الاصلى . ومنها ان المرتد يقتل وان كان عاجزا عن القتال بخلاف الكافر الذى ليس من أهل القتال فانه لا يقتل عند أكثر العلماء كأبى حنيفة ومالك وأحمد .. ولهذا كان مذهب الجمهور ان المرتد يقتل كما هو مذهب مالك والشافعى وأحمد . ومنها ان المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته بخلاف الكافر الاصلى الى غير ذلك من الاحكـام . واذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين فالردة عن شرائعه أعظم من الكفر وخروج الخارج الاصلى عن شرائعه » . ويورد المؤلف نصا آخر لابن تيمية ليؤيد قتال المرتد « كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وان تكلمت بالشهادتين . فاذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا .. وان امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة . كذلك ان امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق ، وكذلك ان امتنعـوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة، وكذلك ان امتنعوا عن الحكم فى الدماء والاموال والاعراض والابضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة ، كذلك ان امتنعوا عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار الى أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد

وهم صاغرون ، وكذلك ان أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة واتباع السلف مثل أن يظهروا الالحاد فى أسماء الله وآياته أو التكذيب بآيات الله وصفاته والتكذيب بقدره وقضائه أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين فى عهد الخلفاء الراشدين • ان الطعن فى السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا فى طاعتهم وأمثال هـذه الامور توجب الخـروج عن شريعة الاسلام ، قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ، ولهذا قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » • وهذه الآيات نزلت فى أهل الطائف لما دخلوا فى الاسلام والتزموا بالصلاة والصيام ولكن امتنعوا عن ترك الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله اذا لم ينتهوا عن الربا • والربا هو آخر ما حرم الله ، وهو ما لا يؤخذ برضا صاحبه ، فاذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم فكيف لمن يترك كثيرا من شعائر الاسلام أو أكثرها كالتتار •• وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة ان امتنعت عن بعض واجبات الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها اذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم أو عن استحلال النفوس والاموال بغير حق أو الربا أو الميسر أو الجهاد للكفار أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب ونحو ذلك من شرائع الاسلام فانهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله » •

هناك اذن أوجه تشابه بين تتار الامس وحكام اليوم يستنبطها

فقيه جماعة الجهاد مؤلف « الفريضة الغائبة » ، من أحكام الفقهاء خاصة ابن تيمية وابن كثير ويحصيها في سبع :

١ — لا فرق بين كل من يخرج عن حكم الله وبين التتار ، ولا فرق بين الحكم بالياسق أيام التتار والحكم بشرائع اليوم المستقاة من القوانين الغربية . فكلاهما واحد ، حكم بغير ما أنزل الله .

٢ — لا فرق بين تمتمة التتار بالشهادتين وكفرهم بالشريعة وكره المسلمين للخروج معهم الى القتال في صفهم ، وكره العلماء على الفتيا لهم سواء كانوا فقهاء أو صوفية وبين حكام اليوم الذين يقيمون الشعائر ولا يحكمون بما أنزل الله ، ويجبرون الشباب المسلم على القتال في صفهم بناء على قانون التجنيد الاجبارى ، ويوظفون العلماء والمشايخ للفتيا لهم تبريرا لاحكامهم .

٣ — لا فرق بين مواليهم وهم شرار الخلق سواء كانوا زنادقة أو منافقين لا يؤمنون بالاسلام الا ظاهرا مثل أهل البدع كالرافضة والجهمية والاتحادية ونحوهم أو من أهل الفسق والفجور ، لا يحجون البيت وان كان فيهم من يصلى ويصوم ، لا فرق بين رعية الامس ورعية اليوم من أهل الزندقة والنفاق الذين يؤمنون بعقائد ومذاهب ونظريات ما أنزل الله بها من سلطان أو الذين يحجون الى البيت تجارة وشهرة وعمالة ونفاقا ، ولا يصلون ويصومون رياء للناس .

٤ — ولا فرق بين أن يقاتل مسلمو الامس تحت قيادة ملكهم جنكيز خان ، فمن دخل في طاعتهم جعلوه وليا لهم حتى ولو كان كافرا ومن خرج عن طاعتهم جعلوه عدوا حتى ولو كان مسلما ، لا يطالبون الكفار تحت امرتهم بالجزية ويطالبون المسلمين بتعظيمهم وتكبيرهم ،

لا فرق بين هؤلاء ومسلمى اليوم الذين لا يحاربون تحت لواء الاسلام ، يدخلون فى طاعتهم الكفــار ولا يأخذون منهم الجــزية ، ويطالبون المسلمين بتعظيمهم أكثر من تعظيمهم لخالقهم فنشأت بطانات النفاق الموالية للحكام فى كل العصور •

٥ ـــ ولا فرق بين أن يعظم مسلمو الامس محمدا وجنكيز خان ويجعلون للثانى الانقياد فى الانفس والاموال ، ويقرون له بالنيابة ، ويدينون له بالسمع والطاعة ، ويحاربون المسلمين ويعادوهم اذا مــا خرجوا عليه وكأنه فرعون أو غرور ، وهو أعظم فسادا ، يعتبر من أطاعه معه ومن عصاه كان ضده حتى ولو كان نبيا أو رسولا ، لا فرق بين هؤلاء وبين مسلمى اليوم الذين يعظمون محمدا وملوكهم ، ثم يدينون لملوك اليوم بالانقياد ، يحاربون معهم ، ويعادون من يخرجون عليهم •

٦ ـــ لا فرق بين من يصادق تتــار الامس ويدخل فى طاعتهم الجاهلية وبين مسلمى اليوم الذين يقبلون حكم الكفر ، ولا فرق بين من عادى حكم تتار الأمس ورفض شريعتهم وخرجوا على طاعتهم وبين من عادى حكام اليوم وخرج على طاعتهم •

٧ ـــ ولا فرق بين قضاة وعلماء وفقهاء الامس أيام التتار وبينهم اليوم ، فقد قدم حكام الامس الاشرار وابعدوا الاخيار كما يفعل حكام اليوم ، وعلى رأس هؤلاء قاضى القضاة الذى يفتى لهم بمــا يريدون ، فيقضون على قوة الاسلام ومناعته بمحو التعارض بين الاسلام من ناحية واليهودية والنصرانية من ناحية أخرى • وهو مثل ما يفعله حكام المسلمين اليوم من حديث عن الاخاء الدينى وبنــاء

مجمع الاديان ، وبأن المسلم هو الذى يؤمن بابراهيم واسحق ويعقوب وبكل ما أنزل الله حتى يضيع التعارض بين المسلمين وأعدائهم ، وبأن العرب أقرباء اليهود من جد واحد ، العرب من اسماعيل واليهود من اسحق ، وانهم والنصارى أهل كتاب . يشير المؤلف الى مجموعة الفتاوى السابقة ويذكر سورة « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » . وهى السورة التى يحتج بها فقهاء التتار للاعتراف باليهودية والنصرانية . ويستشهد المؤلف بنص لابن تيمية بتكفير هذا القسم الثالث المسلم ظاهرا والكافر حقيقة لانه لا يحكم بشريعة الله ، اما كونها دار حرب أو سـلم فهى مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار السلم التى تسرى عليها أحكام الاسـلام لكون جندها مسلمين ، ولا بمنزلة دار الحرب التى أهلها كفار بل هى قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ، ويقاتل الخارج عن شريعة الاسلام بما يستحقه .

ثم يستنبط ستة أحكام أخرى فيما يتعلق بقتال المرتدين سواء كانوا تتار الامس أو مسلمى اليوم وهى :

١ — تحريم اعانتهم ومساعدتهم . ووجوب الهجرة من مجتمعهم على من كان عاجزا على اقامة دينه وسطهم . فان لم يستطع الهجرة فبالعزلة عنهم ورفض معاملتهم أو اقامة أية علاقات معهم أى اتخاذ جميع وسائل المقاومة السلبية برفض الخدمة معهم مدنية أو عسكرية ، أو تقلد وظائف أو انخراط فى الجندية . ولا يجوز وصفهم بأنهم منافقون لانهم كفار ، والنفاق له شروط معينة حددها القرآن .

٢ — كل أموالهم غنيمة للمسلمين ، حلال عليهم حتى ولو كان التتار قد نهبوها من المسلمين أثناء الغزو • فالتتار مثل الكفار أموالهم غنيمة للمسلمين ينتفع بها للصالح العام •

٣ — وجوب قتال التتار بالكتاب والسنة حتى يكون الدين كله لله وليس جزءا من الدين « الشهادتان والشعائر » دون الجزء الآخر « الشريعة » ، فلا فرق بين الصلاة والزكاة ، أو بين الصلاة والامتناع عن الربا ، وقتالهم واجب مثل قتال الخوارج •

٤ — قتال التتار ليس قتالا لاهل البغى المتأولين ، حكمهم حكم مانعى الزكاة ، والخوارج بل قتالهم واجب لانهم معتدون على الشرع خارجون عليه ، فهم أشد من أهل البغى •

٥ — وبرتد عن دين الله من والاهم ضد المسلمين من الامراء والجنود ، وهم أشر من المرتدين مانعى الزكاة لانهم يحاربون المسلمين ويعتدون على الشرع •

٦ — لا ينضم اليهم طوعا الا منافق أو زنديق أو فاسق فاجر ، ومن أكره على القتال معهم فانه يثبت على نيته ، وواجب المسلمين قتالهم جميعا حذرا من المكروه ، ويعتمد المؤلف لاثبات هذه الاحكام الست على فتاوى ابن تيمية ، ويستشهد بنصوص منها للحكم الاول واعانة الخارجين عن شريعة دين الاسلام محرمة سواء أكانوا أهل « ماردين » أو غيرهم • والمقيم بها ان كان عاجزا عن اقامة دينه وجبت الهجرة عليه والا استحبت ولم تجب ، ومساعدتهم لعدو المسلمين بالانفس والاموال محرمة عليهم ، ويجب عليهم الاقلاع عن ذلك بأى طريق أمكنهم من تغيب أو تعريض أو مصادفة فاذا لم يكن الا بالهجرة

تعينت .. ولا يحل سبهم عموما بالنفاق بل السب والرمى بالنفاق يقع على الصفات المذكورة فى الكتاب والسنة فيدخل فيها أهل ماردين وغيرهم (ابن تيمية ص ٢٨٠ مسألة ٥١٣ فى رجل جندى وهو يريد ألا يخدم اذا كان للمسلمين به منفعة وهو قادر عليها لا ينبغى له أن يترك ذلك لغير مصلحة راجعة على المسلمين .. بل لكونه مقدما فى الجهاد الذى يجعله الله ورسوله أفضل من التطوع بالعبادة كصلاة التطوع والحج وصيام التطوع والله أعلم) . وللحكم الثانى « مسألة ٥١٤ » اذا دخل التتار الشام ونهبوا أموال النصارى والمسلمين ثم نهب المسلمون التتار وسلبوا القتلى منهم فهل المأخوذ من أموالهم وسلبهم حلال أم لا ؟ الجواب : كل ما أخذ التتار يخمس ويباح الانتفاع بـه « ومعنى يخمس أى غنيمة » . وللحكم الثالث « قتال التتار الذين قدموا الى بلاد الشام واجب بالكتاب والسنة . فان الله يقـول فى القرآن « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » . والدين هو الطاعة . فاذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب الله ورسوله » . وقـد ثبت فى الصحيحين أن عمـر لمـا ناظـر أبا بكر فى مانعى الزكـاة قال أبو بكـر كيف لا أقاتل من تـرك الحقـوق التى أوجبها الله ورسوله وان كان قد أسلم كالزكاة ؟ وقال فان الزكاة من حقها والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . وقد ثبت فى الصحيح غير مرة ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج وقال فيهم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم يقرؤون

القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السـهم من الرمية . أينما لقيتموهم فاقتلوهم أجرا عند الله ان قتلهم يوم القيامة لان أدركتها لاقتلهم قتل عاد » . وللحكم الرابع « فقد يتوهم البعض ان هؤلاء التتار من أهل البغى المتأولين ، ويحكم فيهم بمثل هذه الاحكام ما أدخل فى هذا الحكم مانعى الزكاة والخوارج وسنبين فساد هـذا التوهم ان شاء الله » (ابن تيمية ص ٢٨٢ ص ٢٩٦) . ويستشهد بحديث « من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد » . الحكم الخامس « وكل من يسير اليهم من أمراء العسكر وغير الامراء فحمكه حكمهم وفيهم من الردة عن شرائع الاسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الاسلام . واذا كان السلف قد سموا مانعى الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين فكيف بمن صار من أعداء الله ورسوله قاتلا للمسلمين ؟ » (ابن تيمية ص ٢٩٣) . وللحكم السادس « فانه لا ينضم اليهم طوعا من المظهرين الاسلام منافق أو زنديق أو فاسق فاجر ومن أخرجوه معهم مكرها فان يثبت على نيته ونحن علينا أن نقاتل العسكر جميعه اذ لا يميز المكره عن غيره .. المكره على القتال فى الفتنة ليس له أن يقاتل بل عليه افساد سلاحه وان يصبر حتى يقتل مظلوما فكيف بالمكره على قتال المسلمين مع الطائفة الخارجة عن شرائع الاسلام كمانعى الزكاة والمرتدين ونحوهم ؟ فلا ريب أن هـذا يجب عليه اذا أكره على الحضور ألا يقاتل وان قتله المسلمون .. وان أكره بالقتال ليس حفظ نفسه بقتل ذلك المظلوم أولى من العكس ، فليس له أن يظلم غيره فيقتله لئلا يقتله هو » .

ويرد المؤلف على شبهات المعاصرين ، الآراء والاهواء التى تريد

تأجيل الجهاد أو ايقافه أو بيان استحالته • ويرد عليها شبهة شبهة معارضا تخوفات المعاصرين ، وهى الآراء التى تحث أيضا على قيام الحكم الاسلامى ولكن بطريق الدعوة الاسلامية ونشر الوعى الدينى • وهو الطريق الذى رسمته جماعة الاخوان المسلمين اثر محمد عبده ورشيد رضا والذى سارت فيه سائر الجماعات الاسلامية الاخرى باستثناء جماعة الجهاد • والشبهات ست عشرة وهى (٢٢) :

١ — يمكن اقامة الدولة الاسلامية ابتداء من الجمعيات الخيرية التابعة للدولة والتى تحث الناس على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وعلى فعل الخير ، فكلها أوامر من الله لا يمكن التفريط فيها • وفى رأى المؤلف أن هذا طريق مسدود ، فلا يمكن اقامة الدولة الاسلامية عن طريق الجمعيات الخيرية خاصة وانها اشراف الدولة وتحت سيطرة السلطة •

٢ — يمكن اقامة الدولة الاسلامية عن طريق طاعة الله وتربية المسلمين ، وكلما اجتهد المسلمون فى العبادة صفت سرائرهم ، اذ أن كل ما يحيط بهم من شرور انما ناتج عن ذنوبهم وسيئات أعمالهم ، فمن جنس أعمالهم سلط الله عليهم حكامهم • والحقيقة ان هـذا

---

(٢٢) جريدة « الوطن » ، الاربعاء ٨ ديسمبر ١٩٨٢

وقبل هذه الفقرة وضعت الجريدة المانشتات الآتية :

● الحركة الاسلامية ومستقبلها فى ضوء قضية السادات (١٣) .
● الفريضة الغائبة وجدل التاريخ .
● الرد على شبهات المعاصرين الداعية لتأجيل الجهاد .

واعلنت فى نهاية الحلقة : الحلقة القادمة ، الاصـولية الاسـلامية وحاضر مصر .

الطريق لا ينسخ طريق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وطريق الجهاد • فالجهاد هو أعلى درجات الطاعة ، وركن الاسلام الركين ، وذروة سنام الاسلام ، ومن ضمن الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أى مواجهة الحكام وجها لوجه • ومن يرى ذلك الطريق فاما انه لا يفهم دولة الاسلام فأراد أن يستبدل بها فلسفات غربية أو انه جبان لا يقف بصلابة مع الحق فى مواجهة الباطل ، ومع الله فى مواجهة الحكام• ويذكر المؤلف الحكمة المأثورة عن مالك بن أنس التى تدعم هذا الرأى وهى « أنا الله ملك الملوك ، قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم » ، وحديث الرسول « من لم يغز أو تحدث نفسه بالغزو مات ميتة الجاهلية » وكذلك حديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » •

٣ — أما قيام الحزب الاسلامى فليس طريقا لاقامة الدولة الاسلامية ، فهو مثل باقى الاحزاب السياسية يزايد على الجمعيات الخيرية فى آرائها ومناهجها ، وبالتالى فانه يساعد على تدعيمها وترسيخ قواعدها عن طريق الاشتراك فى عضوية المجالس التشريعية التى تشرع بغير ما أنزل الله •

٤ — أما الاجتهاد من أجل الحصول على المناصب حتى تمتلىء الدولة بالطبيب المسلم والمهندس المسلم والقاضى المسلم والجندى المسلم ••• الخ ، وبالتالى يسقط نظام الكفر من تلقاء نفسه ودون جهد وتقدم دولة الاسلام فهو من ضرب الخيال أو المزاح ، لا سند له من الكتاب والسنة ولا يمكن أن يتحقق فى الواقع شىء منه • فمهما بلغ

الامر من تربية « كوادر » اسلامية للدولة الا انهم سيظلون عاملين فيها ومن نباتها ولن يصل الامر الى أن تصل شخصية اسلامية أى منصب قيادى الا اذا كانت موالية للنظام ، فبدلا من أن تبتلع «الكوادر» المسلمة الدولة تنتهى الدولة الى ابتلاعهم .

٥ — أما الدعوة من أجل تكوين قاعدة عريضة شعبية تستطيع أن تطالب بالاسلام نظاما وشريعة وكبديل عن الجهاد فانها لا تقيم الدولة الاسلامية لان الذى سيقيمها هى القلة المؤمنة ، الجيل القرآنى الجديد ، الصفوة المصطفاة ، والقرآن يدين الكثرة ، ويؤثر الكيف على الكم . وكيف تنجح الدعوة وتحصل على هذه القاعدة العريضة وأجهزة الاعلام فى يد الدولة فى حين أن الوثوب الى السلطة يمكن الدعاة من الدعوة الى الله وتكوين القاعدة العريضة من خلال السيطرة على أجهزة الدولة فلا يجب انتظار أن يكون الناس مسلمين حتى تقام الدولة الاسلامية لان الدولة الاسلامية هى الطريق الذى من خلاله يستطيع الناس أن يكونوا مسلمين . فالاسلام ليس دينا عاجزا أو ناقصا بل هو دين عملى وصالح للتطبيق وقادر على قيادة المسلم والكافر والفاسق والصالح والعالم والجاهل . واذا كان الناس قادرين على أن يعيشوا تحت حكم الكفر والظلم فانهم يكونون أقدر على أن يعيشوا تحت حكم الايمان والعدل . ولا يعنى ذلك التوقف عن الدعوة ، دعوة الناس الى الاسلام لان الاساس هو أخذ الاسلام ككل ، انما الحذر ممن يريدون أخذ جزء من الاسلام وهو الدعوة دون الجزء الآخر وهو الجهاد .

ويذكر المؤلف بعض آيات تؤيد الكيف على الكم مثل « وقليل من عبادى الشكور » ، « وان تتبع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله » ، « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » ، « وكم من

فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ، « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت » ، وكذلك يذكر حديث الرسول « ولينزعن الله الهيبة من قلوب أعدائكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن » فلما سئل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ! ؟ أجاب « بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل » • ويستشهد على امكان قيام الدعوة بعد الحصول الى السلطة بسورة « اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » • ولتحديد أنواع الهجرة يستشهد المؤلف بالحديث المشهور ، « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله كانت هجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » • ويستشهد بوجوب القتال كطريق لاقامة الدولة الاسلامية بآيتين « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » ، « قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » •

٦ ـ أما الهجرة الى بلد آخر واقامة الدولة هناك ثم العودة مرة أخرى فاتحين ، فان الاقرب أن يقيموا الدولة الاسلامية فى بلدهم ثم يهاجروا الى غيرها غازين خارجين من بلدهم فاتحين • ان الهجرة من بلاد المسلمين غير شرعية لان الهجرة لغة هى ترك الشيء الى غيره ، واصطلاحا ترك ما نهى الله عنه ، والهجرة فى الاســلام على نوعين : الاول ، الانتقال من دار الخوف الى دار الأمان ، كهجرة المسلمين الى الحبشة وهجرتهم من مكة الى المدينة فبداية الاسلام • والثانى ، الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان مثل استقرار الرسول فى المدينة وهجرة المسلمين اليــه وهو النموذج الذى أخذه البعض « التكفير والهجرة »

بالهجرة الى الجبل ثم العودة الى الوادى وكلقاء فرعون كما التقى به موسى من قبل ثم يخسف الله بفرعون وجنــوده الارض ، وكلهــا شطحات ناتجة عن ترك الاسلوب الصحيح لاقامة الدولة الاســلامية وهو أسلوب القتال .

٧ ــ والانشغال بطلب العلم كطريق لاقامة الدولة الاسلامية ، فالعلم أساس الجهاد ولا يمكن الجهاد على غير علم ، والعلم فريضــة على أية حال لا يعنى ترك أمر شرعى من أجل أمر شرعى آخــر ، فالجهاد كالعلم ، كلاهما أمران شرعيان ، وكيف يمكن ترك فرض العين وهو الجهــاد من أجل فرض كفاية وهــو العلم ؟ وكيف يمكن التمسك بالسنن أو الدعوة اليها وترك فرض الجهــاد ؟ وكيف لا يدرك من يتعمق فى العلم فريضة الجهاد وعقوبة تأخيره أو التقصير فيــه ! ؟ لا يمكن أن يكون العلم جهادا أو بديلا عن الجهاد لان الجهاد هو القتــال بل يمكن أن يتم الجهاد دون علم وتفقه اذا ما نوى الانســان الشهادة واستشهد قبل أن تتاح له الفرصة ويســنح له الوقت للعلم . ولما كان العلم يقتضى العمل فانه لا يمكن العلم بفريضة الجهــاد دون العمل بها كالعلم بالصلاة يقتضى الصلاة ، والعلم بالصيام يقتضى الصيام . وليست أحكام الجهاد صعبة الفهم لان كل أحكام الاســلام سهلة المنال ومنها أحكام الجهاد ، والعلم بها ممكن فى وقت قصير ، ومن أراد أن يزداد فله ما أراد ، العلم متــاح للجميع فى أى وقت يشاء العالم . أما الجهاد فلا يحتاج الى تأخير بحجة طلب العلم ، فالعلم لا مدة له ، وتأخير الجهــاد بحجة طلب العلم هو فى حد ذاته جهل ، لم يكن المجاهدون الاوائل الذين فتحوا البلاد علماء ، ولم يحتجوا بطلب العلم على تأخير الجهــاد ، ولكن العلم لديهم علم الحديث وعلم

الفقه وأصوله ، ولقد انتصر الاسلام على أيديهم ولم ينتصر على أيدى علماء الازهر ، حملة العلم يوم أن دخل نابليون وجنوده صحن الازهر وداسه بالخيل والنعال ولم يستطع علمـاء العلم أمام ذلك شيئا ! فالعلم ليس هـو السلاح الذى يواجه به المسلمون الكفار بل القتال ، وذلك لا يعنى تحقير العلم بل يعنى انه لا يمكن اسـتبدال القتال به ، والقتال فى الاسلام تنفيذ لشرع الله ، فقـد كان العذاب ينزل على الامم السابقة مباشرة من الله فى حين أنه ينزل على الكفار بقتال المسلمين لهم دون أن يتدخل الله فى السنن الكونية كما كان الحـال قبل الاسلام . والقتال ضـد الكفار ، والامام الكافر أولى بالقتال ، فالكفر هنا يعنى المعصية ، والا فانه لا ينعقد لكافر ولو طرأ على الامام الكفر وجب عزله ، وكذلك لو ترك اقامة الصلوات أو الدعاء اليها « لو طرأ عليه كفر أو تغير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه وتنصيب امام عادل ان أمكنهم . ويستشهد المؤلف لإثبات القتـال كفرض بآية « كتب عليكم القتال » ، وكذلك « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » . كما يستشهد على وجوب الخروج على الحاكم بحديث « ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهانا وبواحا » . ويستشهد برأى القاضى عياض فى قوله باجماع العلماء على ان الامامة لا تنعقد لكافر ، وينتهى بنص لابن تيمية مؤداه ان كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وان تكلمت بالشهادتين .

٨ ــ اما تحديد ميدان الجهاد ببقعة معينة يحتلها العدو مثل القدس كأرض مقدسة فهـو فى حقيقة الامر صحيح لان تحرير الاراضى

المقدسة أمر شرعى واجب على كل مسلم ومسلمة . ولكن لما كان المؤمن « كيسا فطنا » طبقا لحديث الرسول ويعلم ما ينفعه وما يضره فان تحرير بقعـــة من الارض تحت أقدام العدو قد لا يكون الحل الجذرى لتحرير أراضى المسلمين لثلاثة أسباب : الاول ، ان قتـــال العـــدو القريب أولى من قتال العدو البعيد وكأن قتال الحكام العرب أولى من قتال اسرائيل ! والثانى ، ان النصر الذى سيدفع ثمنـــه من دماء المسلمين لن يكون لصالح الدولة الاسلامية التى لم تقم بعد بل لصالح حكام الكفر وتثبيت لاركان دولتهم الخارجة عن شرع الله . بل ينتهز الحكام اتجاهات المسلمين وعواطفهم الوطنية لتحقيق أغراضهم غير الاســـلامية وان كان ظاهرها الاسلام . فالقتال يجب أن يكون تحت راية مسلمة وقيادة مسلمة وبهدف اسلامى . والثالث ، ان هؤلاء الحكام هم السبب فى وجود الاستعمار فى البلاد ، وان القضاء على الاستعمار قضاء جذريا انما يتطلب القضاء على أعوانه فى الداخل . وهذا لن يتم الا بقيـــام الدولة الاسلامية ، وتطبيق الشرع الاسلامى ، وجعل كلمة الله هى العليا . فميدان الجهاد ليس اذن تحرير الارض المحتلة والقدس بل « اقتلاع تلك القيادات واستبدالها بالنظام الاســـلامى الكامل ومن هنا تكون الانطلاقة » ، وكأن تحرير العرب أولا هـــو الطريق الى تحرير فلسطين !

٩ ــ أما القول بأن الجهاد فى الاسلام للدفاع فقط وان الاسلام لم ينتشر بالسيف فهـــو قول باطل ترد عليه آيات القرآن وأحاديث الرسول . القتال فى الاســـلام لرفع كلمة الله فى الارض ســـواء هجوما أو دفاعا . وقد انتشر الاســـلام بالسيف ولكن فى مواجهة أنظمـــة الكفر وحكام الجاهلية دون أن يكره أحدا . فواجب المسلمين رفـــع السيوف فى وجه كل من يحجب الحق ويظهر الباطل حتى يصل الحق

للناس • وفى هـذا المعنى كتب الرسول رسائله لحكام عصره وملوكه كما هـو معروف فى تاريخ الدعوة الاولى وفى عصر الفتوح • لذلك نسخت آية السيف آيات الدعوة حتى لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ أن نزلت سـورة براءة • نسخت آية السيف كل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على أذى الاعداء ، وأصبحت كل هـذه الآيات منسوخة بآية السيف وبالتالى لا يمكن الاسـتدلال بها على ترك القتال والجهاد • وعلى هذا أجمع فقهاء المسلمين ولم يشذ عنهم الا الامام السيوطى • وتعطيل الجهـاد بحجة النسأ ليس ايقافا للغزو فقط بل لنية الغزو وهو معارض لآيا تالقرآن وأحاديث الرسول • والامر المتفق عليه ان الجهاد يستلزم القوة وان الحصـول على القوة لا يتأتى الا بفرض الجهاد الذى يتطلب الاخذ بأسـباب القـوة • ويستشهد المؤلف بحدث الرسـول « من قـاتل لتكـون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » • كمـا يذكر رسالة من الرسول الى هرقل « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسـوله الى هرقل عظيم الروم • سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فانى أدعوك بدعوة الاسلام • اسلم تسـلم يأتك الله أجرى مرتين فان توليت فانى أدعوك •• » ، « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضـنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» •كما يذكر رسالة الرسول الى كسرى « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم الفرس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله • وأدعوك بدعاء الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين تسلم وان

أبيت فان اثم المجوس عليك » ، وكذلك رسالة الرسول الى أهل نجران « باسم اله ابراهيم واسحق ويعقوب ، من محمد النبى رسول الله الى أسقف نجران وأهل نجران . سلم انتم ، فانى أحمد اليكم اله ابراهيم واسحق ويعقوب . أما بعد ، فانى أدعوك الى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد ، فان أبيتم فالجزية ، فان أبيتم فقد أذنتكم بحرب والسلام » . أما آية السيف فهى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » قال الضحاك بن مزاحم انها نسخت كل عهد بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أحد المشركين وكل عقد ومدة ... وقد تم نسخ كل آيات الدعوة وهى حوالى ١١٤ آية بآية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، « كتب عليكم القتال » . وهو رأى الامامين ابن حزم وابن سلامة بل انها نسخت أولها وهى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » . بل ان الضحاك يرى ان آية السيف منسوخة بآية أخرى أشد هى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء » ، وهى أشد على المشركين من آية السيف . وأما السيوطى فانه جعل آيات الدعوة عن المنسأ أى من المؤجل تطبيقه وليس من المنسوخ ، حين كان المسلمون ضعفاء والى أن يقووا ، وتوقيت الآيات معلوم فى القرآن مثل « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره » . فالجهاد فريضة بآيات القرآن مثل « ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم » . وبأحديث الرسول مثل : « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، وأخذوا أذناب البقر أنزل الله عليهم من السماء بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

ويستشهد المؤلف بعدة آيات قرآنية مثل « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار » لاثبات النقطة الاولى ، وبآية « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » ، وبحديث الرسول « اذا استنفرتم فانفروا » لاثبات النقطة الثالثة •

١٠ — أما القول بان جيوش المسلمين على مر العصور كانت قليلة العدد والعدة ، وواجهت جيوشا بأضعاف حجمها وبأن ذلك كان خصوصية للرسول وصحابته وليس لغيره أو لغيرهم ، حادثة فريدة فى التاريخ لا تتكرر ، فانه انكار لقوانين التاريخ وبوعد الله النصر للمؤمنين، وطالما انتصر المسلمون فى تاريخهم بالكيف لا بالكم • فالجهاد قائم ، والنصر قادم طالما أخذ المسلمون بأسباب القوة ، وأعدوا العدة ، ولا يصلح هذه الامة الا ما صلح به أولها •

١١ — أما القول باننا اليوم نعيش فى مجتمع مكى أى فى بداية الدعوة فان المقصود بهذا القول ترك الجهاد فى سبيل الله ، ويعنى هذا القول أيضا لو كان المقصود به اسقاط الجهاد كفريضة وترك الصوم والصلاة والتعامل بالربا فان كل هذه التشريعات انما سنت فى المدينة • وقد اكتمل الدين « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » • ولا يمكن أن نبدأ من جديد كما بدأ الاسلام فى مكة والمسلمون ضعافا • انما نأخذ الآن بما انتهى اليه الشرع ، فنحن لسنا فى مجتمع مكى أو فى مجتمع مدنى بل فى مجتمع

مسلم يحكمه مسلمون لا يحكمون بشرع الله ، وبالتالى يكون حكمه حكم دار الكفر .

١٢ ــ أما القول بأن الفرض هو الصلاة والصيام والحج الى آخر الفروض دون الجهاد ، فذلك أيضا مخالف لنص القرآن الذى قال « كتب عليكم الصيام » كما قال « كتب عليكم القتال » . ان الجهاد فرض كالصلاة والصيام سواء بسواء . الجهاد فرض بنص من القرآن ، والقتال يعنى المواجهة والدم . وهــو فرض عين وليس فرض كفاية ، يتعين فى ثلاثة مواضع : الاول ، اذا التقى الزحفان ، وتقابل الصفان ، حرم الانصراف على المسلمين ، والتراجع عن القتال ، فالقتال فرض عليهم بالمواجهة . والثانى ، اذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ، وهــو القتال ضد الاعتداء والغزو الاجنبى . والثالث ، اذا ما استنفر الامام القوم للقتال ، وأعد العدة ، وآذن للجهاد . وهذا هو حال المسلمين اليوم بعد أن غزاهم العدو واستباح ديارهم واحتلهم بل وأصبح يملك زمام الامور من خلال حكام المسلمين الذين انتزعوا القيادة منهم ، وبالتالى فجهادهم فرض عين ، يعد له كل مسلم ومسلمة بكل حبة عرق . ولا حاجة لاستئذان الوالدين فيه لان مثله كالصوم والصــلاة .

١٣ ــ أما القول بأن الجهاد مراحل ابتداء من جهاد النفس الى جهاد الشيطان ثم جهاد الكفــار والمنافقين فى النهاية اعتمادا على تقسيم ابن القيم فهذا جهل بالدين أو جبن وخوف فى الدنيا . فابن القيم قسم الجهاد الى مراتب أو أنواع وليس الى مراحل ، والا توقفنا عن مجاهدة الشيطان حتى ننتهى من مجاهدة النفس . والحقيقة أن هذه المراتب الثلاث تســير فى خطوط متوازية مع العلم بأن مجاهدة

النفس ومجاهدة الشيطان تجعلنا أكثر ثباتا فى الجهــاد مع العدو •
وعندما كان يؤذن للجهــاد ، كان المسلمون جميعا يخرجون بمن فيهم
مرتكب الكبيرة وحديث العهد بالاســلام • أما الحديث المشــهور
« رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر » فانه حديث موضوع
كما نبه الى ذلك رشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب الغرض منــه
ابعاد المسلمين عن قتال الكفار •

١٤ — أما خشية الفشل أى أن تقام الدولة ثم يحدث بعد يوم
أو يومين رد فعل مضاد يقضى عليها فلا أساس له لان المهم هو قيام
الدولة الاسلامية تنفيذا لامر اله بصرف النظر عن النتائج ! والهدف
من هذا التخوف هو تثبيط المسلمين عن تأدية واجبهم الشرعى واقامة
شريعة الله على الارض دون العلم بأن قيام الدولة الاسلامية مستحيل •
وقوانين الاسلام قادرة على القضاء على كل مفســدة ، وان قوانين
الاسلام وكلها عدل تجد ترحيبا عاما بها من غير المسلمين قبل المسلمين •
فلا يتخوف من ذلك الا المنافقون ! وواضح ان التفاؤل هــو الذى
يسود دون مراعاة لقوى المعارضة والفســاد فى التاريخ • ويستشهد
المؤلف فى ذلك بآية من سورة الحشر « ألم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم
ولا نطيع فيكم أبدا وان قوتلتم لننصرنكم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار
ثم لا ينصرون » ، وكذلك آية « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم » •

١٥ — أما غياب القيادة الاسلامية لعملية الجهاد وعدم وجود
أمير يقود الناس فانه قول يردده من بيدهم السلطة الذين ضيعــوا
القيادة ثم يبكون عليها بعد أن أوقفوا مســيرة الجهاد • صــحيح

ان الرسول قد أوصى بضرورة الامارة ولكنه جعلها بأيدى المسلمين دون غيرهم وتعقد للاحسن اسلاما وللاقوى ، وهى صـفات مكتسبة يمكن للمسلمين تحقيقها والسـعى لها • قد يوجد فقيه دون أن يكون عالما بأحوال الزمان أو العكس فقد يوجد عالم بأحوال الزمان ولا يكون فقيها • ومع ذلك فالقيادة واجبة ويمكن استكمال نواقصـها بالشورى ، وبالتالى تسقط كل حجج ترك الجهـاد • ويجب تنظيم عملية الجهاد لاعادة الاسلام ، واقامة الدولة ، واستئصال طواغيت الكفـر • فهم فى نهاية الامر بشر لم يجدوا من يقنعهم بأمر الله • وقد بايع المسلمون الرسول على القتال والموت وهى خلافة البيعـة المطلقة للخليفة ، الاولى أمام الله والثانية أمام الناس • الاستعداد للجهـاد هو واجب المسلم ، والتحريض على القتال فى سـبيل الله واجب الائمة والامة ، ولا شىء يعدل فريضة الجهاد من صـوم أو صلاة • وترك الجهـاد اليوم هو سبب ما يعانيه المسلمون من ذلة ومهانة وتفرق وتمزق ، عقوبة على تركه حتى أصـبح المسلمون كلهم كالنساء جهادهم فى الحج والعمرة • ويستشهد المؤلف فى الامارة بأحاديث « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » ، وأيضا « من استعمل على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقـد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين » • وقد قال الرسول لابى ذر « انك ضعيف وانها أمانة » • وبالنسبة لضرورة البيعـة ذكر حديث البخارى « بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ثم عدلت الى ظل الشجرة فلما خف الناس قال « يا ابن الاكوع ألا تبايع ؟ » قلت بايعت يا رسول الله • قال « أيضا » وكانت البيعة على الموت • وللتفرقة بين البيعة على الموت والبيعة المطلقة للخليفة يذكر حديث « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعصى الامير

فقد عصانى » ، وآية « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامــر منكم » . وللتحريض على القتال يذكر عدة أحاديث منها « انتدب الله لمن خرج فى سبيل الله لا يخرجه الا الجهاد فى سبيل الله وايمان بى وتصديق برسولى فهو على ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » ، وأيضا « من نال الشهادة مصدق بلغه الله منازل الشــهداء وان مات على فراشه » . وحديث ثالث يدل على أنه لا يعدل الجهاد أى عمل آخر من صلاة أو صوم . وحديث رابع « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له من أول دفقة دم ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الاكبر ، ويحيى حلية الازمان ، ويزوج من الجور العين ، ويشفع فى تسعين من أقاربه » (الترمذى) . ولعقوبة ترك الجهاد نذكر آيات « يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم الله عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » (التوبة) وبحديث الرسول « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، وأخذوا أذناب البقر أنزل عليهم من السماء بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

١٦ ـــ أما التخوف من الدخول فى القتال بحجة ان أعداء المسلمين فيهم الكفار وفيهم المؤمنون المصلون واستحالة قتال المؤمنين ولان القاتل والمقتول فى النار طبقا لحديث الرسول فقد أفتى ابن تيمية فى هؤلاء المتخوفين بأنهم أجهل الناس بدين الاسلام . فقتال الاعداء واجب وفرض حتى ولو كان فيهم المسلم والمؤمن ، كما هو الحال فى

تترس الكفار بالمسلمين ، واحتمال قتل المسلمين حماية لجموعهم ، ويكون المسلمون شهداء ، فالمهم هـو مصلحة الامة ودفع الضرر عنها ، يبقون على نياتهم سواء كانوا مكرهين أو لا اذ تصعب التفرقة . أما الممتنعون عن القتال فهم من البغاة المتأولين انقسم فيهم العلماء ، وهم فى حقيقة الامر من جنس الخوارج الذين يجب قتالهم . وللتمييز بين السرائر يذكر حديث الرسول « أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فالى الله » ردا على اعتذار العباس يوم بدر انه خرج مكرها . كما يذكر حديث « يغزو جيش من الناس فبينما بيداه من الارض ازحف فيهم » فقيل يا رسول الله وفيهم المكره فقال « يبعثون على نياتهم » . وعذاب الكفار واقع على أيدى المؤمنين بدليل قوله تعالى « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » .

ثم ينهى صاحب « الفريضة الغائبة » كتيبه بذكر أساليب القتال وفنونه فى الاسلام كحجة لاثبات أن القتال ممكن وان القتال فى العصر الحديث رغم تغير أساليب القتال وفنونه عما كانت عليه فى الماضى أيام النبى . فالقتال يعتمد على العقل والرأى وليس فنا ثابتا لا يتغير ، ويذكر أربعة عشر فنا هى :

١ — الحرب خدعة طبقا لحديث الرسول . وقد اتفق العلماء على جواز خداع الكفار الا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان ، ولا يوجد عهد بين المسلمين والكفار لانهم محاربون لدين الله . والحكمة من الخدعة هى تحقيق أكبر قدر من الانتصارات بأقل قدر من الخسائر .

٢ — لما كان أسلوب القتال ليس وحيا من عند الله بل يعتمد على

الرأى والمشورة فان من الممكن ابداع أساليب للقتال لم يعرفها العالم القديم أو الجديد بعد كما حفر المسلمون قديما خندقا حول المدينة ويفصل بين المهاجمين والمدافعين وذلك بعد أن ألب اليهود القبائل ضد الرسول وكما يفعلونه هذه الايام ، وهى واقعة « الخندق » التى غيرت أساليب الحرب فى الميادين المكشوفة الى أسلوب جديد أشار به الفارسى .

٣ — الكذب على الاعداء ، فقد صح فى الحديث الكذب فى ثلاثة أشياء منها الحرب المعارضة . وليس حقيقة الكذب فى ذاته ، وذلك نتيجة لان الحرب خدعة .

٤ — استخراج التخطيطات الاسلامية والخدع القتالية من سرايا الرسول لانها مازالت قائمة حتى اليوم مثل اظهار الموالاة للعدو فى الحرب ولو اقتضى الامر اظهار الشرك والكفر بالرغم من تسمية المستشرقين لذلك غدرا وخيانة ، وجواز انغماس المسلم فى صفوف الكفار ان كان فى ذلك مصلحة للمسلمين حتى وان أدى ذلك الى قتله قبل أن يرى تحقق المصلحة .

٥ — الاغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الاسلام دون انذار قول بعض الائمة بوجوب الانذار « مالك » أو بتحريم ذلك على الاطلاق، وكلاهما رأيان ضعيفان والاول هو الرأى الصحيح . وكان ذلك فى أول الاسلام فقد أغار الرسول على بنى المصطلق طبقا لرواية الامام مسلم عن عدى ، وقال بالمذهب الثالث الصحيح نافع مولى بن عمر والحسن البصرى والثورى والليث والشافعى وأبو ثور وابن المنذر والجمهور ، وهو قول أكثر أهل العلم .

٦ ــ الاغارة ليلا على المشركين حتى ولو أصيب نساؤهم وصبيانهم لان حكمهم حكم آبائهم واذا لم يعتدوا وبدون ضرورة • والاعتماد على حديث لمسلم عندما سئل عن حكم صبيان المشركين الذين يبقون فيصاب من نسائهم وصبيانهم بالقتل •

٧ ــ الكف عن قصد النساء والرهبان والشيخ بالقتل ، وهذا لا يتعارض مع الحكم السابق نظرا لاختلاف الحالتين عن حديث رواه الجماعة الا النسائى وقول الرسول « ما كانت هذه لتقاتل » وقال لاحدهم: « الحق خالدا فقل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا » •

٨ ــ الاستعانة بمشرك حسن الرأى اذا دعت الحاجة اليه وأن يكون المسلمون قلة والمشركون كثرة • فقد استعان الرسول بصفوان بن أمية قبل اسلامه فى حين قال الرسول عندما طلب من أحد الاعراب « تؤمن بالله ورسوله » ورفضه ذلك ، ارجع فلن نستعين بمشرك • أخذ الشافعى بالرأى الاول وأخذ العلماء بالحديث الثانى اطلاقا • ويشارك الشافعى فى الرأى أبو حنيفة والجمهور •

٩ ــ جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها حرمانا لهم من سبل العيش ومقومات الحياة وحتى يسهل قتالهم • وفى ذلك نزلت آيـــة « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين » •

١٠ ــ تنظيم الجيش المسلم مثل قتال المسلم تحت راية قومه ، واتخاذ المسلمين شعار النصر ، وكراهية الموت عند القتال ، والخروج فى وقت معين ، والقاء أدعية معينة •

١ ــ الاخلاص فى الجهاد فى سبيل الله أى بتجريد القصد وهو

التقرب الى الله ، لا طلبا للمباهاة أو الفنية بل لتكون كلمة الله هى العليـا .

١٢ — يتم استبعاد المتخلفين عن الطريق فللشدائد أهلها ، من يذرون الاهواء ، ومن يتركون حب الراحة وتجنب المشقة ، ضعفاء الهمة ، وأطرياء الارادة ، الخائفين من المتاعب النافرين من الجد ، المؤثرين للراحة على الكدح الكريم ، المفضلين للسلامة الذليلة على الخطر العزيز . فالجهاد طريق محفوف بالمخاطر ، مملوء بالاشواك ، تكتنفه العقبات ، ولكنه على النفس أجمل وأحلى من القعود والتخلف والبلادة .

١٣ — تنقية الصف من المنافقين والمثبطين والقاعدين ، فلا يخرجون لقتال ، ولا يصطحبون أميرا ، فقد يتجسسون لحساب الكفار بعد أن يطلعوا على أسرار المسلمين .

١٤ — غرور الفقير يمنع تأميره ، سدا للذريعة وصيانة للمسلمين من الافتتان به كما يحدث لدعاة اليوم من التطلع للسمعة والجـاه والمكانة الاجتماعية .

ومن هذا العرض التفصيلى لانجيل الجماعة « الفريضة الغائبة » يتبين الآتى :

١ — سيادة النصوص الخام سواء من الكتاب أو السنة أو من فقهاء المسلمين وأئمتهم خاصة ابن تيمية ومن المحدثين سيد قطب فى التحليل النظرى أو وصف الواقع الحالى للمسلمين مما يدل على عزلة الجماعة عن واقع القدماء مما جعلهم يسقطون عامل التاريخ والزمن من الحساب .

٢ — سيادة الماضى على الحاضر ، والعيش فى الفترة الزمنية الاولى التى انتصرت فيها الدولة الاسلامية وأنشأت حضارة المنتصرين والانسلاخ كلية عن الفترة الزمنية الثانية التى انهزمت فيها الدولة الاسلامية ونشأ فيها فكر المستضعفين .

٣ — سيادة فكر الامامة والامارة الناتجة عن فكرة الحاكمية ، الموجهة مباشرة ضد السلطة السياسية القائمة لتقويضها وقيام السلطة الشرعية محلها ، مما يجعل فكر الجماعة أقرب الى عقائد الشيعة ، فالامامة عند أهل السنة فى نهاية الامر من الفروع وليست من الاصول، وان كانت محور الفكر الفقهى ودعامة النظم الاسلامية .

٤ — وجوب قتال أعداء الامة فى الداخل قبل أعدائها فى الخارج ، لان العدوان الخارجى أى الاستعمار نتيجـة للعدوان الداخلى من أعوان الاستعمار على الشرعية الاسلامية والحاكمية الالهية وبالتالى تأتى الانقلابات فى الداخل قبل مواجهة العدو فى الخارج ، وان تحرير العرب من العرب يأتى قبل تحرير فلسطين من الصهيونية ، وهو ما يشابه تصور بعض المنظمات اليسارية فى العالم العربى ، ويغفل قضية الجبهة الوطنية فى الداخل ضد العدو فى الخارج ، كما يغفل التمايز بين التناقضات الجوهرية والتناقضات الثانوية .

٥ — أولوية الكيف على الكم ، والقلة على الكثرة مما يجعـل التغير الاجتماعى مرهونا بالصفوة المؤمنة دون حاجة الى قـاعدة شعبية عريضة ، ومن هنا تأتى أهمية الجماعات الاسلامية واستعدادها للحركة والنضال .

٦ — ظهور مشروع اسلامى نضالى يقوم على القضاء على نظم

الجاهلية وحكومات الكفر كبديل عن غياب مشروع قومى مماثل فى السبعينات بعد انتهاء المعارك الوطنية ، وجعل حرب أكتوبر آخر الحروب ، وسيادة السلام ، وأن الرأسمالية لم تعد جريمة ، وان الغرب صديق ، وأمريكا حليف ، وتلبية الشباب لمثل هذا المشروع النضالى الاسلامى نظرا لغياب أى مشروع آخر كما كان موجودا فى الستينات ٠

٧ — ظهور نوع من الراديكالية فى الممارسة ضد أساليب التمييع السائدة ، ورفض الانتظار لعمليات تربوية طويلة تقوم على الاخلاق أو تكوين الحزب السياسى الطليعى أو الهجرة كرد فعل على أمثال هذه الدعوات فى السبعينات ٠

٨ — ظهور الجهاد كهجوم لا كدفاع ، وكمبادرة لا كرد فعل ، وبداية الانطلاق وكان الاستعداد قد تم بالرغم من بدائية فنون القتال وأساليبه المقترحة والمأخوذة من معارك المسلمين ٠

١١ — الاصولية الاسلامية وحاضر مصر[٢٣] ٠

قد يظن البعض ان اغتيال الرئيس الراحل على يد « جماعة الجهاد » احدى الجماعات الاسلامية المعاصرة قد وضع حدا للحركة

---

(٢٣) جريدة « الوطن » ، السبت ١١ ديسمبر ١٩٨٢ ووضعت الجريدة المانشتات الآتية

- الحركة الاسلامية ومستقبلها على ضوء قضية السادات (١٤) .
- كيف فرضت الاصولية نفسها على الحاضر .

ووضعت عنوانا فرعيا : الاصولية الاسلامية وحاضر مصر .

الاسلامية وعجل بنهاية الجماعات ، خاصة بعد أن قامت أجهزة الامن بتعقب الجماعات فقبضت على أعضائها ، وحاكمتهم ، فاستشهد منهم من استشهد ، وسجن منهم من سجن ، وهرب منهم من هرب ، وهو التقليد الشائع فى مصر منذ الثورة المصرية . وقد يظن أيضا ان ما وقع فى ٦ اكتوبر ١٩٨١ قد شوه اسم الجماعات الاسلامية ، وقضى على مستقبلها فى مصر ، فقد أساءت الى الاسلام ، ولطخت أيديها بالدماء ، وقتلت الابرياء ، وأخافت الناس ، وأرهبت المؤمنين ، خاصة والشعب فى مصر مسالم آمن يكره الدم ، ولا يحب العنف . ولكن هذا كله غير صحيح على الاطلاق . فقد فرضت الاصولية الاسلامية نفسها على حاضر مصر على النحو الآتى :

١ — ان خلاص مصر الاخير ، ونهاية حكم العمالة والخيانة والنهب ، وانتظار الناس له ، انما حدث باسم الاسلام وتحت لوائه . فالاسلام هو الدرع الواقى للشعب ، وهو الحامى لمكاسبه ، والمحافظ على هويته ، والوعاء لمطالبه ، والبوتقة لعواطفه الوطنية . ظهر الاسلام فى مواجهة العمالة والخيانة ، وسبق كل الايديولوجيات العلمانية التقدمية والتحررية والثورية والاشتراكية والقومية . لم يتم خلاص مصر باسم الليبرالية أو التقدمية أو الاشتراكية أو القومية بل باسم الاسلام ، وبفضل عقائد الاسلام وعلى رأسها لا شرعية لحكم البشر

=

ووضعت ثلاث صور لخالد الاسلامبولى ، والسادات ، وعبود الزمر .

واعلنت فى نهاية الحلقة : غدا — الحلقة الاخيرة : الاصولية الاسلامية ومستقبل مصر .

مهما كان ، وضرورة مواجهة الحاكم الظالم المتسلط على رقاب الناس باسم الحاكمية والشرعية ، وان كل حكم بشرى يأتى خارج الحاكمية والشرعية فانه يكون حكما معتديا آثما يجب الخروج عليه . والوعى بالفكر ، والالتزام بالمبدأ ، وثبات العقيدة فى المجتمعات الاسلامية يقوم بدور الوعى السياسى أو الوعى الطبقى أو الروح الوطنية فى المجتمعات العلمانية . ومن هنا جاءت أهمية الجانب العقائدى فى التوحيد ، والحاكمية ، وفريضة الجهاد ، والشهادة . وبالتالى سيتعمق الوعى الاسلامى أكثر فأكثر ، وسيتمسك الناس بالاسلام أكثر فأكثر . بعد أن شاهدوا الدليل العملى على أن الاسلام قادر على تخليصهم من الظلم والطغيان والعودة بالبلاد الى خطها الطبيعى ونضالها القومى فى مواجهة الاستعمار والصهيونية .

ويزداد هذا التعمق فى الوجدان القومى ليس فقط من ناحية الفكرة أو المبدأ أو العقيدة بل أيضا من ناحية الحركة الاسلامية . فلولا وجود حركة اسلامية منظمة لما أمكن للمبدأ أن يتحقق أو للفكرة أن تتحول الى سلوك أو للعقيدة أن تحيا فى المجتمع . وان غياب « الاخوان المسلمين » عن الساحة المصرية على مدى ربع قرن قد أضر بالحركة الاسلامية كطليعة لنضال الامة وقيادة حركتها الوطنية . وها هى الحركة الاسلامية تعود من جديد فى صياغة جديدة من أجل أن تتصدى للحاكم الظالم بعد أن عجزت قوى المعارضة الاخرى باستثناء بعض الكلمات المتناثرة هنا أو هناك . وبالتالى لن يتورع الشعب عن الانضمام للحركة الاسلامية المنظمة بعد أن أثبتت جدارتها وقدرتها على الفعل . ولقد أصيب الشعب بالوجوم والدهشة عندما كان يقبض على كل ذى لحية فى الطرقات العامة مما زاد الشعب تمسكا بسنته

وتقاليده ، وجعل الحركة الاسلامية فى وجدانه تتعمق أكثر فأكثر على مستوى التوحيد وان لم يكن على مستوى العضوية • ولكن أى اعلان يتم فى الحاضر أو فى المستقبل عن حركة اسلامية عامة ستنضم اليها جموع الشعب ، سواء تم هذا الاعلان بالقيادات القديمة أو بقيادات جـديدة •

ولما كان الخلاص قد تم على أيدى الجماعات الاسلامية ، وجماعة الجهاد بوجه خاص ، فانها قد كونت لها رصيدا فى قلوب الناس بصرف النظـر عما يقال عنها من استعمال لوسـائل العنف والاغتيال وما يسود عقائدها وممارساتها من « تطرف » • ولو كان للحركة الاسلامية صحفها ، ولو كان للجماعة الاسلامية لسان حالها ، ولو نشرت كتابات الجماعة على أوسع نطاق ، بل لو كانت الصحف القومية تمتع بحـرية أكثر فى التعبير والكتابة لظهر هذا الاجمـاع الشعبى العام على تأييد الجماعة الاسلامية لتصديها للحاكم الظالم ، وقدرتها على النضـال السياسى • بل ان الجانب المظهرى فيها لا يضايق جموع الشعب لما كان فهم الاسلام عند كليهما يغلب عليه المحافظة والتقليد ، ولا يضايق الا الاقلية المستنيرة من العلمانيين والمسلمين التقدميين • وسـتظل جماعة « الجهاد » بوجه خاص فى وجدان الناس على انها المخلص لمصر من كبوتها الاخيرة ، وسيتحول خالد ورفاقه الى أبطال شعبيين مثل أبى زيد الهلالى ، وعنترة بن شداد ، وسيف بن ذى يزن ، وسيكون من زينة شباب أهل الجنة مثل الحسين وأئمة آل البيت •

٢ — وسيزداد الرصيد الاسلامى أكثر فأكثر فى وجدان الشعب بعد أن توارت المنظمات اليسارية التى كان لها الشرف باستمرار فى

تاريخ مصر فى ممارسة أعمال العنف السياسى من أجل تخليص البلاد من الطغيان والظلم والعمالة حتى ان العنف السياسى كان قد ارتبط باليسار أكثر من ارتباطه بالحركة الاسلامية فى وجدان الناس • بل ان صورة التنظيمات اليسارية فى عمر الثورة المصرية قد شابها بعض الظلال نظرا لتبريرها أخطاء الثورة المصرية كثمن مدفوع مؤخرا لاضفاء الشرعية على هذه التنظيمات واعتراف الدولة بها وادخالها كجزء من أجهزة الدولة الرسمية أو فى بيوت الثقافة واداراتها • فتخلت عن دورها فى قيادة الحركة الوطنية وتصديها لنظم التسلط والعمالة ، والاكتفاء فى أحسن الاحوال بالمنشورات السرية ، والتثقيف السياسى للاعضاء • فازدادت صعوباتها ، وازدادت عزلتها عن قيادة الجماهير ، وأضافت العجز الفعلى الى العزلة العقائدية عن التراث الوطنى والتاريخى والدينى للبلاد • وأصبح الشاب الوطنى المتحمس المرتبط بتراث الامة يجد نفسه وهويته فى الجماعات الاسلامية أكثر مما يجد نفسه فى التنظيمات اليسارية •

كما توارت الجبهات الوطنية والتنظيمات الشعبية والاحزاب السياسية بالرغم من مشاركتها الفعالة لتقوية المعارضة بالقول والكلمة والخطاب ، وتجاوزها الجماعة الاسلامية بالانتقال من القول الى الفعل ، ومن النقد الى التغيير ، ومن الشهادة على العصر الى تقديم الشهداء من أجله • كانت الحركة الاسلامية جزءا من جبهة الائتلاف الوطنى ، وكان الوطنيون يخطبون فى المساجد الاهلية وعند الائمة الوطنيين • ولكن الحركة الاسلامية هى التى أخذت زمام المبادرة ، وانتقلت الى الفعل ، فارتبط تاريخ مصر بها ، وأصبحت هى المسؤولة عن تحول التاريخ ، تضع علامة جديدة باسمها على مساره • وبالتالى

قدمت الاصولية الاسلامية نفسها على انها القادرة على قيادة الشعب وعلى الوقوف فى وجه السلطان الجائر ٠

٣ — وسيشتد ظهور الاصولية الاسلامية فى وجدان الناس بل وفى القوات المسلحة حيث تظهر وكأن لها الـولاء الاول على ولاء الجيش ٠ فكما كان الضباط الاحرار فى الاربعينات يمثلون طليعة الحركة الوطنية ، وولاؤهم الاول لها وليس لنظام الدولة ، كذلك سيظهر الضباط المسلمون فى الثمانينات ، وولاؤهم الاول للاسلام وليس لنظام الدولة الا بقدر التزام الدولة بالاسلام ، والحفاظ على استقلال البلاد، والدخول فى معاركها الاساسية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية ٠ ان انقراض تراث الضباط الاحرار داخل الجيش ، وتصفية العناصر الوطنية منه فى السبعينات ساعد على ظهور الاصولية الاسلامية فيه كبديل عن التراث الاول بصرف النظر عن عدد الاعضاء ولكن كاحتمال وبديل قائم ٠

وسيلتف الناس حولهم ، وستظل صورة ظافر « خالد » ومنصور « عبود الزمر » تلهب خيال الشباب ٠ فقد اجتمعت فيهم الصفات العسكرية والايمان والوطنية ٠ وسيعود الفخر فى النهاية لخلاص مصر الى جيش مصر ، وايمان الضباط ، ووطنية الجنود ، وستعود الحياة الوطنية الى صفوف القوات المسلحة ، وسيزداد انتماؤها للقضايا الوطنية للبلاد ، وستعود كما كانت الحارسة لمكاسب الشعب ولاستقلال البلاد الوطنى ، وسيكون أقدر وأقدر على التصدى لنظم الخيانة والعمالة ٠ وقد كان الناس يتساءلون باستمرار فى السبعينات خاصة

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ أين جيش مصر ؟ وأين تراث الضباط الاحرار ؟ وأين جيش عرابى ؟

٤ ـ واذا كان صحيحا ان شعب مصر يكره العنف ، ويحب السلام، ويعشق الطمأنينة والامان الا أن انفجار أكتوبر ١٩٨١ جعله لا يرفض العنف السياسى كوسيلة دفاعية تحميه من القهر والظلم والطغيان • وتحمى شرف البلاد من الاهانات المستمرة ، وتحمى استقلالها وحيادها من الوقوع فى سياسة الاحلاف ومناطق النفوذ • فلم يمانع من أن يقابل العنف القهرى بالعنف الثورى • ورأى جدوى الاغتيال السياسى للحاكم الظالم كطريق للخلاص بعد أن سدت جميع السبل من الجيش والشعب على السواء • فقد انتهت مصر الى طريق مسدود بعد عشر سنوات من التنازلات المستمرة الى أن وصلت الى حد الخيانة الوطنية • وقبض على روح مصر فى سبتمبر التى كانت تبغى الخلاص وتحرير الجسد كله • وكان انفجار أكتوبر ١٩٨١ بمثابة انتفاضة الروح كى تدب الحياة للجسد من جديد ، وتخليص رقبة مصر ممن يقبض عليها كى يخنقها حتى تلفظ أنفاسها الاخيرة على يديه • ولكن لفظ أنفاس الفرد وتحرر الجماعة وسير التاريخ هو الاقرب الى قوانين الحركة الاجتماعية ومسار التاريخ • رأى الشعب نتائج العنف ، وان الاغتيال السياسى ، ونهاية السلطان الجائر أحد طرق العنف • وقد يكسب ذلك مناعة للشعب ، ويعطيه الثقة بنفسه على انه قادر على أن يغير مجرى التاريخ اذا ما عجزت نظمه السياسية ومؤسساته الدستورية وأحزاب المعارضة ومنابر الرأى الحر ، وقواته المسلحة • لقد عرف الشعب طريقه اذا ما انسدت جميع السبل ، وسيظل انفجار اكتوبر ١٩٨١ قدوة له ، ونبراسا ونموذجا فى المستقبل يلجأ اليه اذا

ما تشابهت الظروف ، وتكررت الاحداث ، وعادت المآسى والاحزان • وسيكون ذلك أيضا درسا لكل حاكم قادم ألا يعود الى ما كان عليه الحاكم السابق من تسلط وقهر وعمالة وخيانة ونفاق دينى . وادعــاء والوهية • الآن صــار الشعب يرسم للحاكم خطاه التى لا يستطيع أن يحيد عنها • ولن يعود الى مصر على الاقل فى جيلنا الحـــاكم المطلق الذى يقول « أنا ربكم الاعلى » • وسيخشى من انفجار « الاصــولية الاسلامية » ويعمل لحسابها حتى لا تأتيه من حيث لا يشعر حتى ولو كان فى أبهة المجـــد ، أمام جيشه ، ووسط شعبه ، وفى مواجهة أجهزة الاعلام كلها • وستكون الهزة أعمق فى وجدان الشعب لو تم اعـــدام خالد ورفاقه بعـــد أن تحرر شعب مصر بفضـيـل اقدامه وطهـــارته واستشهاده ، وقضاته وجلادوه من أوائل المتحررين ! وسيتحول الى فكرة الخلاص والاستشهاد ، وهو أعظم خلود يناله بشر • وقد تنفجر الاصولية الاسلامية من جديد فى حـــالة اعدام من ثأروا لكرامة مصر حتى تتجاوز مصر أحزانها •

٥ ــ لقد عادت الى مصر روحها بعد انفجار اكتوبر ١٩٨١ ، عاد الى الناس الاحساس بالامان ، وانتهى الكابوس الرهيب الذى كان يكتم الانفاس ، وازيح العبء الثقيل الذى كان جاثما فوق الصدور • وتنفس الناس الصعداء • وانتهى الوجه المتصلب المتشنج الذى كان يخون كل النـــاس ، ويطعن فى ولاء وشرف كل الاتجاهات ، ويفتش فى الضمائر ، ويلقى بتهم الالحـــاد والعمالة على الجميع • وبدأ الناس يشعرون بيقظـــة الوعى الوطنى من جديد ، وعاد اليهم الاحســـاس بالولاء والانتســـاب الى قضية عامة • وان الحسابات الصغيرة انما تخضـــع للحساب العام ، وان المصالح الخاصة انما تصـــاغ فى اطار

المصالح العامة ، ونشطت الحياة العامة ، ودبت الحيــاة فى الصحف المصرية ، واقتربت كما كانت من قبل من صحافة الرأى ، وبدأت محاكمة النظــام السابق على الاقل فى ضمائر الناس وعلى نطاق واســع ، وبصورة أقل فى المحاكم وأمام القضــاء • ووضع حد للفساد والخيانة والعمالة كسياسات شرعية للبلاد وان بقيت بؤر منعزلة فى الحياة العامة تخشى يقظــة الروح الوطنية أو تتربص بها من أجل الانقضاض عليها من جديد • ونشأ عنــد الناس نوع من الاحساس بالجدية والثقــة بالمستقبل وبخدمة البلاد بعــد أن انتهت مظاهر البذخ والترف فى الحياة العامة ، وظهرت قدوة جديدة ليس لديها جنون الاعلام ، وحب المظاهر ، ولا تمارس النفــاق الدينى ، ولا تعرض حياتها الخاصة على الملأ وفوق رؤوس الاشهاد • وبدأ نوع من المصالحة الوطنية بين النظــام والمعارضة بعد أن كسبت المعارضة الجولة وربما لاول مرة منذ هزيمة ١٩٦٧ ، ومظاهرات الطلاب ضد أحكام الطيران فى ١٩٦٨ التى أدت الى بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ والى حرب الاستنزاف فى ١٩٦٩ ، واستمرار المعارضة فى السبعينات خاصة فى ١٩٧٢ ومظاهرات الجامعة ثم انتفاضة يناير ١٩٧٧ ، وهبة الشعب حتى انتصار المعارضة فى أكتوبر ١٩٨١ • وبالرغم من أن المعارضة على مدى عشر ســنوات كانت للاتجاهات التقدمية الوطنية التى يشار اليها عادة باسم الناصرية ، الا أن حربتها الرئيسية كانت الحركة الاسلامية بصرف النظــر عن اختلاف المتطلبات النظرية • وبالتالى استطاعت الحركة الاسلامية رد الاعتبــار الى الليبراليين والناصريين والماركسيين ضحايا سبتمبر ١٩٨١ • كما وحدت الحركة بين جدران السجون ، فعادت الى مصر وحدتها الوطنيــة ، وظهر الاسلام كبوتقة طبيعية تنصهر فيها كل الاتجاهات السياسية•وانها

مسألة وقت كى تظهر الحركة الاسلامية من جديد متوجة من الشعب بعــد أن قادت كفاحه فى أحلك لحظاته ، وخلصته من الطغيان ، وخلصت مصر مما كان يراد بها « جثة هامدة » تتكالب عليها الجوارح •

١٢ ــ الاصولية الاسلامية ومستقبل مصر(٢٤) •

واذا كانت « الاصولية الاسلامية » فى حاضر مصر تتعمق أكثر فأكثر ، ويزداد رصيدها الشعبى نظرا لما حازت عليه من ثقة بها ، وقدرتها على الانجاز ، وشرعيتها التاريخية فى الماضى والمعاصر فانها أيضا تقدم نفسها على انها مستقبل مصر الذى لا بديل له مهما كانت هنــاك من انجازات اجتماعية وسياسية تقوم بهــا الايديولوجيات الثورية العلمانية • فهى البديل المستقبلى الوحيد بعد أن مرت البلاد بعدة تجارب فى الماضى انتهت كلها الى مثل ما ابتدأت منه بل انقلب البعض منهــا الى ضده ، وظل وجدان الشعب خاويا ينتظر أيديولوجية جديدة تعبر عنه ، وتمثل وحدته فى التاريخ وتحمل مطالبه ، ثم يجدها أخيرا فى « الاصولية الاسلامية » التى ورثها عن ماضيه وتاريخه ، والتى حققت له مطالب حاضره ، ويرجو منها أن تحقق آمال مستقبله •

---

(٢٤) جريدة « الوطن » ، الاحد ١٢ ديسمبر ١٩٨٢ ووضعت الجريدة المانشتات الآتية :

- الحركة الاسلامية ومستقبلها على ضوء قضية السادات (١٥) .
- الاصولية الاسلامية ومستقبل مصر .
- الخشية كل الخشية أن يقع تصادم جديد بين الناصرية والاخوان

ووضعت الصورة الشهيرة لاغتيال السادات فى المنصة .

واعلنت فى نهاية الحلقة : انتهت .

فقد مر الشعب بعــدة تجارب فى الحكم ونظم فى السياســة حققت له بعض المكاسب ولكن مخاسرها كانت أيضا ظاهرة للعيــان • مر بالتجربة الليبرالية فيمــا قبل ١٩٥٢ • وعرف فيهــا الحــرية والديمقراطية ؛ ودافع فيها عن الدستور والنظم البرلمانية • وفيهــا تكونت روحه الوطنية ، وناضل ضــد الاستعمار والقصر • ولكنــه أدرك أيضا ان الحرية كانت للاقلية ، وان لعبة الاحزاب كانت لباشوات الاقطــاع ، وان القصر والاستعمار قد استطاعا خلق أحزاب موالية ، وان التعليم كان حكرا على القادر على دفع ثمنــه ، وان الدولة كانت تمارس شتى صنوف القمع والتعذيب ضــد المعارضة السياسية ، وقد كان المرحوم حسن البنا أحد الضحايا فى فبراير ١٩٤٩ ، وانه بالرغم من تأجج الروح الوطنية الا أن اقتصاد مصر الزراعى كان مرتبطــا بالرأسمالية الغربية وبالصناعات الغربية وبخلق طبقة من الرأسماليين موالية للغرب •

ثم عاشت مصر تجربة جديدة بعد ثورة ١٩٥٢ من أجل القضــاء على مثالب النظام السابق وكما هــو معروف فى المبادىء الســتة المشهورة • وحققت أعظم انجاز وطنى منذ تأسيس دولة مصر الحديثة سواء فى الداخل أم فى الخارج سواء الاصلاح الزراعى ، واستصلاح الاراضى ، وانشاء السد العالى ، وتأميم قناة السويس ، وانشــاء القطاع العــام ، وتصنيع مصر ، وحقوق العمال ، ومجانية التعليم ، وتسليح جيش مصر ، ورد العــدوان الثلاثى ، وبناء مصر الاشتراكى ١٩٦١ — ١٩٦٤ ، والوحدة العربية وتكوين أول تجربــة وحدوية فى تاريخ العرب الحديث ١٩٥٨ — ١٩٦١ ، ومساعدة الثورات الغربيــة التحررية فى العــالم العربى وافريقيا وعلى رأسها ثورة اليمن ، وثورة

الجزائر ، وتكوين حركة عدم الانحيـاز منذ باندونج فى ١٩٥٥ حتى بلجراد ١٩٦٤ ؛ ومواجهة الاستعمار والصهيونية والتخلف والاقطـاع والرجعية • ومع ذلك عانى الشعب من غياب الحرية والديمقراطية ومن غياب أى تنظيم سياسى يحمى مكاسب الشعب ؛ ومن ظهـور طبقات جديدة أثرت على حساب الثورة وعزلت القيادة الثورية عن الشعب ، وأصبحت تركة عليها ووريثة لها بعـد أن كانت تحكم باسمها • بل عانت الحركة الاسلامية من الاضطهاد لدرجـة انها أصبحت على عـداء تاريخى مع أية نظرية ثورية علمانية وأصبح بينها وبين الثورة ثأر قد يكون انفجار أكتوبر ١٩٨١ أحد فصوله •

ثم عاشت مصر تجربة الردة ، ورأت كيف انه حتى هذه الانجازات الاجتماعية والسياسية قد تم التراجع عنها شيئا فشيئا حتى انتهى النظـام السياسى نفسه الى العمالة والخيانة والى القيام بثـورة مضادة ، وبتحول شامل ١٨٠ درجة عما كان عليه • فانقلبت الاشتراكية الى رأسمالية ، وعدم الانحياز الى الانحياز ، ومعاداة الغـرب الى التحالف معه ، ومواجهة الصهيونية الى التسليم بها ، والقومية العربية الى العزلة عنها • ورأت مصر نهاية التصنيع لصالح الاستيراد ، ونهاية القطاع العام لصالح القطاع الخاص ، وتوارى رأس المال الوطنى أمام رأس المال الاجنبى ، وبرزت زيادة التفاوت بين الطبقات بعـد أن كان الهدف هو تذويبها من أجل ازالتها ، واستشرى الفساد والثراء السريع من المضاربات والعمولات وشتى أنواع السمسرة • وغطى ذلك كله نفاق سياسى دينى ، وادعاء الحرية والديمقراطية ونهاية المعتقلات والسجون ، والتمسك بالشرعية الدستورية ، ولكنه فى الوقت نفسـه تكبيل للحريات ، وزيادة المعتقلات ، وصياغة القوانين المقيدة للحريات ،

وسن التشريعات ، واجراء الاستفتاءات على قانون العيب ، ومحكمة القيم وكل لما يكمم الافواه ، وأنشأت المجالس للرقابة على الشعب • وزاد ذلك كله النفاق الدينى والتستر بالدين على أفعال الخيانة والعمالة مما دفع الحركة الاسلامية كوعاء للحركة الوطنية أن تضع لذلك حدا بانفجار أكتوبر ١٩٨١ •

بالأضافة الى هذه التجارب الثلاث التى طرأت على شعب مصر وحولته الى ميدان للتجربة والخطأ فمازال هناك قطبا جزب لوجدان مصر للاقليات المضطهدة ، وهى التنظيمات اليسارية التى تحمل لواء الاشتراكية العلمية أو الماركسية والجماعات الاسلامية التى تحمل لواء الأسلام ، وتريد اقامة الدولة الاسلامية ، وهما الجناحان اللذان يجذبان مصر مرة الى اليسار ومرة الى اليمين لولا ثقل مصر • وبالرغم من أن التجربتين لم يقدر لهما أن تحكما حتى الآن الا أنهما يسعيان الى ذلك ، ويصطدمان بالسلطة القائمة بين الحين والآخر حين تكتشف التنظيم السرى من هذا الجناح أو ذاك • وسيظل هذان الجناحان الشاردان حجر عثرة فى مواجهة أية سلطة قائمة ما لم يتم جذبهما الى قلب الدولة كتحد حقيقى للنظام القائم وكأحد عناصر الرقابة عليه ، ولكل من هاتين التجربتين رصيدهما الوطنى والتاريخى •

فالماركسية التقليدية ساهمت فى الحركة الوطنية المصرية ، فى مقاومة الاستعمار ، كما ساهمت فى يقظة الوعى الاجتماعى العمالى والطلابى خاصة ، وكان لها الفضل فى نشر أفكار العدالة الاجتماعية والمساواة وحقوق العمال ، وتوجيه الثقافة لصالح القضية الاجتماعية • ولكنها كانت محدودة الاثر ، لا تتجاوز بعض الحلقات الثقافية والاعمال الفكرية والادبية • لم تصبح حركة شعبية عامة ، فى الريف بين الفلاحين،

نظرا لصعوبة مفاهيمها التى تحتاج الى قسط أكبر من الثقافة والعلم الغربى • كما انها لم ترتبط بوجدان الامة ، وبتراثها التاريخى • وكان يطغى عليها الانحيـــاز للعلم الغربى والثقافة الاوربية مما عزلهـــا عن تيـــار الثقافة الرئيسى فى البلاد بالرغم من المحاولات التى قامت من أجل هـــذا التواصل التاريخى بين تراث الامة ومطالبها الاجتماعية• ولكن الغالب عليها كان العداء للحركة الاسلامية ممـــا شق الوحدة الوطنية • وتبودلت الاتهامات مثل العمالة والخيانة والرأســمالية ؛ ومن ثم لم تستطع مصر النهوض بهذين الجناحين المتقاتلين ، كل منها يريد تصفية الآخر والاستئثار بالقلب •

أما الجماعة الاسلامية باعتبارها آخـــر تشكيل للحركة الاسلامية فى مصر فان الظروف النفسية التى نشأت فيها والتى ورثها أعضـــاؤها من حمل الماضى وتركته جعلتهـــا أقرب الى الانعزال والانغلاق عن جماهير الشعب ، تنتقى منـــه الاعضاء خارجا عنه بدلا من أن تضمه كله اليها ، وتصبح هى جزءا لا يتجزأ منه • فبالرغم من أن الاسلام فى وجدان النـــاس رصيدها الاول وان انجازها الاخير فى خـــلاص مصر فى أكتوبر ١٩٨١ قادر على أن يجعل منها بؤرة التفاف للشعب حولها وان تكون هى كالسمك فى الماء الا أن ظروفها النفسية والتاريخية جلعتها تتعثر فى أداء الدور • فالحاكمية حتى الآن لم تترجم على الصعيد السياسى والاجتماعى بالنســـبة لمصر باحصاء كمى دقيق وبرنـــامج وطنى واضح حتى يتجه الناس اليها • والبداية من المبدأ للواقع ، ومن الفكر للعالم جعل منهجها نصيا استنباطيا ، وغاب منهـــا تحليل الواقع ، والبداية بالمصلحة ، ورعاية الناس ، واكمال الناقص ، وتطوير

الموجود ، وتحقيق الممكن ، ورؤية المراحل ، وضم الاتجاهات السياسية كلها فى حظيرتها ، وارجاعها اليها .

ولما كانت « الناصرية » هى الرغبة المكبوتة على مدى عشر سنوات ، وكان الاسلام هو الفكرة المزاحة على مدى ثلاثة عقود ، وكان مستقبل مصر القريب هو التعبير عن هذه الرغبة المكبوتة وعودا الى الناصرية الشعبية بعد أن علمتها التجارب أن الحفاظ على المكاسب الثورية لا يتم الا بالشعب وبتنظيمه السياسى ، وبالحرية والديمقراطية، وكان الاسلام هو مستقبل مصر البعيد ، فان الخشية كل الخشية أن يقع تصادم جديد بين الناصرية التقليدية وبين الحركة الاسلامية التقليدية الممثلة فى الاخوان المسلمين أو فى الجماعة الاسلامية ، وبالتالى يقع الفصام من جديد بين الاسلام والثورة . فلا تتعلم الامة من تجارب الماضى ، وتعود كما بدأت باحادية الطرف فى النظرة ، وبالرغبة فى الوقوف على قدم واحدة أو الطيران بجناح واحد ، فتقع وتتعثر من جديد .

انه لا سبيل الى وقف الناصرية الشعبية القادمة فى المستقبل القريب ، وقد بدأت بشائرها فى الظهور ، وارهاصاتها فى التحقق ، وبوادرها تظهر للعيان . فاختيار مصر الثورى الذى بدأ فى يوليو ١٩٥٢ مازال يمثل اختيارها الاول ، ومازالت مصالحها متمثلة فى مشروعها القومى كما صاغه ناصر : الاشتراكية والاستقلال الوطنى فى الداخل ، والقومية العربية وعدم الانحياز فى الخارج ، بعد أن عانت مصر فى السنوات العشر الاخيرة من مآسى الانفتاح والتبعية الاقتصادية وأحزان الاحلاف العسكرية والعزلة عن محيطها العربى . ولما كان من السهل ضم جناح مصر الاول ، الجناح اليسارى الاشتراكى العلمى الممثل

فى الماركسية خاصـــة اذا ارتبطت بتاريخ مصر الوطنى فى المشروع الناصرى فانه يبقى ضم الجناح الاسلامى وهو الاصعب نظرا لوجود تراث تاريخى طويل من المحافظة الدينية قوامه ألف عام مقـــابل مائة عام من نهضة اسلامية تعثرت بعد بداياتها الاولى عند الافغـــانى ، وخفت حدتها من جيل الى جيل حتى عادت من جديد فى تيـــار المحافظة الدينية الرئيسى الشرعى ، وتحولت الى سلفية كما ظهرت فى الجماعات الاسلامية الحالية • ليس الهدف هو استقطاب عناصر منهـــا لتبرير المشروع الناصرى كما كان الحال فى الستينات وكما ظهر فى أدبيات « الاشتراكية فى الاسلام » والتى اختفت بمجرد اختفاء الناصرية ، ولم تظهر على الســـاحة كعنصر من عناصر المقاومة للردة والثـــورة المضادة ، ولم تعد تختلف عن المؤسسة الدينية التقليدية التى تضـــم « فقهاء السلطان » فى شىء بل الهدف هو ضمان أكبر نجـــاح ممكن لقلب مصر الناصرى بمساعدة جناحيها الرئيسيين : الماركسى والاسلامى، من خلال تجربتها الليبرالية الطويلة وميراثها النيابى العريض السباق فى المنطقة كلها • الثورة المصرية أحد مكتسبات الجيل ، ولعدة أجيال قادمة ، والاســـلام هو روح الامة وتاريخها وتراثها وثقافتها • وبالتالى يكون التحدى الحقيقى هو معرفة كيف تتم المحافظة على مكاسب الامة من خلال تراثها وروحها ، وصبها كجزء من الرافد التاريخى الاعظم حتى تتأصل فى وجدانها ولا تبقى على السطح عرضة للاستئصال من أية ردة أو ثورة مضادة كمـــا حدث فى الماضى القريب • ان الوحدة العضوية بين الاسلام والثـــورة أو بين الثورة والاسلام هـــو خير ضمان لبقاء الثورة وعدم نهش الاسلام فيها ، ولاستمرار الحـــركة الاسلامية ضمن اطـــار المشروع القومى الحديث دون أن تشـــعر

بالثأر بينها وبين الثورة أو تسعى للانقضاض عليها طالما انها خارجها وعلى هامشها ، تخطط لمصر دونها •

الحركة الاسلامية حركة تاريخية شرعية ، وتنظيماتها بأشكالها المختلفة حق شعبى مكتسب لا يمكن التنازل عنه أو اغفاله • بل ان سعيها للحكم أيضا حق شرعى ومطلب رئيسى وليس انقلابا على النظام أو خروجا على الدولة • ولكن الثورة أيضا حق شعبى ، ومطلب جماهيرى ، ومكسب تاريخى ، حققه نضال عدة أجيال • ولا يمكن أن يتم بعيدا عن الشرعية التاريخية الاولى الذى تمثله الحركة الاسلامية • وبالتالى يكون التحدى الحقيقى هو كيفية المحافظة على وحدة النضال الوطنى بين شرعية الماضى وشرعية الحاضر ، بين روح الامة وجسدها •

وذلك لا يتم الا بمصالحة علنية بين الاخوان والثورة ، مصالحة تاريخية تحقق وحدة الامة ، ومزيجها العضوى • صحيح ان صفحات الماضى قد طويت • ولكن طالما بقيت آثاره فى النفوس فان خير وسيلة لطيها هو اعادة البناء النفسى والمصالحة العلنية • وما أسهل أن يتم ذلك بعودة الاخوان المسلمين كبرى الحركات الاسلامية المعاصرة باسم الثورة المصرية وبقرار منها ، وعودة « المركز العام » للاخوان المسلمين اليهم بعد أن تحول الى قسم « الدرب الاحمر » للخارجين على القانون والعاصين لاوامر الشرطة والنائمين على الارصفة والمتشردين والمتسولين والمجرمين ، وقد كان بالامس القريب تجمعا للهداية وتربية النشء ولنشر الدعوة ولاعداد الاجيال ، وعودة أموالهم وحقوقهم ، وعودة جمعيتهم شرعية كما كانت ، وعودة مجلاتهم وجرائدهم ونشراتهم ، والغاء قرار حلهم • بل وأكثر من ذلك ان توجه

الثورة المصرية اعتذارا رسميا لهم على صفحات التاريخ ، وفى وجدان الامة على ما حدث لهم من تعذيب واضطهاد • أما الشهداء فأجرهم عند الله ســواء كانوا من علماء الامة مثل عبد القادر عودة وسيد قطب أو من شباب الامة وجندها مثل خالد وصحبه • وعلى هــذا النحو تنشأ الحركة الاسلامية فى جــو صحى ، وفى شرعية كاملة ، وتكون الجماعات الاسلامية أحد روافدها الجذرية وأحــد أجنحتها الاصلية تتحــاور مع التنظيم الام كما يتحاور التنظيم الام مع كافة الاتجاهات الوطنية فى البــلاد ، وكما يعمل الجميع فى مواجهة التحديات الاساسية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية دون أن يبقى أحدها خارجا عنها ، متفرجا عليها ، منبوذا منها • وينصهر الجميــع فى معارك الامــة الرئيسية ، مواجهة الاســتعمار والصهيونية فى الخــارج ، والتسلط والتخلف فى الداخل ، فى اطار من الاحترام المتبادل للرأى المعارض ، وفى تقليد مصر الليبرالى السابق • وعلى هــذا النحو تتحقق الوحدة الوطنية ، ويعود الى الامة روحها من خــلال قلبها ، وهــو الثورة المصرية ، وجناحيها وهما الماركسية والجماعات الاسلامية ، ورأسها الممثل فى تاريخها الليبرالى الطويل • عندئذ يصبح الاســلام وعاء للوحدة الوطنية ، قادرا على تمثل اتجاهاتها الاساسية ، فالاسلام ثورة وأكثر ، وليبرالية وأكثر ، وماركسية وأكثر • وما الجماعة الاسلامية الا التنظيم الاجتماعى الذى يعكس الاوضاع الاجتماعية فى مرحلة تاريخية محددة ، وهى المحافظة الدينية الموروثة منذ ألف عام بعــد تعثر الحركات الاصلاحية الحديثة • وقد يكون المعول عليه للقيــام بهذه المهمة هــو الاسلام الثورى أو الثورة الاسلامية من خــلال تجربة مصر دون تقليد لثورات اسلامية أخــرى معاصرة • فالثورات لا تنتقل من مجتمع الى آخر تقليدا وتبعية لان الثورة تعبير عن أصالة شعب وتجربة فريدة لامة •

محاولة مبدئية لسيرة ذاتية(١)

هذه المقدمات النظرية العامة عن « التراث والتجديد » تمثل مجرد مقدمة لمشروع متكامل لاعادة بناء تراثنا القديم طبقا لاحتياجات العصر ولمطالب جماهير الامة • وهى رسالة جيلنا الذى يحاول نقل مجتمعنا من مرحلة الى مرحلة ؛ من مرحلة الاصلاح الدينى الذى بدأناه منذ القرن الماضى ابتداء من الافغانى والكواكبى حتى اقبال والمودودى وسيد قطب الى مرحلة النهضة الشاملة التى بدأناها أيضا

---

(١) لم يكن فى الحسبان نشر أية سيرة ذاتية لى قبل الثمانين — لو عشنا — حتى يكتمل مشروع « التراث والتجديد » اولا وحتى لا تطغى السيره الذاتيه الشخصية على الاعمال الفلسفية الموضوعية فيقع القراء والباحثون فى خطأ رد الموضوع الى الذات والقضاء على استقلال الموضوع . ولكن لما نقص الجزء السادس « الاصولية الاسلاميه » عن الكم المقرر له بحثت فى أوراقى القديمة عن نصوص تتصل بالموضوع لاكمال هذا الجزء . فوجدت هـذه السيرة الذاتية التى كتبتها كمقدمة للبيان النظرى الاول « التراث والنجديد ، موقفنا من التراث القديم » الذى نشر عام ١٩٨٠ والذى كان بمثابة المقدمة النظرية لاولى محاولاتى فى اعادة بناء العلوم القديمة ، علم أصول الدين وهى « من العقيدة الى الثورة » الذى نشر عام ١٩٨٨ ولما أتت هذه السيرة ذاتيـة جدا خطابية وجدانيـة ، آنية لا تتفق مع الطابع العلمى التحليلى الصارم لهذا الكتيب النظرى « التراث والتجديد » آثرت عدم نشرها (انظر باقى الظروف فى هامش(٢) .

ولم تكن السيرة قد اكتملت بعد نظرا لاحساسى بذاتيتها كمقدمة مقترحة لعمل موضوعى فآثرت التوقف حتى ثالثا : بداية الوعى الفلسفى (١٩٦١ — ١٩٦٦) . والآن اكملها حتى تاسعا : بدداية التأسيس العلمى (١٩٨٨ —) بنفس الروح القديمة وبنفس الاسلوب القديم الذى كتبت به الاجزاء الاولى عام ١٩٨٠ . ووجدتها قريبة من دراسة «الاصولية الاسلامية»

=

فى القرن الماضى منذ الطهطاوى حتى لطفى السـيد وطه حسـين • مهمة « التراث والتجديد » تطوير الاصلاح الدينى ودفعه خطوات أخرى ، وجعله أكثر جرأة على الواقع خاصة بعد أن خبا شيئا فشيئا على يد محمد عبده ثم رشيد رضا وارتفاعه الى حد ما من جـديد على يد حسن البنـا وسيد قطب • وتظهر هذه الجرأة ليس فقط فى

= التى تقص الصراع بين الاخوان والثورة على مدى ثلاثين عاما . فسيرتى الذاتية هى نفس الموضوع ولكن كحالة فردية . فأنا جـزء من الاصولية الاسلامية فى تفاعلها مع الثورة المصرية ، لم ادخل السجن ولم اعذب بدنا ولكنى مارست الفكر والسياسة على نحـو طبيعى وعلنى ، فوق الارض وليس تحت الارض . ولو سجنت وعذبت لربما كتبت « معالم فى الطريق » . ولكنى أكمل سيد قطب الاول صاحب « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » ، « معركة الاسلام والراسمالية » ، « السلام العالمى والاسلام » والذى كان بداية اليسار الاسلامى ، وبوتقه للوحدة الوطنية واضعا مرحلة « معالم فى الطريق » بين قوسين فى حياة المفكر الشهيد ، وفى حياة الامة وشـباب الجماعات الاسلامية كلها .

وبالرغم من أن السيرة الذاتية فن وجدت فى تراثنا القديم وفى التراث الغربى الا اننى لم اشأ صياغة ذلك الآن . وانما نشرت هذه المحاولة لدافع ثان وهو الاجابة على السؤال المستمر من انا ؟ اخوانى كما تقول الحركة التقدمية ، شيوعى كما تقول الحركة الاسلامية ، اخوانى شيوعى كما تقول أجهزة الامن ؟ وهو رد ايضا على ما يقـال من وقوعى فى تناقض بين « التراث والتجديد » وهو الصياغة العلمية لمشروعى الفلسفى لنهضة الامة وموجه لعلماء الامة وتين « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » وهى كتاباتى الصحفية الموجهة للجمهور العريض . الاول قول برهانى وان لم يخل من بعض الاقاويل الجدلية والخطابية . والثانى قول خطابى وان لم يخل من بعض الاقاويل الجدلية والبرهانية . وكلاهما تعبير عن قضـايا العـلم والوطن ، وهموم العالم والمواطن ، وضعت حياتى مع مؤلفاتى ، ومؤلفاتى فى حياتى . كل مرحلة بين الاربع والست سنوات ، ولا أدرى ما هى مراحلى القادمة . تركتها مفتوحة ابتداء من بداية التأسيس العلمى عام١٩٨٨ وأرجو أن تكون المرحلة الاخيرة (انظر أيضا هامش ٥٢ من مقدمة « من العقيدة الى الثورة » ، المجلد الاول ، « المقدمات النظرية » مقدمة : من الدعاء الى السلاطين الى الدفاع عن الشعوب ص ٤٩ — ٥١) .

الناحية العملية من مواجهة الاستعمار والصهيونية والرأسمالية والرجعية ولكن أيضا فى الناحية النظرية فيما يتعلق بالعقائد التى تمد الناس بتصوراتهم للعالم وبموجهاتهم للسلوك • كما تظهر أيضا ليس فقط من ناحية التشريع وتطوير قانون الاحوال الشخصية ولكن أيضا من ناحية العقيدة . وتحويل عقائد الايمان التى ورثناها منذ أكثر من ألف عام على يد الاشعرية وازدواجها بالتصوف الى أيديولوجية ثورية لمجتمعاتنا الحالية بعد فشل مناهج التحديث العلمانية منذ فجر نهضتنا الحديثة ؛ وأن تمتد جرأتنا فى العقيدة ليس فقط فى العدل، واعلان استقلال الوعى الانسانى فكرا وارادة واثبات العقل والحرية كما هو الحال عند محمد عبده ولكن أيضا فى التوحيد ، والانتقال من التشبيه الى التنزيه . ومن الله المشخص الى الله المبدأ العقلى الشامل الذى تتوحد أمامه قوى الانسان الفكرية والقولية والوجدانية والعملية والذى تتوحد أمامه طبقات الامة والذى تتوحد أمامه جميع الشعوب والاجناس •

وقد ارتبط « التراث والتجديد » بالتطور الطبيعى لكل مفكر فى أمتنا(٢) • ولقد تأخر ظهوره حتى الآن لعدة أسباب منها ما يتعلق

---

(٢) لم اشأ أن أكتب هذه المقدمة « التراث والتجديد » وهى نفسه مقدمه للمشروع كله كما لم اشأ أن أربطه بالسيرة الذاتية لصاحبه حرصا على موضوعيه الفكر ولعدم استباق الاحداث . فالسيرة الذاتية تكون فى النهاية وليست فى البداية . وقد اختار كانط وبرجسون الطريق الاول الموضوعى بينما اختار كيركجارد وجابريل مارسل وعثمان امين الطريق الثانى الذاتى . ولكن نزولا على رغبة الدكتور محمود الشنطى رئيس « المركز العربى للبحث والنشر » بعمل مقدمة شبيهة بمقدمتى لرسالتى بالفرنسية « مناهج =

بمراحل تطور المفكر ومنها ما يتعلق بأشكال التعبير عنه • ويمكن تتبع نشأته وتكوينه خلال تسع مراحل ، التاسعة منها قد لا تكون الاخيرة •

١ — بداية الوعى الوطنى (١٩٤٨ — ١٩٥١) •

كنا ونحن صغار أثناء الحرب العالمية الثانية وهى فى أواخرها نفرح برؤية الكشافات وهى تتحرك فى السماء المظلم ، وكنا نسمع دوى المدافع ونحن فى المخابىء • وكنت فى الصيف وأنا فى المرحلة الابتدائية أغادر مع الاسرة الى بنى سويف حماية من غارات القاهرة • ولكننا كنا معجبين بالمحور ، وبشجاعة الطيارين الالمان • وكنا على يقين بأن الالمان لا يريدون شرا بمصر ، ولا يبغون أذى الشعب المصرى ، ولا يحاربون الا الانجليز ، ولا يدكون الا معسكراتهم • وكنا أعداء الانجليز ، نبغى التحرر منهم ، فكان الالمان أصدقاءنا لانهم أعداء اعدائنا ، ولم نكن نعرف شيئا عن النازية ، ولم نقرأ « كفاحى » • وكانت صدمة لنا فى النهاية عندما هزم الالمان ، وانتصر الحلفاء ، بعد أن أعجبنا بشجاعة الجندى الالمانى ، وبقوة السلاح الالمانى ، وكان روميل بالنسبة لنا بطلا أسطوريا • وربما ظل هذا الاعجاب حتى

=.

التفسير فى علم أصول الفقه » التى اقص فيها نشأة الموضوع فى شعورى كتبت هذه المقدمة وما زلت اتحرج منها نظرا لانها قد تكون فى رأى البعض تعرية ذاتية مجانية واستعراضا نفسيا لا لزوم له فى موضوع علمى . ولو أننى تركت الى نفسى الخيار لاخذت الطريق الموضوعى الصرف ، والفصل بين العلم وحياة صاحبه حرصا على موضوعية العلم ، وحتى لا يؤول العلم ، ويقضى على موضوعيته ويصبح مجرد تجارب ذاتية لصاحبه وكفى .

الآن ، بالنظام والعسكرية والقوة والصناعة الالمانية بعد أن تعمق فى سنوات الجامعة وأصبح اعجابا بالروح الالمانية ، والمثالية الالمانية وبالتوحيد بين الروح والطبيعــة • تعلمت اللغة الالمانيه بالجامعة ، واعجبت بالفتاة الالمانية فى فرنسا ، وكان أول مقــال كتبته وأنا فى الجامعة عن «الخصائص المشتركة بين الروح العربية والروح الالمانية» • فكلاهما دعوة للمثال ، والطبيعة ، والقوة ، والعقل ، والدولة ، والنظام• وكنت أعزو هــذه « الالمانية » فى نفسى الى « أمى الالمانية » زعما • وقد ظل ذلك حتى الآن ، فأصبحت « فينومينولوجيا » حيث اكتملت المثالية الالمانية ، وأصبح «فشتة» فيلسوف الارض المحتلة ، وفيلسوف المقاومة ، وفيلسوف البعث القومى ، مثلى الاعلى ، وأصبح اليسار الهيجلى بعد الكانطيين الجدد بالنسبة لى يمثل المرحلة الحالية التى تعيشها الامة العربية والتى يعيشها تراثنا القديم أى الانتقال من الدين الى الفلسفة على يد هيجل ثم الانتقال من الفلسفة الى الطبيعة على يد فيورباخ ، وانقاذ ألمانيا وتوحيد دويلاتها عن طريق « الايديولوجية الالمانية » •

وكنا نذهب ونحن فى المدارس الابتدائية لميدان عابدين لاطلاق أناشيد « للمليك اهتفوا » فى عيد الجلوس الملكى أو عيد الميلاد الملكى • وكان صوت المجموعة فى فناء مدرسة « السلحدار » الاثرى هو الذى يثير نفسى ولكن لم نفهم ماذا يعنى الولاء للملك • ولكنها كانت رحلة يتشوق اليها الصغار عبر القاهرة المعزية الى ميدان عابدين •

وكانت البدأية الحقيقية للوعى الوطنى أثنـــاء حرب فلسطين فى ١٩٤٨ • فقد ذهبنا ونحن فى المدارس الثانوية الى جمعية الشــبان

المسلمين . وقد كانت أحد مراكز التطوع ، لتسجيل أسمائنا كمتطوعين للحرب . ولكنهم طلبوا منا التوجه الى كتائب أحمد حسين ! وانزعجت يومها . أليست القضية واحدة ؟ أليس الجهاد واحدا ؟ وهل التطوع يتم لحساب فلان أو علان ؟ وبدأت أشعر أن الخلافات الحزبية كانت لها الاولوية على القضايا الوطنية . ومازالت حتى الآن قضية الوحدة الوطنية بين اتجاهات الامة المختلفة والاتفاق على الحد الادنى من البرامج الوطنية فيما بينها شغلى الدائم . وكنت أرى الافلام التسجيلية عن جيشنا فى فلسطين ، والافلام السينمائية عن معارك البطوله والاستشهاد . وكنا نسمع عن أبطال الفالوجة ، والضبع الاسود عائدين . وكان عزيز المصرى بالنسبة لنا بطلا قوميا مثل أحمد عبد العزيز . وكانت الاغانى الوطنية لفلسطين تهز كيانى . وحتى الآن وعلم فلسطين لا يبرح مكتبى ، والارض تحولت بالنسبة لى الى اله جديد ، ومن حينها بدت لدى أفكار « لاهوت الارض » قبل أن أسمع عن دين الثورة أو عن « لاهوت الارض » فيما بعد أثناء اقامتى بالولايات المتحدة الامريكية . لم نفهم جيداً الاحاديث عن الاسلحة الفاسدة . فلم نكن نتصور ونحن صغار أن يبلغ الامر بالمسؤولين التجارة بدماء الشهداء وخيانة القضية الوطنية الى هذا الحد . لم نع جيدا حد الخيانة ، والهدنة الاولى والثانية . ولم ندرك اننا هزمنا فى فلسطين فمدفعيتنا وطيراننا دك المستعمرات اليهودية . كل ذلك طغى على الواقع الذى أدركناه الآن . ولما كان باستطاعة اسرائيل المزعومة أو عصابات الارجون وشترن أن تهزم جيش مصر .

وكنا ونحن فى المدارس الثانوية ، فى مدرسة « خليل أغا » نفرح بالمظاهرات . ويقرأ زعماء الطلبة فى الصباح الباكر جرائد اليوم

للعبور على سبب للمظاهرات قبل أن تبدأ طوابير الصباح فى الثامنه •
وما أسهل ايجاد الاسباب • تغيير الديوان الملكى ـ تعيين حافظ عفيفى ؛
اقالة الوزارة الوفدية . تعيين السعديين • فان لم يتم العثور على
الاسباب اليومية ظهرت الاسباب الدائمة : الغــاء معاهدة ١٩٣٦ .
انسحاب جيوش الاحتلال ؛ وحدة وادى النيل ، الاستقلال التــام
أو الموت الزؤام • لم تكن هناك هتافات ضـــد الملك ، ولكننا كنا نسمع
أن طلاب الجامعة لا يتورعون عن القيام بها• وكنا نخرج ثم نذهب
بعدها الى مدرسة « فاروق » ثم الى مدرسة « فؤاد » • ونذهب
الى الجامعة لمشاركة طلبة الجامعة • وكنت قد تعودت على ذلك من
قبل ونحن فى المرحلة الابتدائية خاصـــة فى ١٩٤٧• وكنا نهتف « عاش
الطلبة مع العمال » وذلك أثناء تكوين « لجنة العمــال والطلبة » فى
الجامعة • ولم نكن نعلم بالواقعة فكنا صغارا لا نعرف أين الجامعة
كما عرفناها بعد ذلك فى المرحلة الثانوية • وكنا فخورين أننا نخرج
بأنفسنا ، ونخرج المدارس ، ولا تأتى المدارس لتخرجنا • فكــانت
لمدرستنا الزعامة باستثناء مرات قليلة كانت بعض المدارس الابتدائية
مثل الجمالية أو الخرنفش أو باب الشعرية تأتى لمدرسة السلحدار •
ومرة رأيت صبيا محمولا على الاعناق يطالب الناظر بخروج مدرسة
السلحدار ومعه مئات الصبية • وما أن انطلق الطوب من فوق الاسوار
حتى استسلم الناظر • ويومها فرحت بانتصار التلاميذ على الادارة •
وحتى الآن وهمى تحريك الشعوب ، وفرض ارادتها على الحكــام •
كنا نسمع بعد ذلك القنابل ، ومذابح كوبرى عباس ، والشهيد الحى ،
ولكننا لم نشاهد ذلك بأعيننا • ولكنها كانت مرحلة مازلنا نعتز بهــا
حتى الآن • وأنا أمر على مدرسة السلحدار ومدرسة خليل أغا وأراهم
صبية فى قبضة موظفين فأنعى حظهم وأتحسر على مصر •

وكانت القيادة لمظاهرات المدارس اما للشيوعيين أو للاخــوان أو للوفديين • كانت القيادة الشيوعية قادرة ومؤثرة ولكنها كانت تظهر اذا ما غابت القيادات الاخرى • وكانت قيادة الاخوان فى الخطابــة داخل المدرسة ولكنها كانت تنزوى خارج المدرسة فى الطريق العــام وتظهر من جديد فى آخر لمطاف فى مسجد للصلاة على الشهداء أو فى الجامعة • أما القيادة الوفدية فقد كانت هى العنصر المحرك والدائم • تلقى التأييد من كل الطلاب ، وتســيطر على المظاهرات داخل المدرسة وخارجها • وكنا جميعا من الوفد دون الانتساب اليه ، فقد كنا جميعا من الوطنيين • وكنا نشارك فى انتخابات ١٩٥١ للوفد ، وكنا نفرح بشد اليد على مصطفى موسى • ومازلت أذكر يده الرخوة الضخمة وهى فى يدى وهــو يقبل على فى الطريق للشد على يدى فى بــاب الشعرية • وكنا نخون سيد جلال وجميع مرشحى السعديين وجميع الطلبة السعديين الذين يدعون له • كنا نسمع عن فساد الاحزاب ، وكنا نســمع لهجوم السعديين ومكرم عبيد على النحاس ، ومع ذلك فقــد كان النحاس بالنسبة للجميع بطلا قوميا ، تحرسه العناية الالهيــة كما قال مدرس اللغة الانجليزية فى مدرسة خليل أغا والذى كان يدق جرس البيت ثلاث مرات أى « عاش النحاس باشا » ! ومازلت أذكر المظاهرة الضخمة لاستقباله وهو عائد من باريس مدينة النور • ذهبنا الى الاسكندرية • وكانت أول مرة أراها وأرى بحرها المرتفع تدريجيا حتى يختلط بالافق • وعدنا نفس اليوم بجاردن سيتى وهو يخطب فى الجموع غاضب من كثرة الاستقبالات قائــلا : « لا مرحبا بكم ، انصرفوا الى بيوتكم » • والحقيقة لم يكن استقبال الزعماء يمثــل عمقا وطنيا ، ولكن عزائى كان فى مظاهرة شعبية باسم الوفد •

ثم ازدادت حدة الوعى الوطنى أثناء معارك الفدائيين فى القنال

فى ١٩٥١ . وكنت فى السنة الرابعة بمدرسة خليل أغا الثانوية . وكنت بفريق الجوالة . وكان المتطوعون من الوفديين والاخوان يتدربون على اطلاق النار بكلية الهندسة بالعباسية . وكنا نودع الرفاق فى المدرسة وهم ذاهبون الى الجبهة . وكان اللباس الاصفر ونحن فى السادسة عشر يعطينا الاحســاس بالرجولة . وكنا نستقبل الشهداء ، ونسير بهم من العباسية حتى جامع الكخية بميدان الاوبرا ، ونســير أمام النعوش محمولة على الاعناق . ونساء مصر المتلفحات بالمــلاءات السوداء على الصفين يباركون شباب مصر ، ويدعون لصــغار السن . ونحن نسير بخطوة الجنازة . وكنا نسمع الزغاريد على قارعى الطريق ، والخطب الحماسية من رفاق الشهداء أمام باب الجــامع . وكانت رابطات العنق الحمراء ، لون الجهاد والدماء ، ولون الفرح والشهادة فى أعناق الرفاق . ففيم الحزن والسواد والموعد فى الجنة واللقاء عند الله ؟ وكنا نشعر والعصى الطويلة فى أيدينا أننا حماة مصر وجندها الابرار . ولم تكن الحكومة أو الدولة تدور بخلدنا أو تخطر على بالنا فقد كانت معركة الطلاب وحرب الفدائيين وسط التأييد الهائل للشعب .

وسمعنا حينذاك عن معركة نقطة البوليس مع الجيش الانجليزى فى الاسماعيلية وعن نداء وزير الداخلية المشهور « الى آخر رجل والى آخر رصاصة » . ثم سمعنا عن دك نقطة البوليس ، واستشهاد حوالى مائة شرطى ببنادقهم دون الاستسلام ، وطنية وثبات دون تجنيد فعلى لكل القوى ، مسيحية دون اسلام ، وشعارات تلهب مشاعر الوطنيين ولكن ينقصها المضمون المادى ، ونضال الجميع .

ثم اندلة حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ ، وشعرت بقمة المأساة : القاهرة تحترق ، ونزول الجيش الى الشوارع ، ونهب المحال التجارية ،

واقالة الوزارة الوفدية ، ونهاية الفورة الوطنية • وكان حديث الاحزاب وفسادها ، والملك ولياليه الحمراء ، والانجليز واستعمارهم لمصر ، ومعسكرات قصر النيل بطوبها الاحمر ، وميدان قصر الدوبارة • ولكن وعينا السياسى لم يكن قد برز بعد • رأيت كثيراً من اللصوص يقبض عليهم حيث كنت أقطن بباب الشعرية • ولم أفهم لماذا كل ذلك ، وكأن الوطنية المجردة موضوع متشابك الاطراف ، وكأن براءة الصبا لا توجد الا مغلفة بمؤامرات الليل ، وكأن الطهارة العذرية ما أسهل الفتك بهـا من قوى مجهولة كنا نجهلها فى حداثة العهد • كان هناك حديث عام عن الفساد فى البلاد : الرشوة ، والاحزاب ، والملـك ، والانجليز ، والاقطاع ، والاستعمار • وكنا دون رؤية مستقبلية فى هذه السن ، وكان التغير الاجتماعى أمامنا مسدودا بالرغم من مظاهر الفساد العام الذى يشهده الجميع •

وفجأة وبلا مقدمات ونحن نستعد لامتحان مسابقة التوجيهية فى الفلسفة فى ظهر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ رأينا الدبابات فى الشوارع ، والناس فى دهشة وحيرة ، تعطى الجنود المرطبات وتلقى عليهم فروع الاشجار • وعرفنا أنها حركة الجيش ، الحركة المباركة لتطهير البلاد من الفساد • وكان صوت جلال معوض وهو يعلن قيام الجيش بحركة مفاجئة يهز مشاعرنا • وفى صبيحة اليوم التالى قرأنا أخبار الانقلاب ، وسمعنا البيانات الاولى والثانية • وفى ٢٦ يوليو ، غادر الملك فى الساعة السادسة مساء ، وتنازل عن العرش • كانت يقظة داخلية فى نفوسنا • فما كنا نتحدث فيه من فســاد وملكية قد انتهى الى غير رجعة ، فقد تحققت أحلام صبانا • وكانت أيام لا نمل فيهـا من اعادة ســماع البيانات العسكرية عشرات المرات • وكانت شعارات الثورة : « الاتحـــاد

والنظام والعمل » . « ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد » تثير فينا الحماس والعزة والكرامة الوطنية • ورأيت محمد نجيب فى حديقة قصر عابدين وحوله الجنود وحولهم الشعب • فقد تحولت حدائق القصر الى ساحات شعبية • وسمعنا عن هيئة التحرير ورأينا لاول وهلة مأساتها . واسراع كل الوصوليين اليها • وأردنا أن نرى مصر ، وريف مصر . والاصلاح الزراعى ؛ فسرنا من القاهرة الى الاسكندرية سيرا على الاقدام ، وبتنا فى شقق هيئة التحرير المغلقة المهجورة ، ونمنا فى شرفة البورصة فى ميدان المنشية ، وكنا سعداء بامتلاك الشعب زمام الامر • وحتى الآن ، والثورة المصرية عالقة بذهنى ، ومسارها موضوع فكرى ؛ فعليها كانت بدايات وعيى الوطنى ، وفيها كان اكتماله •

٢ — بداية الوعى الدينى (١٩٥٢ — ١٩٥٦) .

بالرغم من نشأتى فى القاهرة المعزية بجوار سور صلاح الدين ؛ وبالرغم من قيامى بالشعائر تقليدا للاسرة أو فرحا بزهو الصبية الصغار بشهر رمضان ، وبصلاة التراويح ، وببطولة الصائم . وبخنوع الفاطر ، فقد بدأ الوعى الدينى على يد « الاخوان المسلمين » • فقد تعرفت على بعضهم ونحن فى الثانوية • وكنت قد سمعت من أحدهم فى التوجيهية عبارة حسن البنا واصفا اياهم بأنهم « فرسان بالنهار ورهبان بالليل » • ولكن احساسى بالعالم فى ذلك الوقت وبالثورة وبالتغير الاجتماعى منعنى من أن تثير الدعوة فى شيئا خاصة وأن من تعرفت عليهم فى ذلك الوقت لم يكن وعيهم السياسى واضحا ، وأنا لا أريد جماعة بل أريد الوطن كله •

وفى هذا الصيف ، صيف ١٩٥٢ وقت اندلاع الثورة المصرية دخلت

جماعة « الاخوان المسلمين » • وكانت فى البداية مجرد زيارة عابرة مع بعض الاصدقاء لشعبة باب الشعرية • وربما ذهبت بأقدامى مع بعض الاصدقاء باحثا عنهم ، وسرعان ما ضمنى الاخوان الى أسرة • وهناك بدأت التعاليم والتوجيهات نتصارع مع احساسى بالحياة وبالطبيعة • ولكنى كنت طيعا أجد فى تنفيذ الارشادات خير • ولما كنت أبغى التحديث ، كانت أول محاضرة لى أو تعليق على محاضرة عن « الاخوان المسلمين والعصر الحديث » • وطالبت بتغيير شعار المصحف والسيفين الى المصحف والمدفعين • وكنت أخشى الحديث فى البداية من وقوع الانظار على ، ولكن جرأة الموقف جعلتنى أندفع فيه • وكانت سمعتى الفنية قد وصلت الشعبة • فأخذ الاخوان عزفى على الكمان كدليل على أن من بين الاخوان يوجد بعض المحدثين • وكنت أتباسط مع أحدهم وأسأله : هل الموسيقى حرام ؟ وكان رده : ان كانت تلهو عن الصلاة فهى حرام • وكنت أتساءل : وهل يكون الفن لهوا ؟ وهل الفن يتعارض مع الدين ؟ وهل يحرم الدين الفن ؟ أليس الاحساس بالجمال هو احساس فنى ؟ وماذا عن القرآن ككتاب فنى ؟

وكنت أصلى فى رمضان الفجر حاضرا معهم • وكانت برودة الصباح مماثلة ليقظة الشعور الدينى ، وعمق الايمان • وكانت حلاوة صلاة الفجر لا تعادلها حلاوة فى صحبة الاخوان • ودخلت الجامعة وأنا اخوانى ، أشارك معهم فى انتخابات الاتحاد • وكنت نظرا لتحررى لا أرى حرجا فى الحديث مع الطالبات فجعلنى الاخوان رسولا اليهن بغية أصواتهن • وكانوا يتساءلون أحيانا عن صدق انتسابى اليهم وأنا على هذه الدرجة من التحرر أو الفساد فى رأيهم • خاصة واننى لم أجد حرجا فى الجلوس بجانب الطالبات والحديث معهن ، وهم كانوا

يركزون على فصل الطلبة عن الطالبات حتى الآن ؛ ولم يكن الحجاب قد ظهر بعد كما هو الحال الآن • وكان نصرا أن ينجح مرشحو الاخوان فى انتخابات الاتحاد بما يتجاوز ٩٠٪ من عدد المرشحين فى كل اتحادات الكليات وفى الاتحاد العام • لم يكن ينافسهم الا الشيوعيون • كنت أعى تماما هتافات « الله أكبر ولله الحمد » ولكنى لم أكن أعى تماما هتافات « تحيا مصر » أو « انتصر الشعب » • كنت أرى الشيوعيين ضالين فاسقين ، غرباء خارجين ، أصحاب هوى ، بعيدين عن الحق ، لا أخلاقيين ، تعاونوا مع أحد الفراشين الذى يساعد فى طباعة أسئلة الامتحانات على تسريبها •

وكنت مع الاخوان فى الجامعة نجلس تحت الساعة نتذاكر ، ندرس ونحفظ • ويمر علينا بعض زعماء الاخوان يقرؤوننا السلام، والقلوب تتهاوى ، والهدف المشترك نصب الاعين • وفى الجامعة كان يأتى محمد نجيب • وفى القاعة الكبرى كان يتحدث عن الوحدة الاسلامية وكانت أصوات التأييد تخرج من القلوب الى الحناجر ، ونحن نشعر أن الوحدة الاسلامية أصبحت قاب قوسين أو أدنى • ولكن فى الشرفة العليا وعلى اليسار كان الشيوعيون يصيحون : الدستور ، الدستور • وكان احساسى أنهم خارج تيار الامة • وماذا يعنى الدستور بجوار الوحدة الاسلامية ؟ وكأنهم كانوا يريدون وقف مسيرة الامة الاسلامية • وكان هناك ضابط صغير ، مقوس الانف ، واقفا أما المنصة مربعا يديه على صدره ، لا يتكلم • ولكن الكل يقول : سيكون لهذا الضابط الصغير شأن يوما ما • وفى المساء ، كل يوم ثلاثاء ، كنت أذهب الى المركز العام بالحلمية الذى ذهبت اليه أخيرا وكان قد تحول الى قسم « الدرب الاحمر » • وفى البدروم وجدت مساجين بدلا من طلبة مصر أيام المركز العام • لم أستمع الى حسن البنا ولكنى استمعت الى سيد

قطب ، وعبد القادر عودة ، وسعيد رمضان ، وعلال الفاسى ، وحسن العشماوى ، وعبد الحكيم عابدين ، وغيرهم من أقطاب الاخـوان . وعلى المدخـل كانت قراءاتى لرسـائل حسن البنـا وأبى الاعلى المودودى وسيد قطب . وكنت أشـعر بالوحدة العربية مـع الطلبة العرب ، والوحدة الاسلامية مع الطلبة المسلمين . وكان فى بيتى العمل بقسم الطلاب ، أو مع اخوان غزة من أجل فلسطين . وكنت أذهب مع الاخوان فى رحلاتهم . وأذكر رحلة المرج حيث ذهبنا بالمئات . وكنت أشعر بالامة الاسلامية المصغرة ، وبالجدية فى اللعب ، وبالمشاركة فى الطعام ، وبالتنافس على الخير ، وببداية الترقب والتوجس والخيفة من الثورة .

ثم حدثت أزمة مارس ١٩٥٤ وأنا بالسنة الثالثة فى الجامعة . ورأيت نواب صفوى زعيم الجماعة الاسـلامية بايران محمولا على الاعناق بعمته الخضراء ، وقفطانه الاسود . واحترقت العربة فى فناء الجـامعة ، واندلعت النـيران . وخرجت المظـاهرة تأييدا لنجيب وللديمقراطية ولعودة الجيش الى الثكنات . ودوى اطلاق الرصاص على كوبرى قصر النيل بأمر من ناصر وزير الداخلية آنذاك . وذهبت بقية المظاهرة الى ميدان عابدين . وسمعنا عبد القادر عودة بجـوار محمد نجيب وهو يأمر الاخوان بالانصراف .

ولما وقعت معاهدة الجلاء فى ١٩٥٤ كنت أوزع انتقادات الاخوان لها . وكنت أتساءل كيف للثورة أن تعقد هذه المعاهدة التى تسـمح للقوات البريطانية بالعودة الى قناة السويس ، واستخدام مطارات مصر ومنشآتها فى حالة الحرب ؟ كان ما قبلته الثورة أقل بكثير من

البرامج الوطنية لجميع الاحزاب فى ذلك الوقت . لذلك كانت فرحتنا بتأميم قناة السويس فى ١٩٥٦ . حدثت بعدها المصالحة الوطنية . وظهرت الثورة المصرية رائدة للثورات الوطنية فى العالم الثالث . وظهر ناصر بطلا قوميا لكل حركات التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا .

ثم كان حادث المنشية ، وبدأت الاعتقالات ، وكنا نزور الاخوة فى معسكرات البوليس الحربى . ثم أصبحت الدعوة سرية بعد أن تم حل الجماعة . واقتصر نشاطى على جمع التبرعات لاسر المعتقلين . لم يكن لى أى نشاط سرى ، فقد كان ذلك ضد طبيعتى . كنت أعلن بلسانى ما أشعر به فى قلبى . وكان هناك ضابطان للحرس بالكلية يقومان بلعبة الصديق والعدو ، واحد يقوم بدور الصديق ، مبتسم ومنفتح على الطلاب ، يأخذ منهم المعلومات ويحذرهم من زميله ، والآخر يقوم بدور العدو ، مكفهر الوجه ، غامض السلوك ، ينظر من نوافذ المدرجات .

وفى الجامعة كانت بداية أزمتى مع الفلسفة الاسلامية . كنت أقرأ خارج الجامعة حسن البنا ، وسيد قطب ، وأبى الحسن الندوى ، ومحمد الغزالى ، ومعظم المفكرين المسلمين المعاصرين فأحس بشىء فى نفسى ، وأجد نهضة الاسلام والمسلمين ، وأشعر بوجودى ، وحياتى ، وواقعى ، وأمتى ، ووطنى ، ومستقبلى ، ومشروعى . ثم أسمع فى مدرجات الجامعة العقول العشرة ، والعقل الفعال والمتفعل ، والذات والصفات ، وطبيعيات ابن سينا ، فلا أجد فيها شيئا ، وأشعر بغربة عن هذا التراث وكأنه ليس تراثا اسلاميا . كان قلبى مع المحدثين ولكن ظل عقلى فارغا يبحث عن قضية اسلامية فى الجامعة . انعزلت عن الفلسفة الاسلامية كما انعزلت عن علم الكلام ، مجرد نظريات

افتراضية لا تمس واقـع المسلمين ولا حياتهم • هذا بالاضافة الى مناهج الاملاء والمقررات والكتب المحفوظة أو غياب الاسـاتذة فى الخارج • وكنت أعترض على مناهج التلقين فى الفلسفة الاسـلامية وعلى مناهج الاملاء والعبارات الانشائية النمطية • ومرة اردت أن أسأل وأن أناقش فقبل الاستاذ حتى ينور الطلاب ويطالبونه بالاملاء وأكون أنا فى موضـع الاقلية ، وقد كان • وفى دروس التصوف شعرت لاول مرة بأهمية الرجوع الى القرآن كمقياس ومعيار ، وبأهميـة الصلة بين التوحيد الاسلامى وبين ما يقوله الصوفية عن وحدة الشهود ووحدة الوجود • وكنت أتمنى كل هذه الطاقة والحياة أن تعـود الى الحياة من جديد بدلا من أن تكون فارغة بلا مضمون ، وبدلا من أن تبدد خارج الحياة بالوهم والخيال • وكنت طالب امتياز من السنة الثالثة • وفى أبحاثى كنت أضـع فى النهاية رأيى الخاص • وفى بحث امتياز عن « نظرية المعرفة والسعادة عند الغزالى » وأنا فى السـنة الرابعة عرضت فى الفصل الختامى لرأيى الخاص وفيه تحليل للتصوف كنظرية فى الانعراج كرد فعل على السـقود الاجتماعى وكحركة رد فعل سلبى على تيار البذخ والترف فى بداية الدولة الاموية • وأنه لابد للقضاء على الانعراج من أجل العودة الى العالم وانقـاذه من السقوط ، وهـو ما لم يعجب الاستاذ واعتبره خارج الموضوع • وفى امتحان الشفاهى هذا العام كنت أبغى الاجابة من آرائى الخاصـة حول التراث ، والمنهج الاسلامى ، ونهضة المسلمين ، وكان الاسـتاذ يأبى الا المقررات المحفوظة •

وفى نفس الوقت كنت أسمع اقبال لاول مرة وأنا فى الثالثة ، وكان حديثا عن الحياة والخلق والابداع والقوة والجهاد والذاتيـة

والغائية والامة • فأحسست بفكر اسلامى يجمع بين الماضى والحاضر ، ويصور واقــع المسلمين خلافا لنظريات العقــول العشرة ، والذات والصفات ، والمقامات والاحوال • وكنت أشعر وكأن قلبى ينتزع من نفسى • فقد كانت هــذه الفلسفة التى أبحث عن نوعها • وكنت فى بحثى الامتياز وأنا فى الثالثة عن جويو ، قد أهديتــه الى « كل من يتغير ، فيتحرك ، فينطلق ، فيبدع شيئا جديدا » • فعلق أحد الاساتذة العائدين من فرنسا « هذا برجسون » • مع أن ذلك كان الاسلام كما كنت أشعر به حتى قبل سماعى اقبال فى السنة الثالثة • أما محمد عبده فلم يكن براقا ولا جذابا ، ولم يثر فى أية ايحاءات فلسفية • بل كنا ننقد موقفه من الثورة العرابية ومن عبارته المشهورة « لعن الله ساس ويسوس » • وكنت قد كتبت للاستاذ مرة على السبورة « أحب محمد عبده ولكن حبى للاسلام أعظم » • وكان الموقف الاسلامى الفلسفى قد بدأ يتبلور حتى اننى فى كثير من الاجابات كنت أنهى الموضوع بالرأى الخاص عن الموقف الاسلامى المستنير • وأذكر أنه فى اجابتى عن الوجودية عقدت حوارا مع وجودى ومسلم ضد التشاؤم، والتناقض ، والعبث ، واللامعقول ، والانتحار ، ووضعت اقبــال فى مقابل كير كجارد وسارتر ومارسل وغيرهم من الوجوديين •

ثم حدثت أول أزمة فى عمرى وأنا فى السنة الرابعة • وقد تعودت الآن على مثل هذه الازمات التى تعرض لى مرة كل عشر سنوات ١٩٥٦ ثم ١٩٦٦ ثم ١٩٧٦ • لم أستطع وأنا فى الرابعــة الا أن أعبر عن الموقف الاسلامى • وبدأ الرأى الخاص يتغلب على ورقة الاجابة كلها من الالف الى الياء • ففى اجابة الفلسفة المعاصرة عن « محمد عبده » انطلقت أعبر فيها عن رؤيتى فى الاصلاح وعن تطويرى له وعن محاولتى الاولى لاقامة منهج اســـلامى عام يقوم على الحسن والقبح العقليين ،

ويوحد بين الحق والخير والجمال . ويكون منهج فكر وحياة . نظر وعمل •
وفى عتابى مع الاستاذ بعد أن أعطانى أقل الدرجات قال ان اجابتى كانت غامضة • صحيح أنها لم تكن من « رائد الفكر المصرى » ولكنها بالنسبة لى كانت واضحة تماما • وحتى لو كانت غامضة فمن الطبيعى أن تكون كذلك •

وفى مادة « علم الجمال » ذهبت أيضا ضحية اعطاء المـادة من أستاذ وتصحيحها من أستاذ آخر لم يعطها كما حدث لطلبتى فى ١٩٧٧ • فقد أعطى المصحح جميع الطلاب الدرجات الدنيا • وكان السؤال عن مقاييس الجمال فى الفن (رابطة العنق وانجذاب المشترى نحوها) • ومازلت أذكر عن تحليلى للسؤال لفظا مهاجما الفنون التشكيلبه ومدافعا عن الفنون السمعية ومبينا أن الجمال ليس فى الشىء بل فى النفس . وليس فى العين بل فى الاذن •

وأخيرا ، ذهبت ضحية الطائفية • ففى موضوع « علم النفس الصناعى » وعن سؤال عن مقاييس علم النفس : الكم ، والموضوعية ، والمادية ، والعلية أجبت بالرفض فى نفس الوقت الذى كنت أعيش فيه اقبال والذاتية والفلسفة الوجودية ضد الموضوعية والكم والقياس والعلمية • وبالرغم من تبنى الاستاذ علم النفس التكاملى الا أنـه كـان يعطى علم النفس الفزيولوجى وعلم النفس التجريبى ، وعلم النفس الصناعى وهى العلوم التى أثارت الفكر المعاصر والتى كانت الفينومينولوجيا رد فعل عليها • وفى عتاب مع الاستاذ قال أن اجابتى كانت ميتافيزيقية وليست علمية • وكان من السهولة معرفة ورقـة اجابتى لما تتسم به من طابع خاص • وكان الاستاذ ورئيس القسم قد سألنى مرة عن نيتى بعـد التخرج فأجبت : فرنسا • وحدثته عن

آمالى فى نهضة الاسلام والمسلمين ، وعن رغبتى فى تكوين منهج اسلامى عام شامل . وغائب عن ذهنى داء الطائفية ، فأستاذ الجامعة فى ذهنى هو أبعد الناس عن الشبهات ، يبغى الحق والخير للناس وللامه .

وبلغت قمة المأساة فى امتحان اللغة الالمانية . لغة طلبة الامتياز . كان يدرس لى أستاذ ألمانى فى الثالثة ثم سافر ، ودرست لى فيما بعد أستاذة ألمانية مع قسم الآثار بعد الظهر . ثم جاءت الاسئلة مع طلبة قسم اللغة العربية مع أستاذ مصرى فى اليوم التالى . وفوجئت بورقة أسئلة فى مفردات ونصوص لم أدرسها وان كنت على علم بقـواعد اللغة بعد أن ظللت ليلة بأكملها أبحث عن طالب بقسم اللغة العربية لاعرف منه مقرر اللغة . وكانت قمة المأساة وأنا أكتب للعميد طلب أشرح له فيه الموقف . ولما كنت فى قمة المثالية الدينية فى هـذه الفترة فقد صدرته بلقب « الاخ الفاضل » . فنهرنى ضابط الحرس المسيحى واتهمنى بقلة الادب والحياء فشرحت له انه لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وأن الرسول شهيد على أن عباد الله اخوانا ، وانه لا سيد الا الله وبالتالى فلا أستطيع أن أسمى أحدا سيدا ، وكان غائبا عن ذهنى أن لقب الاستاذ الدكتور لقب علمى لا يضطر الايمان فى شىء . وكان أول مجلس تأديب لى أمام ستة من أساتذة الجامعات تحت قبة الجامعة شرحت لهم رأيى فى المساواة المطلقة بين البشر ، وأنه لا سيد ولا مسود ، وان كانس الطريق اذا ما أدى واجبـه خير من رئيس الجمهورية اذا قصر فى آداء الواجب . وأخبرتهم أنى فى طريقى الى فرنسا مغادرا البلاد . فأعلنوا براءتى بعد مناقشات عن المساواة بين البشر ، والاخوة فى الدين . ولكن ظلت الجامعة بالنسبة لى هى مأساة الادارة ، ومكان الرأى الحر ، وأصبحت جزءا من تكوينى الذهنى .

فى هذا الجو النفسى : اضطهاد الاخوان ، أزمة الدراسات الاسلامية ، أزمة الحياة الجامعية ، ضياع الامتياز وان كنت مازلت أول الدفعة ، كنت أذهب الى مسجد عمر مكرم أقرأ القرآن . ولاول مرة كنت أشعر بحدوسه الفلسفية ، وأهمية عالم الشعور والحواس ، وضرورة الاستمرار فى النضال . وكان كل من ينظر فى عينى يسألنى ماذا بى ؟ وكانت ساعة الرحيل قد دقت لشق طريقى الخاص .

وفى يوليو ١٩٥٦ حدث تأميم قناة السويس ، وفى أغسطس بدأت مؤتمرات لندن الاولى والثانية . وبدأت الاساطيل تتجمع فى البحر المتوسط ، وبدأت العلاقات بيننا وبين فرنسا فى الانهيار . وكنت آخر طالب خرج من مصر . وأخذت تأشيرة خروج ودخول الى فرنسا . وغادرت البلاد فى ١٩٥٦/١٠/١١ ووصلت الى مرسيليا فى ١٩٥٦/١٠/١٧ بصفيحة من الجبن وأخرى من اللبن من المعونة الامريكية التى كانت توزع فى المدارس وبمخلة من الخبز الجاف وبعشرة جنيهات أمام بكاء الاهل . ولكن نداء الرحيل كان لا مفر منه . وكنت أرى نفسى عائدا موسيقيا فيلسوفا ، مؤلفا لسمفونية « العودة » . وكانت أحلامى فى ذلك الوقت كلها وحتى الآن الى حد ما الطيران فى الهواء . نشأت كل أفكارى عن المنهاج الاسلامى ، والتصوير الفنى ، والامة الاسلامية ، والاسلام كمكز للثقل فى العالم ، والاصالة ، ونقد الغرب ، من الاخوان ، وكان لسيد قطب أثر كبير على ، بأسلوبه ووضوحه وبساطته خاصة مقال « الاسلام حركة ابداعية شاملة فى الفن والحياة » وحتى الآن أجد نفسى فيه . ولو أن الدعوة كانت قد تطورت تطورا طبيعيا دون هذا الصدام المشؤوم بينها وبين الثورة لتطور سيد قطب أكثر فأكثر فى طريق « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » ، وأيضا « معركة الاسلام

والرأسمالية » ، ولما كتب « معالم فى الطريق » التى يظهر فيها فكر الدعوة من بين الجدران . وكانت ثورة مصدق وتأميم البترول بالنسبة لى فى ١٩٥٣ وعيا اسلاميا تقدميا أحسست بخلافى مع الاخوان فيه الذين فرحوا بسقوطه لانه متعاون مع الشيوعيين ، وبعودة الكاشانى آية الله . كانت لجنة الشباب المسلم والمحاولات الاقتصادية الاولى لعمل اقتصاد اسلامى لا يقوم على الربا بدايات « اليسار الاسلامى » أو « الاسلام التقدمى » أو « الاسلام الثورى » . ولو عاش سيد قطب لكنت خير تلميذ له ، ولو استمرت الدعوة لكنت أحد مفكريها . لم أتعلم من الجامعة شيئا الا كرد فعل على أزمة الدراسات الاسلامية . وكنت أسمع عن اقبال أيضا والافغانى من الاخوان . كثرت قراءاتى فى « الاسلام المعاصر » حتى استحوذ الكتاب كل وقتى ولم يعد هناك وقت للموسيقى والعزف على الكمان . وبدأت الفكرة الاسلامية المعاصرة ترن فى أذنى كاللحن ، وكان اللحن الموسيقى خاويا بلا مضمون فكرى ، لم أكن أستطيع البقاء فى مصر . فماذا سأتعلم ؟ كانت فرنسا بالنسبة لى مكان التكوين ومدرسة المبتدئين . وكان قسمنا بالجامعة ، قسم الفلسفة على علاقة وثيقة بالسربون منذ نشأته ، أساتذة أجانب ومصريون . كان أملى الوحيد هو الحصول على بعثة . ولكن ضاع الامل بضياع الامتياز ، وبقطع العلاقات الرسمية بيننا وبين فرنسا بعد التأميم . ومع ذلك فالمغادرة الفردية ، والغوص فى المجهول كان هو المنفذ الوحيد الباقى . وغادرت مصر وعمرى واحد وعشرون عاما ، ورجعت اليها وعمرى واحد وثلاثون عاما .

ثالثا — بداية الوعى الفلسفى (١٩٥٧ — ١٩٦٠) .

بالرغم من أن بداية الوعى الفلسفى كانت فى معرفتى بالمثالية

الالمانية خاصة فشتة وفلسفة المقاومة والانا التى تضع ذاتها بمقاومة اللاأنا وسماعى عن الايحـــاء المتبادل بين الذات والموضوع والقصدية عند هوسرل من أحد الاساتذة العائدين حديثا فقد اجتمعت هـــذه البدايات فى الفلســـفة الغربية حول المثالية الترنسندنتالية مع فلسفة الذاتية عند اقبال ، وأصبح حديث الشـــعور هو حديث القلب للقلب ، وهو ما أصبح فيما بعد مستوى الشعور فى « التراث والتجديد » • وكنت قد استمعت بدلا من دروس المنطق درسا فى المصطلحات العلمية وشد انتباهى مفاهيم الارتقاء والحركة والتطور فى علم النفس فأدركت أهمية الالفاظ ومعانيها فى تغيير نظرة الانســـان للعالم • وهو مـــا أصبح فيما بعد التركيز على عملية استبدال الالفاظ من أجل اظهـــار المعانى وابراز الاشياء •

ولكن البداية الحقيقية التكوينية للوعى الفلسفى كانت فى فرنسا عندما شرعت فى كتابة خطة بحث للدكتوراة « المنهاج الاسلامى العام » أحاول فيه أن أصوغ الاسلام منهاجا عاما شاملا للحيـــاة الفردية والاجتماعية • وجعلته على صورتين : صورة ثابتة من التصور والنظام، وصورة حركية من الطاقة والحركة • ويقوم على التوحيد بين الوحى كنظام مثالى للعالم ، والعالم كنظام طبيعى ابتداء من وحدة الذات حتى وحدة الشهود ووحدة الوجود • وكانت الافكـــار الاولى عن توجيه الفكر للواقع قد نبتت من خلال الوعى الدينى وأنا بالجامعة • وقيل لى يومئذ أن ذلك هـــو قول كانط فى تشريع الفكر للواقع • وكانت المشكلة بالنسبة لى هى مشكلة الجمع بين القبلى والبعدى ، الوحى كمعطى سابق والمعرفة الانسانية أو العالم كمعطى بعدى • وقـــد صدرت الخطة بمقدمة طويلة ، عن فكر الاخوان المسلمين وعقبتـــه

بمراجع عديدة عن الفكر الاسلامى الحديث . ولكن كانت المأساة كالآتى :

رأى المستشرقون أن هذه دراسات عامة للغاية ، ولابد من دراسة شخصية تاريخية أو مذهب فقهى أو فرقة كلامية . وأنا لم أرغب فى التاريخ بل أردت تجاوز التاريخ والا عدت لازمة الفلسفة الاسلامية وأنا بالجامعة . أردت صياغة جديدة للاسلام كمنهج عام شامل فى الفكر والحياة ، مشروع سيد قطب ، بعد أن تحول لدى الى رؤية مستقبلية وخطة نهضة للامة الاسلامية . ورأى الفلاسفة الغربيون أن أختار كانط لانه هو الذى وضع مشكلة القبلى والبعدى بالرغم من حبهم للاسلام وتعظيمهم له . كانت المشكلة كالآتى : يقرأنى المستشرقون فيقولون : هذه فلسفة غربية ونحن مؤرخون ، ويقرأنى الفلاسفة فيقولون : هذا اسلام ونحن فلاسفة غربيون . وظلت الحيرة بين المستشرقين والفلاسفة ، وكنت فى حاجة الى مستشرق فيلسوف أو الى فيلسوف مستشرق من نوع رينان . كان كوربان هو الوحيد الموجود فى « مدرسة الدراسات العليا التطبيقية » ولكنه كان موغلا فى الاسماعيلية الباطنية . لما قرأ مشروعى عن « المنهاج الاسلامى العام » اقترح على موضوع « التأويل » ودراسة « البحر المحيط » للزركشى . ولكن رغبتى كانت فى اكتشاف الوعى عند أهل السنة من أجل نهضة الامة ومخاطبتى لواقعها وتراثها الحى فى مصر والعالم العربى . ولكن أول أفكارى عن الذات والموضوع والتركيز على القلب الذى يخلق موضوعه كان منه .

ولما قرأ ماسنيون خطة البحث وشرحت له رغبتى فى اقامة منهاج

اسلامى عام فى الفكر والحياة للفرد وللمجتمع سألنى عن سنى فقلت : اثنان وعشرون عاما فقال : لماذا تتكلم اذن وكأنك ثمانون عــاما ؟ ان المشروع الذى تقترح لا يقدر عليه الا من بلغ هذا السن بعــد أن يكون قد عرف مناهج المسلمين ومناهج الغربيين وبعــد أن تكون لديه حصيلة كبيرة من التجارب • ابدأ بالبحث عن كيفية صياغة هذه المناهج عند علماء أصول الفقه • ابدأ منها ، طورها ، انقدها ، غيرها ، ولكن لابد من البداية بنقطة معينة فى التاريخ حتى ترتبط بالتراث وتكــون جزءا منه • وقد أوصى مصطفى عبد الرازق بذلك من قبل • فكيف لم يوجهك أساتذتك الى هذا العلم وأنت معك مثل هذا المشروع ؟ وهنا أدركت مأساة الجامعة من جديد • كان الجميع لدينا يتشدقون بأنهم تلاميذه ، وكانوا يدعون له ، ويستغفرون على الملأ ، ولكن لم يحاول أحد تنفيذ وصيته باستثناء أحد تلاميذه وهو على قيد الحياة فى « مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ، ونقد المسلمين للمنطق الارسطاليسى » • وقد حاولت منذ رجوعى أستاذا بالجامعة ادخال علم أصول الفقه حتى تكتمل صورة التراث لدى الطالب دون الاقتصار على الكلام والفلسفة والتصوف ولكنى لم أنجح حتى الآن لمعارضة تلاميذ تلاميذ مصطفى عبد الرازق • ومازلت أحاول حشره حشرا فى قاعة البحث أو فى علم النقد التاريخى للكتب المقدسة فيما يتعلق بمناهج الرواية فى الفلسفة الغربية فى العصــور الوسطى أو فى العصر الحديث بعــد نشأة هذا العلم أو فى الفلسفة المعاصرة بعــد ظهور موضــوع التأويل كعلم فلسفى مستقل • وعندما كان يتاح لى تدريس التصوف فكنت أتناوله من خلال معركة الفقهاء والصوفية • كان علم أصول الفقه اكتشــافا وأنا فى بداية الوعى الفلسفى ، وانفتــح على التراث بعد أن كان

مغلقا ، واتصل القديم بالجـديد ، ورأيت من خلاله ماضى المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم • واكتشفت نظرية الشعور الثلاثى : الشعور التاريخى لمعرفة صحة النصوص التاريخية عن طريق مناهج الرواية ، والشـعور التأملى لتفسير النصوص وفهمها عن طريق تحليل الالفاظ ، والشـعور العملى لتطبيق الاحكام فى الحياة العملية • وبالتالى يتحول الوحى الى نظام مثالى للعالم من خـلال جهد الانسان وفعله ، ويتم التوحيد كعملية فى النهاية وليست فى البداية ، ويصبح الله أقرب الى الصيرورة منه الى الكينونة(٣) • كتبته مرتين ، الاولى موجزة ، والثانية مسهبة • وكان يمكنى كتابته للمرة الثالثة ولكن كان ذلك يحتاج الى عشر سنوات أخرى كى أبدأ من جديد • وكان يكفينى معرفة أخطائى • وكانت أول محـاولة لاعادة بناء الحضارة الاسلامية على مسـتوى الشعور من أجل اكتشـاف الذاتية حتى نعيد بنـاء حضارتنا ، ونعيد اختيار محاورها وبؤرها ، بدل أن تكون مركزة حول الله تصـبح مركزة حول الانسان • وكانت المقدمة التى كتبتها هى البدايات الاولى لـ « التراث والتجديد » حول نقـد مناهج المستشرقين والاسلاميين فى دراسة التراث ، وحول وضـع منهج تحليل الخبرات الشعورية ، ووصف عمليات التشـكل اللغوى • وقـد تناوله عديد من المقالات خارج مصر بالدراسة والتحليل ، وتقام عليه حاليـا بعض الرسائل العلمية فى الجامعات الاجنبية ، وأصبح يمثل أحد معالم « علم أصول الفقـه » عند المعاصرين • وأثناء هـذه الفترة أيضا ضمن احـدى

---

(٣) Les Méthodes d'Exégèse, esrsai sur la science des Fondements de la Compréhension, ilm Usul al-Fiqh, Le Caire, Impremerie Nationale, 1965.

حلقات البحث فى السربون قمت باعداد « المعتمد فى أصـــول الفقه » لابى الحسين البصرى أستاذ القاضى عبد الجبار ، وهـــو الوحيد فى أصول الفقه الاعتزالى • بدأته بالتعاون مـــع أحد الزملاء باشراف الاستاذ برنشفيج ثم أخيرا باشراف الاســـتذا حميد الله الذى كان يقوم بنفس المشروع(٤) •

وكان لابد من موضوع ثان للرسالة التكميلية • فبعـــد قراءتى للفلسفة الاوربية واكتشـــاف بدايتها فى الكوجيتو الديكارتى ونهايتها فى الكوجيتو عند هوسرل ، ومقارنة العقليين بالوجوديين أردت أن أكتب رســـالة فى تطور الوعى الاوربى • ورأيت ضرورة دراســـة الفلسفة الاوربية من وعى لا أوربى حتى يمكن رؤيته عن بعد بشعور محايد يتسم بالموضوعية • وكان الهدف اعلان نهاية الوعى الاوربى وبداية وعى العـــالم الثالث ممثلا فى حضارات الشعوب غير الاوربية ، مصر ، الصين ، الهند • فقد كانت مصر فى ذلك الوقت تملأ الدنيـــا تحررا واشتراكية • وكان العالم كله يتحدث عن حركات التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية • وفى فرنســـا كانت حرب التحرر الوطنى فى الجزائر على أشدها ، وكان الحى اللاتينى بؤرة ثوريـــة للعـــالم كله • فى هذه الفترة كنت أقرأ كل شىء فى الفلسفة الاوربية الفرنسية والالمانية أســـاسا ، وأجلت الفلسفة الانجليزية والامريكية الى فيما بعـــد خاصة وأنها لم تثر فى أية مشـــاعر فلسفية حتى الآن •

---

(٤) أبو الحسين البصرى : كتاب المعتمد فى أصول الفقه ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية ، دمشق ، الجزء الاول ١٩٦٤ الجزء الثانى ١٩٦٥

اتضحت المذاهب الاوربية ، وارتبطت فيما بينهـــا بقانون الفعل ورد الفعل . واتضح لى بنـــاء الشعور الاوربى : تيـــار نازل ممثل فى التجريبية وتيار صاعد ممثل فى العقلانية ، ومذاهب حياة وارادة تتأرجح بين التيارين • وتجسدت أمامى ثلاث فلسفات : فلسفة الطبيعـــة ؛ وفلسفة الروح ؛ وفلسفة الوجود • عرفت تطور الوعى الاوربى من مصادره الاولى فى أصـــول ثلاث : الاصل اليونانى الرومانى . والاصل اليهودى المسيحى ، وكلاهما عرفتهما من السربون ثم البيئة الاوربية نفسها التى عرفتها بنفسى بعد اكتشاف محلية الفلسفة الاوربيـــة وخضوعها لظروفها الخاصة ، بالرغم مما تدعيه من عالمية وشـــمول • ولكن لما كان الموضوع فى حاجة الى نقطة بداية فقـــد سجلت أولا موضوع « الدين العقلى والدين الوجودى عنـــد كانط وكيركجارد » ليسمح لى بمقارنة هاتين اللحظتين فى الوعى الاوربى : البداية والنهاية • ولكن بعـــد قراءتى لهوسرل وتعرفى على الفينومينولوجيا والبدايـــة بالوعى الفردى والحضـــارى وحتى أكون أكثر دقة فى البحث عن نظرية للبداية أصبح الموضـــوع « تفسير الفينومينولوجيا ، الحـــالة الراهنة للمنهج الفينومينولوجى وتطبيقه فى ظاهرة الدين »(٥) • وقد حاولت استعمال مناهج التفسير لفهم الفينومينولوجيا وتحويلها الى فينومينولوجيا تطبيقية وحركية وتفسيرها على أنها حدس دينى مثالى ، ومراجعة تطبيقاتها فى ظاهرة الدين ، فى فلسفة الدين ، فلسفة التوسط

---

(٥) L'Exégèse de la Phénoménologie, L' Etat actuel de la Méthode Phénoménologique et son application au phénomène religieux, (Thése de 1966), Dar al - Fikr al - Arabi, Le Caire 1980.

وفلسفة التصـــورات ، وفى فينومينولوجيا الـــدين ، فينومينولوجيا الموضوع أو الفعل أو التفسير •

ثم تطور الموضوع أكبر وأكبر فعقدت جزءا ثانيا لتطبيقى الخاص للمنهج الفينومينولوجى فى ظاهرة التفسير وأخذت العهد الجديد كنقطة بداية مع تطبيق نظرية الشعور الثلاثى : الشعور التاريخى ، والشعور التأملى ، والشـــعور العملى فى العهد الجديد • فخرج الجزء الثانى « فينومينولوجيا التفسير ، محاولة فى التفسير الوجودى ابتـــداء من العهد الجديد »(٦) ، حوارا بين الاديان ، وحوارا بين الحضارات ليكشف عن نصـــوص العهد الجديد من خلال علم أصول الفقه آخذا أحكام القرآن على الانجيل بالتحريف والتبديل والتغيير على أنهـــا افتراضات علمية فى حاجة الى التحقق من صدقها فى التاريخ • وكنت قد عرفت علم « النقد التاريخى للكتب المقدسة » وأنا بصـــدد الاطلاع على الفلسفة الحديثة اسبينوزا خاصة ثم أثر الفلسفة الهيجلية ومناهج النقل التاريخى ورينان على علم النقد • فكانت معرفتى به حدثـــا واكتشافا ، وأضفت نتـــائج المدارس الليبرالية والتقدمية فى البحث والاعتماد على « مدرسة الاشكال الادبية » عند بولتمان ودبليوس ، واكتشاف الوجود الانسانى عند هيدجر والبناء الشعورى للجمـــاعة المسيحية الاولى • وقد أجلت اليهودية فيما بعد وأجلت التطبيق على العهد القديم لفترة لاحقة •

---

(٦) La Phénoménologie de L'Exégèse, Essai d'une Herméneutiqne existentielle á partior du Nouveau Testament (Thèse de 1966), (sous - pness) Anglo — Egyptian Bookshop, Le Caire, 1989.

وكان من أدين له بكل شىء فى تكوينى الفلسفى هو جان جيتون ، أستاذ الفلسفة ، وتلميذ برجسون ، ومجدد الكاثوليكية ، وأول علمانى يدخل المجمع المسكونى فى تاريخه على الاطلاق ، صديق يوحنا الثالث والعشرين ثم بولس السادس ، وعضو الاكاديمية الفرنسية . أطال الله فى عمره . هو أستاذى ومعلمى كما أسميه باسم المسيح . ويسمينى تلميذى الحبيب كما سمى المسيح يوحنا الحبيب . لقد استمعت الى كل أساتذة السربون من ١٩٥٦ الى ١٩٥٨ فى المنطق والفلسفة والاخلاق والجمال وعلم النفس ولكنه هو الذى استمر معى فكان فيـه الروح والحدس ، وكان فيـه العلم والفلسـفة ، والايمان والتجـديد ، والموضوعية والذاتية . تعلمت منـه الكثير . تعلمت منه أهمية نقطة البداية فى الفلسفة . فالفلسفة تحتاج الى نقطة بداية يتعمقها الفيلسوف ثم يعمم منها بعـد ذلك ما يشاء حتى يصل الى الميتافيزيقا الخالصة . فقد بدأ ديكارت بالكوجيتو ، وبسكال بالايمان ، وبرجسون بالاحساس أو التذكر أو التطور أو الايمان الباطنى ، ومين دى بيران بالجهد ، ورافيسون بالعادة ، وميرلوبونتى بالجسم والادراك الحسى . فذلك خير من أن أبدأ بالعـالم ولا أصل الى شىء . وأن أصعد الجبل من الوادى خير من أن أقفز فوق قمته من طائرة . تعلمت منـه مناهج البحث فى قاعات بحث الدراسات العليا والاعداد لامتحان المسـابقة (الاجرجاسيون) وكيفيـة كتابة البحث والقاء المحاضرة : المقـدمة ، أقسام الموضوع الثلاث ، الخاتمة ، الزمان ، الحدس ، النفى والاثبات ، اللغـة ، التأثير على الناس . تعلمت منـه المصالحة بين الاتجاهات المتعارضة ، والمقارنة بين الفلاسـفة على اختلاف مذاهبهم ، فهـو فيلسوف المجامع المسكونية ، والبحث عن الحد الادنى من الاتفاق

بين المذاهب Solvitur in Eccelsis ، ودعوة الفرق المسيحية الى الفرقة الام Le Christ Ecartlé وهو ما يوجد عندى فى صورة وحـدة العلوم الاسلامية ، والوحـدة الوطنية . تعلمت منه تاريخ الفلسفة الاوربية كلها ، بداية ونهاية ، مصادرا وأصولا ، فلسفة الطبيعـة وفلسفة الروح وفلسفة الوجـود ، مراحل الفكر الاوربى . تعلمت منه أفلاطون وأرسـطو ، وأوغسطين وتوما الاكوينى ، وبسـكال وليبنتز ، وبرجسون وبلوندل ، وكانط واسبينوزا ، وأدين له بتكوينى فى تاريخ الفلسفة الاوربية . تعلمت منه الانطولوجيا الغيانية وهى خلاصة فكره ، واكتشاف حقائق الوحى فى الطبيعة والوجـود وهو ما حاوله كل الوجوديين المؤمنين . عرفت أهميـة الوجود الزمانى ، والفكر والحياة ، والبناء والتطور ، والواقع والحس ، والوجـدان والذوق . وكان له أبلغ الاثر على وعيى بالحياة ، والانتقال من المثالية الى الواقعيـة ، ومن الفكر الى الوجـود . تعلمت منه المحاضرات العامة وكيفية مخاطبة الجماهير ليس فقط فى السربون بل فى ميدان السربون . فالفيلسوف هو القـادر على مخاطبة الخاصة والعامة ، دفاعا عن ايمان العوام وخلاصهم من مآسيهم . ومـع ذلـك فعلاقتى بالاستاذ علاقة أرسطو بأفلاطون ، وماركس بفيورباخ ، وفيورباخ بهيجل . أطوره من المثال الى الواقع ، ومن الروح الى الطبيعة ، ومن الوعى الفردى الى الوعى الاجتماعى ، ومن اليمين الى اليسـار ، ومن الدين الى الثورة ، ومن المغرب الى الشرق ، ومن المسيحية الى الاسلام . واستعمل النقد استعمالا سلبيا وهـو يريد المحافظة على قواعد الايمان ، أقيم لاهوت الثورة وهو يخشى أن يصبح ماركسية وعنفا وأن يدخل فى الايمان ما ليس منـه . أرجو ألا يكون قد خاب

ظنه فى • فالمدارس الفلسفية تتباين وتتطـور بالاختلاف وتموت وتنتهى بالاتفاق • لم أفارقه لحظة ، وفى كل مكان ، سمعته فى باريس أو وسط فرنسا أو فى روما وحتى الآن • لقد عرف طه حسين . وأتى الى مصر فى أوائل الثلاثينـات ، ورأى الاهـرام . ومكث فى ديـر الدومينيكان • وها هو يعود الى مصر بعد حوالى نصف قرن من خلالى • أطال الله فى عمر الاستاذ وجعلنى قادرا على تبليغ الرسالة الى أجيال قادمة من الطلاب(٧) •

رابعا : بداية الوعى بالحياة (١٩٦١ — ١٩٦٦) •

منذ بداية وعيى وكان احساسى بالحياة غامرا حتى فى اللعب فى المدارس الابتدائية • ومن هنا جاء اهتمامى بالفن ، الرسم أولا ثم الموسيقى ثانيا فى المدارس الثانوية • وكان احساسى بالدين هـو احساس بالحياة أثنـاء انتسابى لدعوة الاخوان • وكان مقال سيد قطب « الاسلام حركة ابداعية فى الفن والحياة » يعبر عمـا فى نفسى تماما • وربمـا كان اعجابى باقبال ، وبرجسون ، وجويو ، ونيتشة ، وفيما بعد دلتاى ، ودريش ، وهوسرل هو لانهم فلاسـفة حياة • وهذا من انصب فى النهاية فى علوم التفسير ابتداء من التجـربة الحية واعجابى بالرومانسيين الالمان الذين خرجوا من هيجل وضـده فى آن

---

(٧) تمت كتابة هذا الجزء عام ١٩٨٠ . وابتداء من الجزء القادم بعـد العزم على نشر هذه السيرة الذاتية فقد كتب فى أوائل يناير ١٩٨٩ • وابتداء من المسودات الاولى محافظا على نفس الروح ونفس الاسلوب .

واحد مثل شليرماخر وكيركجارد ، وكل مؤسسى الهرمنيطيقا المعاصرة(٨) .

كنت غارقا فى تاريخ الفلسفة من البداية الى النهاية ، أفلاطون وأرسطو . وكنت على ولع خاص بكبار الرافضين مثل اسبينوزا وكيركجارد . وبالرغم من وضوح اسبينوزا كنت تائها مع كيركجارد ، أشعر بلحمه وعظمه ولكنى لا أستطيع معرفة بدايته ونهايته . وكان اكتشافا للفلسفة الاوربية ، اسبينوزا فى « رسالة اللاهوت والسياسة » ثم برجسون أى الخلود والزمان . لذلك قال برجسون عن حق « لكل انسان فلسفتان ، فلسفته الخاصة وفلسفة اسبينوزا » . بعد ذلك انتظمت المذاهب الاوربية فى ذهنى فى مسلسل واحد ، ورأيت أنساب الفلاسفة فى اطار تصور شامل للوعى الاوربى .

وكانت قراءة أفلاطون وأرسطو بمستشفى الجامعة فى صيف ١٩٥٩ عندما بدأت شبهات السل نظرا لسوء التغذية على مدى ثلاثة أعوام ، وجبة واحدة كل يوم فى مطاعم الجامعة فى أول سنتين لضيق ذات اليد قسرا ولشراء النصوص الفلسفية اختيارا . لم يكن لى دخل عضو بعثة أو أجازة دراسية . ومع ذلك من دخلى المحدود عشت وكونت مكتبة فى النصوص الفلسفية وتاريخ الاديان والعلوم الانسانية(٩) . استغرقت قراءة مؤلفات هوسرل الكاملة بالالمانية عامى

---

(٨) يلاحظ فى بداية كل فترة من تطور الوعى وتكوينه نوع من الاستدراك على المراحل السابقة واكتشاف جذور هذه المرحلة وبداياتها فى المراحل السابقة لها أو كونها هى جذور للمراحل اللاحقة .

(٩)خرجت من مصر بعشرة جنيهات ، واقترضت ثمن تذكرة من مارسيليا الى باريس من سيدة فرنسية على الباخرة أرجعتها اليها فى ظرف عام .

=

١٩٥٩ — ١٩٦٠ وأنا بالبيت الالمانى بالمدينة الجامعية ؛ وكنت قد اشتريتها من هولندا ، مكتشفا عالم الشعور ومطبقا اياه بطريقة تلقائية طبيعية ، ومحولا الوقائع أمامى الى تجارب معاشة . ووجدت نفسى وما كنت أبحث عنه : رفض التجريد والصورية ، لذلك لم أستطع الاستمرار فى شعبة الرياضيات فى الثانوية العامة كى أكون مهندسا ، ويبدو أننى بدلا من أن أبنى المنازل والعمارات قد أعدت بناء العلوم القديمة وأصبحت مهندس آثار وترميم ، ورفض المادية الطبيعية ، لذلك لم أفهم من دروس الكيمياء والمعادلات شيئا وأنا فى الثانوية العامة أجرب بين الشعب حتى استقر بى المطاف فى شعبة الفلسفة

=
قضيت أول ليلة فى محطة مترو مونبرناس مع المتسولين والشحاذين . وثانى ليلة اردت ان اقضيها فى مسجد باريس فأخذنى فراش المسجد وسلمنى لجزائرى الذى اخذنى بدوره الى غرفة فى فندق من فنادق الجزائريين ، كل عشرة فى حجرة ، وكل اربعة على سرير لمدة شهرين حتى بدات اعطاء بعض الدروس بالعربية لهم او للطلبة الاجانب حتى يناير ١٩٥٨ . عندئذ كتب ماسنيون الى ادارة الثقافة بوزارة الخارجية الفرنسية عن هذا الطالب الجاد . ولما كانت العلاقة بين مصر وفرنسا مقطوعة فقد قررت لى نصف منحة (٢٠ جنيها) كانت فتحا لى . قطنت فى غرفة فى بدرون بجوار المدفئة الرئيسية لمنزل فى الحى السادس عشر حتى ١٩٥٨ . وبعد أن عادت العلاقات بين مصر وفرنسا عام ١٩٦٠ تحولت الى منحة (٤٠ جنيها) حتى عام ١٩٦٥ ثم اعانة من مصر (٢٠ جنيها) بعد زيارة المشير عبد الحكيم عامر الى باريس لمدة ستة اشهر . ولكن ابتداء من عام ١٩٥٩ عملت عدة ساعات اسبوعيا فى المكتبة الاهلية لتصنيف الدوريات . ومنها خرج أول عمل لى عن التصنيف الببليوجرافى للدوريات والذى طبعته المكتبة الاهلية فيما بعد . وكنت قد جمعت المادة أولا من القاهرة اثناء زيارتى لها فى صيف ١٩٦٠ . ثم عملت بمدرسة اللغات الشرقية فى الدروس المسائية لتعليم العربية حتى عام ١٩٦٦ واحيانا بالمدرسة الصباحية عامى ١٩٦٥ — ١٩٦٦. ومن هذا الدخل كله كونت مكتبتى .

والتى كنت أخشى من كونها شعبة آداب دون علوم • ويبدو أننى قد استطعت تحويل الآداب الى علم دقيق •

وقد كان تطور وعيى فى ذلك الوقت من الدين والصلاة فى المكتبة الاهلية بجوار دورة المياه الرخامية النظيفة فى ١٩٥٧ — ١٩٥٩ ثم من الدين الى المثالية الالمانية فى ١٩٥٩ — ١٩٦٠ • كانت المثالية بالنسبة لى هى الحقيقة • وكان الصراع فى السربون فى ذلك الوقت بين مركز « ريشيليو » : مركز الطلبة الكاثوليك وبين الطلبة الشيوعيين • كان الكاثوليك يعتنون بالطلبة الاجانب • لم يكن الهدف تحولهم عن دينهم ولو أن ذلك كان واردا ولكن استئناسهم والا وقعوا فريسة التيارات الهدامة وحتى يتم الاعجاب بالغرب المسيحى المتفهم للاسلام التقليدى الشائع فى قلوب الناس وحتى لا تطغى الثقافة الاوربية المادية الملحدة العقلانية على ايمان المسلمين ! كنت أرى أن كل من يتكلم عن الاسس الاجتماعية أو السياسية للظواهر الانسانية فهو مادى • ومرة كنت أسمع تحليلا لنشأة الاسلام من أحد الطلبة العرب من شمال افريقيا عن طبقة التجار وطبقة العبيد فكنت أرثى فى ذلك الوقت لحال الطلبة المسلمين الذين أفسدتهم الشيوعية لان الاسلام فى رأيى وقتئذ كان وحيا من عند الله • ولم أكن فى ذلك الوقت قد فهمت دلالة « أسباب النزول » وأنواع العلل المادية فى أصول الفقه أى الاسباب المادية لوقوع الاسلام وتطور التشريع •

ولكن عددا من تجارب الحياة اليومية جعلتنى أتحول من المثالية الى الحياة ، تجارب شخصية أدركت من خلالها أن المثالية ليست هى الحياة ، وأن الحياة أشمل وأعم • فلا أستطيع أن أحب الروح أو أن أعشق الوجود • لم أكن فى ذلك الوقت قادرا على عمل أى

شيء الا اذا كان لـــه أساس نظرى أولا • وبعد عديد من الصدمات ؛ بدأت بالبداية : العالم ، الحس ، الواقع ، الناس ، المرئى ، الملموس ، حب الاشياء العينية لا تجريدها • وكنت أتوغل أكثر فأكثر فى فلسفات العودة الى الاشياء ذاتها ، برجسون ، هوسرل ، هيدجر ، الاتحـــاد بالاشياء لادراك ماهياتها ، العيش مع الانسياء • واتضحت أبعـــاد فلسفة الوجود : الانســـان فى العالم ، الوجود الانسانى ، الواقعة الانسانية ، البدن ، الزمان ، الحياة ، الشـــعور ، الوجدان ، القلق والهم ، والحصر • كان « الوجود والزمان » لهيدجر يمثل لى شـــعر الطبيعة وميتافيزيقا الوجـــود • وكنت سعيدا للغاية بانتهاء مرحلة المثالية الى الواقعية ، هذا التحول الذى نشأ فى آخر ١٩٦٠ والذى بعده بدأت فى كتابة الصياغات الاولى لرسالتى الاولى « منـــاهج التفسير » والتى خرجت مقتضبة قصيرة النفس ، ممـــا دفعنى الى كتابتها ثانية بعدها بأربع سنوات بنفس أطول وبتحليل مضمون أعمق عام ١٩٦٤ •

أصبحت لحظتا الشعور الاوربى عند العقليين أولا « الانا أفكر » وعند الوجوديين ثانيا « الانا موجود » على مدى أربعة قرون متمثلة فى حياتى فى ثمان ســـنوات : المثالية العقلية فى ١٩٥٦ — ١٩٦٠ ، والحيـــاة والواقع والوجود فى ١٩٦١ — ١٩٦٦ • ولكنى ظللت أحافظ على تفاؤل المثالية ، وتركت تشاؤم الوجودية ، واحتفظت بالعقل ودوره فى المثالية ، وتركت اللامعقول فى الوجودية ، وأبقيت على الغائية فى المثالية ، وأسقطت العبث فى الجودية • وكان السؤال : كيف تقـــول الوجودية بالالتزام والوجود الانسانى كمشروع وفى نفس الوقت تقول باللامعقول وبالعبث ؟ كان العقل والواقع بالنسبة لى واجهتين

لعملة واحدة . ولشد ما فرحت عندما وجدت ذلك فى أحـد فصـول الجزء الاول من « الافكار » عند هوسرل . ولما كنت خارجا من تراث دينى بؤرته الوحى ، اكتملت لدى وحدة الوحى والعقـل والواقع ، وأصبح آخر فصول رسالتى الاولى عن « مناهج التفسير » والذى بعده بدأت أكتب وأترجم لاعمال فى دين العقل (كانط) ودين الطبيعة (لسنج) .

كنت أقرب الى وحدة الوجود فى ذلك الوقت ولكن بالمعنى الذاتى الارادى كما هـو الحال عند غشتة وليس بالمعنى المجرد عند شلنج . كنت أقرأ وأعيش ، أعقل وأنفعل . وقد تجلى ذلك فى رحلاتى الى كل بلاد أوربا باحثا عن آثار الشعراء والادباء والفلاسفة . وكان تعرفى على الاصدقاء ، أتعلم منهم ، أؤثر فيهم ويؤثرون فى . تعلمت من التجارب روح الكتب ومن الحياة معانى النصوص . كنت أشـعر بحياة الشعراء ، شيلر ، وجوته ، والموسيقيين وعلى رأسهم بيتهوفن الذى لم تكن صورته تفارقنى وهو يقود الاوركسترا ناكثا شـعره وتحتها عبارة بخط يدى « عمر بن الخطاب » . كانت الرومانسية وحتى الآن بالنسبة لى هى التقاء المثالية والوجودية ، ونقطـة التقاء بين الوعى والحياة . أردت أن أكون موسيقيا فى البداية ، فأنا من أسرة موسيقية ، وكنت أريد أن أكون مؤلفا حتى أحرك مشاعر النـاس بمارسيلييز جديد . ولما كان « المعهد العالى للموسيقى » أقرب الى تخريج أساتذة للموسيقى أو عازفين فاننى أجلت ذلك حتى فرنسا . وهناك كنت فى معهد الموسيقى بالصباح ، وفى الجامعة بعد الظهر ، وفى المساء كان على اما أن أعزف واما أن أقرأ . ومتى أألف السمفونيات ؟ ومتى أكتب رسائلى الفلسفية ؟ وبعد عامين دخلت المستشفى باشتباه

السل • وكانت نصيحة الاطباء على أن أختار بين احــدى المهنتين : الموسيقى أم الفلسفة • ولما كان اللحن قد أصبح بالنسبة لى جمالا دون فكر ، وكانت الفلسفة فكرا دون جمال ، وجدت فى الفلسفة الرومانسية عند هيجل وفشتة وشلنج وكيركجارد وبرجسون خاصة وحدة الجمال والفكر • وهو ما أنا عليه الآن • أحيانا يصيبنى الندم كلما استمعت الى بيتهوفن أو حضرت حفلات الموسيقى العربية أو الكلاسيكية بأننى ربما قد أسأت الاختيار • وأحيانا أرضى وأقول : ولكن فيم الاسى وأنا أغنى الفلسفة • وأعمالى أقرب الى الوجدانيات منها الى التحــليل العقلى الرياضى أو العلمى الطبيعى الدقيق • وبعــد صدور « من العقيدة الى الثورة » وجدته عن حق سمفونية خماسية الحركات • أما « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » فانها مجرد ثمانية كونشرتات متنوعة •

كانت المعرفة لدى تأتى من التجارب المعاشة • وكان اللمس يؤدى دور الحدس المباشر • وكانت النظرة تثير من المعانى قــدر الصفحات الرائعة التى كتبها سارتر عن النظرة فى « الوجود والعدم » • كان الحب والاعجاب ، والنجاح والفشل ، والفرح والحزن ، كان كل شىء يتحول فى شعورى الى معنى • أصبحت أعيش فى عالم من المعانى من خلال التجارب • كنت ظاهراتيا بالميلاد • كانت الفلسفة عندى طبيعة وعملا فى كل لحظة • كنت أشــبه نفسى بصاحب المعمل المتنقل والذى يحمل آلاته ومخبارته بين جنبيه فى مقابل عالم الطبيعة صاحب المعمل الثابت والمخبر الساكن • كنت أعمل فى الزمان فى مقابل عالم الطبيعة الذى يعمل فى المكان • كان عالمى بين جنبى أصاحبه أينما حللت •

وقـــد ساعدنى على ذلك سكناى فى المدينة الجامعيـــة معظم السنوات(١٠) • كنت أعيش حياة الطلاب بين الشعر والثورة ، العلم والحياة ، العقل والبدن ، الفلسفة والفن ، المعنى والتجربة • وقد تأثرت بهم كثيرا فى حياتى العامة وحياتى الخاصة • وفى شهور الصيف كنت أجوب أنحـــاء أوربا وفى معظم الوقت على دراجة خاصة فى ألمانيـــا والبلاد الواطئة وأقضى الليل فى بيوت الشباب • عرفت الغرب فكـــرا وواقعا ، حضـــارة وشعبا ، وأنا أعد نفسى لتأسيس علم جديد وهو علم « الاستغراب » •

ولما كنت قد درست « النقد التاريخى للكتب المقدسه » وأنا أكتب الجزء الثانى من رسالتى الثانية « ظاهريات التفسير ، محاولة لتفسير وجودى ابتداء من العهد الجديد » وكنت على علم بكل آية فى الاناجيل

---

(١٠) بعد أول ليـــلة لى فى مونبرناس ١٨/١٠/١٩٥٦ تم سكنى مـــع الجزائريين لمدة شهر او شهرين فى الحى العشرين ثم لمدة شهرين لدى اسرة فرنسية فى الحى الثامن (محطة شارون Charonne) والتى بحجرتها جاء حدسى الثلاثى عن الوعى التاريخى والوعى التأملى والوعى العملى وانا أدرس علم اصول الفقه وهى الاقسام الثلاثة لرسالتى الاولى « مناهج التفسير ، محاولة لاعادة بناء علم اصول الفقه » ثم فى حجرة فوق السطح لمدة شهرين فى الحى الثالث عشر (محطة اليزيا Alésia) بعدها طردنى صاحب المنزل لما طردت مصر أخاه بعد تمصير الشركات الاجنبية بعـــد التأميم ، ثم لمدة عامين تقريبا فى الحى السادس عشر فى حجرة تدفئة الفحم (محطة موليير - Molière) ثم أربعة أعوام ١٩٥٩ — ١٩٦٣ فى المدينة الجامعية بالحى الثالث عشر (محطة المدينة الجامعية Cité Universitaire . عام فى منزل الولايات المتحدة وثلاثة أعوام فى منزل ألمانيا ، ثم عامين فى منزل الطلبة الرياضيين ١٩٦٤ — ١٩٦٥ بالحى الخامس (محطة بور رويال Port - Royal) ثم العام الاخير ١٩٦٦ فى حجرة فوق السطح فى الحى الثالث عشر (محطة دانفر روشيرو Danfert - Roucherot) .

كيف تكونت وعن أى عقيدة تعبر وأنا فى ذلــك أثبت النظريات القرآنية عن التغيير والتحريف والتبديل اعتمادا على علم النقد الحديث وكما فعل ابن حزم والغزالى وابن تيمية ابتداء من علم النقد القديم ؛ قدمنى جان جيتون Jean Guitton الى بولس السادس بابا روما فى ذلك الوقت ودعاني الى حضور الدورة الرابعة عام ١٩٦٤ للمجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى الذى عقد بمبادرة من يوحنا الثالث والعشرين عام ١٩٦١ • ورأيت نفسى بين آلاف من الكرادلة باللباس الاقحوانى فى كنيسة القديس بطرس وهم يصوتون على عقائد ونصوص لا يعلمون كيف نشأت وتكونت ودونت • ووجدت أن حول كل منهم خبراء فى النقد التاريخى من أساتذة الجامعات والباحثين العلمانيين أو الرهبان يمدونهم بما يصوتون عليه • وكثيرا ما كنت أشــعر بخطأ التصويت مثل ذلك الذى تم حول « الرهبنة » والكنيسة والذى ورد فى متى (١٦ : ١٧ — ١٩) • ولما كنت أناقش بعض الكرادلة على أنه لو كان الامر بيدى لصوت على نحو آخر ، قالوا : لا تستطيع ، فنحن لدينا الروح القدس وهى التى تصــوت فينا ، وهى معصومة من الخطأ • أما أنت فبالرغم من علمك فانك قد تخطىء • هنا أدركت الفرق بين الهوى والعقل : بين الايمان والعلم • واعتززت بنفسى عالما • وفى الوقت الذى أشــعر فيه بأى تعارض بين اللاهوت والعلم فانى أوثر العلم • وكما قال القدماء العقل أساس النقل • ومن يقدح فى العقل فانه يقدح فى النقل •

كانت الرحلة الى روما عام ١٩٦٤ بمثابة اعلان العودة النهائية الى أرض الوطن • فقد أحسست بأن نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى قــد حانت • كنت أرى مراحل تطورى بوضوح تام • وقد آن وقت

الرحيل . وقبل المناقشة بأيام كنت أسير فى شوارع الحى اللاتينى، وكأنى أودعه ، ولست جالسا على مكتبى . وكانت مناقشة رسـالة بمعنى رسالة أى قضية ورأى ، وأنا أعلن بداية وعى جديد فى « مناهـج التفسير » ونهاية وعى قديم فى « من تفسير الظاهريات الى ظاهريات التفسير » ، وأعلن فى سرى عن بداية الشرق ومصر فى مركزه ونهـاية الغرب . وقد شعر رئيس اللجنة بخبثى ، وأراد أن يرد الى الطعنـة فقال : هل تسمح جامعاتكم بمثل هذه الحرية التى تنعم بهـا الآن فى هذه الجامعة ؟ لم أرد لانى كنت على وعى بأن ذلك الحوار انمـا يدل على صراع تاريخى طويل بين الانا والآخر لا يحسـمه جدال قولى على منصة خارج الوطن .

ثم جاءت مشكلة نقل مكتبتى . فقد طرت فى أغسطس ١٩٦٦ الى القاهرة مع وفد مؤتمر المبعوثين الى الاسكندرية ، وتركت مكتبتى ورائى . يكفنى اننى كونتها وعلى الدولة نقلها . ليس لى عربة أريد اعفاء من جماركها ولكن لى مكتبة أريد الدولة أن تساعد فى نقلها . وقد تم ذلك بالفعل ، ووصلت مكتبتى بحرا بعد وصولى بستة أشهر وأنا لا أكاد أصدق عينى أن مرحلة قد انتهت وأن مرحلة أخرى قـد بدأت . انتهى الجهاد الاصغر . وبدأ الجهاد الاكبر .

خامسا : بداية الوعى السياسى (١٩٦٧ — ١٩٧١) .

لم أعمل بالسياسة عملا مباشرا بل كان مدخلى لها منذ البداية أما تحرير فلسطين فى ١٩٤٨ وأنا فى الثالثة عشر أو كفاحا ضد الانجليز فى قناة السويس فى ١٩٥١ أو نقدا للفساد الحزبى ولانحلال الملـك وللاستعمار . وبعد اندلاع الثورة فى ١٩٥٢ شعرت ببداية عصر جديد

من الكرامة الوطنيــة ووحدة أراضى الامة ، العربية أو الاسلامية ؛ وتحرير أراضى المسلمين فى « حفنى » بالمغرب ، والظهران بالسعودية . وحيدر أباد بالهند ، وكشمير بباكستان • وكان اغراقى فى الفكــر وحماسى للحضارة هو السياسة عندى حتى تأميم القناة فى ١٩٥٦ ثم ثورة يوليو فى العراق فى ١٩٥٨ . ورؤية ناصر جديد فى عبد السلام عارف ، وثورة الشعب اللبنانى فى ١٩٥٨ ، ووحدة مصر وسوريا فى ١٩٥٨ — ١٩٦١ لتحقيق الوحدة الثورية فى المنطقة • وكان وعيى بالثورة والوحدة أسبق من وعيى بالتغير الاجتماعى •

ولكن حدث أن زار المشير (عبد الحكيم عامر) باريس فى ١٩٦٥ • فأعدت لافتات الترحاب ، ودبجت خطب المدح والثناء ، وأتت الوفود من جميع بلاد أوربا ممثلة للطلاب المصريين الدارسين فى الخــارج لتحيته • وكنت أرى النفاق مجسدا فى هذا المشهد ، وقد راجع السفير بنفسه الخطب قبل القائها • ومنذ البداية ، أخذت الميكروفون ، وبدافع من الصدق التام سألته عن حوادث التعذيب فى مصر للاخوان ، وعن الاتحاد الاشتراكى الذى بلغ عدده أكثر من مليون ، وعمن يلتفون حول الرئيس ويمنعون الاتصال بينه وبين الشعب ، ويزيفون لــه المعلومات • حاول الرد ، ولكن كانت الاسئلة الثلاثة فاتحة بركان • فطويت أعــلام الترحيب ، ووضعب الخطب المنمقة فى الجيوب ، وانطلق ممثلو الطلاب فى تحليل الاوضاع فى مصر ونقد الثورة وما آلت اليه : الحرية ، أجهــزة الاعلام ، البيروقراطية ، الفساد ، الطبقات الجديدة ، الاثراء على حساب الثورة • وكان رئيس الوزراء (د• محمود فوزى) مبتسما وهو يسمع ، يشعر أن مصر مازالت بخير مادام فيها هؤلاء • الشباب • استدعى المشير أحد الصحفيين للدفاع عن الثورة بأننا أهل

نظر ولسنا أهل ممارسة ، وأن الثورة حدث فى تاريخ • غادر المشير بعدها ، وأخبر الرئيس بأنا لسنا على وعى بما يدور فى مجتمعنا ، وأننا ليست لدينا معلومات كافية عن الانجازات الثورية • وبالتالى لابد من استدعاء الطلبة الى مصر فى صيف ١٩٦٦ حتى يرون مصر بأعينهم بعد ما طال غيابهم •

•بدأت الانتخابات فى عواصم الدول الاوربية لتمثيل الطلاب • وبدأنا فى فرنسا • وظهر لاول مرة اتجاهان رئيسيان فى البلاد : التقدم والمحافظة أو اليسار واليمين أو المعارضة والسلطة • ونجح اثنا عشر ، منهم ثمانية من التقدميين • وقمنا باعداد ملف كامل لمؤتمر المبعوثين ، دراسات عن الجامعة والسياسة والاقتصاد والاجتماع والاجور • كان بحثى حول « الاصلاح الجامعى »(١١) • وكنا فى هذا العام قد بدأنا نشاطا طلابيا مستقلا عن السفارة ، محاضرات وندوات ، مع التنسيق مع الاتحادات الطلابية العربية • وكان أكبرها اتحاد الطلبة المسلمين بشمال افريقيا • كانت السفارة تريد السيطرة على النشاط ، وكنا نبغى الاستقلال التام • كانت تأتى الوفود أو يأتى الزوار من مصر فى مهام رسمية • وكنا نريد مقابلتهم مع جماهير الطلاب ، وكانت السفارة تريد فقط ممثلى الطلاب حتى يمكن احتواءهم وحتى لا تظهر القواعد الشعبية بثقلها ومعارضتها • بدأ وعيى السياسى ، واتضحت اتجاهاتى الاسلامية الثورية • ولكن بدأت أخطائى أيضا فى الحديث • كنت أستعمل « قال الله » و « قال

---

(١١) انظر الجزء الاول « الدين والثقافة الوطنية » ، الاصلاح الجامعى ص ٢٠٩ — ٢٢٣ •

الرسول » ، وأعتمد فى نقد التبذير فى الدولة خاصة فى الخارجية على ما كنا نرى فى حياة الموظفين فى السفارة ابتداء من السفير حتى الفراش. على عمر بن الخطاب النائم تحت جذع شجرة ، خفه تحت رأسه ، دون قصر أو سيارة وقول رسول فارس له « حكمت . فعدلت ، فأمنت . فنمت » . فما كان من الوزير الزائر القادم من مصر الا أن ربت على كتف السفير قائلا : اذن سنختار له شجرة فى باريس ينام تحتها . ضج الجميع بالضحك ، وخسرت المعركة بسبب عدم وجود منهج محكم عندى . فى حين قام زملائى طلبة الاقتصاد والسياسة ، وأساتذة اليوم ومن قادة المعارضة بعرض نظرية الاجور ، وسياسة مضاعفة الانتاج القومى بالارقام والاحصائيات(١٢) . أدركت أن الوعى الثورى عن طريق الامثلة التاريخية والقدوة الحسنة أقل بكثير من الوعى الثورى القائم على العلوم السياسية والاجتماعية . تعلمت أولا عن طريق المحاولة والخطأ فى أشكال التعبير . ولكن كان الوقت متأخرا للتعليم الدقيق واعادة الاختيار بين الفلسفة والعلوم الانسانية . وظلت الفلسفة مهنتى ، والسياسة هوايتى .

وبعد رجوعى بدأ تعيينى بالجامعة . وقد استغرق عاما بأكمله انتظارا لتوفير درجة بجامعة القاهرة لان الامر كان يتطلب لنقل درجة من قسم الى قسم موافقة وزير المالية ! كنت قد غادرت الجامعة بمجلس تأديب غاضبا فى ١٩٥٦ ، وعدت اليها بعد عشر سنوات أستاذا

---

(١٢) هو زميلى وصديقى د. حسام عيسى ، استاذ الاقتصاد بكلية الحقوق جامعة عين شمس وعضو اللجنة المركزية للحزب الناصرى (تحت التأسيس) .

بعد رفضى تعيينى فى جامعة أخرى ليس لى بها ذكريات • فلم يكن المكان أو الحوائط أو البشر يوحى الى بشىء •

وبدأت الاعداد لمشروع « التراث والتجديد » ، وبدأت بالكتابة فى مناهج الدراسة للفلسفة الاسلامية وهى الازمة التى عشتها فى الجامعة وانفرجت أثناء دراستى فى باريس • بدأت فى اعداد بحث لاحياء التراث واعادة بناء علومه كما فعل هوسرل لاحياء الفلسفة الاوربية واعادة بناء علومها • ولكن تدريسى للفلسفة المسيحية فى عامى الجامعى الاول ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وعدم وجود نصوص بها جعلنى أخصص عام ١٩٦٧ كله لاعداد نصوص مختارة من الفكر الغربى فى العصر الوسيط • فأصدرت « نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط » لاعطى نماذج من الفكر الدينى على إختلاف أنواعها كى نقضى على أحادية الطرف فى فكرنا الدينى • فالله يشرق فى النفس كما هو الحال عند القديس أوغسطين والصوفية بوجه عام ، أو هو ماهية الكمال كما هو الحال عند القديس أنسيلم أو هو وجود كما هو الحال عند توما الاكوينى(١٣) • وهو أيضا مطلب انسانى كما هو الحال فى العصور الحديثة عند كانط وفشتة ، وقانون تاريخى عند هردر • فالتصورات

---

(١٣) « نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط » المعلم (الأوغسطين) ، الايمان باحثا عن العقل (لانسليم) ، الوجود والماهية (لتوما الاكوينى) الطبعة الاولى ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ • ويرجع الفضل الى المرحوم الاستاذ الدكتور على سامى النشار بتقديمى الى دار الكتب الجامعية بالاسكندرية •

الدينية مختلفة متباينة ، كلها اجتهادات انسانية تدل على روح العصر، يساهم فى صياغتها الفكر الدينى •

ثم عدت من جديد الى مشروع « التراث والتجديد » لاكتب البيان النظرى الاول الذى نشر فيما بعد عام ١٩٨٠ بعنوان « التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم » كخطة بحث يساعد فى تدريسى لمواد الفلسفة الاسلامية التى كنت أقوم بها فى هـذه الفترة ١٩٦٧ — ١٩٧١ وكى أعرض بالعربية أهم النتائج التى توصلت اليها فى « مناهج التفسير « بالفرنسية والذى حاولت فيه اعادة بناء علم أصول الفقه واكتشاف نظرية الشعور الثلاثى : الشعور التاريخى ، والشعور التأملى ، والشعور العملى من أجل اعادة بناء الحضارة الاسلامية على مستوى الشعور ، واكتشاف الذاتية وتغيير محاورها وبؤرها بدلا من أن تكون مركزة حول الله تكون مركزة حول الانسان(١٤) • بدأت المحاولة بهذه المقدمات النظرية عن « التراث والتجديد » منذ رجوعى من فرنسا فى صيف ١٩٦٦ فكتبت أزمة الدراسات الاسلامية مستعينا بما كتب فى مقدمة الرسالة عن نقد النزعة العلمية فى الاستشراق والنعرة الخطابية عند الباحثين العرب واضعا أسس منهج تحليل الخبرات حتى يتطابق النص مع التجربة ، المنهج النازل والمنهج الصاعد أى « التنزيل » و « التأويل » •

---

(١٤) كنت قد عرفت الشعور التاريخى (الاخبار) والشعور التأملى (مباحث الالفاظ والعلل) ثم جاءنى حدس الشعور العملى وأنا مستلقى فى أحد ايام الاحد فى يناير ١٩٥٧ وأنا أركز جهدى فى موضوع أين أضع الاحكام الشرعية ؟

ثم وقعت على هزيمة ١٩٦٧ وقع الصاعقة ، ورأيت كل شيء ينهار ، والحلم يجهض ، ورأيت نفسي عاريا من أى فكر ، ورأيت عرض الامة مستباحا . فما كان يعقل والمنزل يحترق الا أن أساهم فى اطفاء النار . ولينتظر التاريخ حتى يمكن استرداد اللحظة الراهنة . والسير أميالا يقتضى أولا السير خطوة . وماذا يعنى الاعـداد للمستقبل ونحن بلا حاضر ؟ وهنا توقف مشروع « التراث والتجديد » مرة ثانيـة ، اليوم أمر ، وغدا أمر آخر . وبدأت سلسلة من المقالات الشهرية فى « الفكر المعاصر » و « الكاتب » أحاول بها أن أساعد الامة على عبور الهزيمة ، عن رسالة الفكر ، ودور المفكر فى البلاد النامية ، وموقفنا الحضارى ، والاصالة والمعاصرة ، والاصـالة والتقليد ، والافغـانى ، والترديد والتجديد فى الفكر الدينى ، والتفكير الدينى وازدواجية الشخصية ، ونظرية التفسير ، والايديولوجية والدين ، واللامبالاة ، والقرف ، ورسالة الجامعة ، ومناهج التدريس ، والطلبة والعمل الوطنى ، والشـعب ومؤسساته ، والفـلاح والامثال العامية ، والدين والثورة عند كاميلو توريز فى أمريكا اللاتينية . وكان ذلك كله حول تحديد « الانا » ! لماذا انهارت وكيف تنهض من جديد ؟ وكانت هنـاك مقالات أخـرى لتحديد « الآخر » ، لماذا انتصر علينا وكيف يمكن مقاومته ؟ مثل : موقفنا من التراث الغربى ، أزمة العقل أم انتصار العقل ؟ وضربت نماذج من فلسفة التنوير عند اسبينوزا وفولتير وكانط ، وحاولت نقل هيجل الى حياتنا المعاصرة ، مدافعا عنه لعله يستطيع أن ينقذ الروح والتاريخ والدولة . وعرضت الظاهريات منهجا وفلسفة ، فردا وجماعة لابين أهمية الذاتية لنا عائدا الى اقبال وفى نفس الوقت معلنا بداية الوعى الاوربى ونهايته . وبينت اليمين واليسار فى الفكر الغربى ضاربا

أمثلة من ياسبرز وأونامونو وماركوز • وقد تم جمع ذلك كله عامى ١٩٧٦ — ١٩٧٧ فى جزئين « فى فكرنا المعاصر » و « فى الفكر الغربى المعاصر » واضعا أسس الجدل بين الانا والآخر(١٥) •

واذا غلبت على مجموعة مجلة « الفكر المعاصر » الطابع الفردى ، مناقشة رئيس التحرير للكاتب فيما يكتب ، الا أن مجموعة « الكاتب » غلب عليها الطابع الجماعى • فقد كانت تعقد اجتماعا أول كل شهر لمناقشة العدد الصادر فى نفس اليوم ونقده والاعداد لعدد الشهر القادم وتخطيطه • وكانت مدرسة تعلمت منها التحليل السياسى • وقد استغرق العمل فى المجلتين معا على مدى سنتين أو أكثر حتى استهلكت وكررت نفسى ، ولكنها كانت شهادتى الاولى على عصرى بعد الهزيمة لمعرفة أسبابها والبحث عن مقومات النصر اعتمادا على التنظير المباشر للواقع • ازداد وعيى بمسؤولية المعارك اليومية والنضال المباشر من أجل تحليل أسباب الهزيمة ، وتقوية روح الصمود ، تحليلا للوعى القومى وأخذ موقف بالنسبة للغرب • وكان ذلك أيضا هو لب مشروع « التراث والتجديد » بجبهاته الثلاث : موقفنا من التراث القديم وهو

---

(١٥) « قضايا معاصرة » ، الجزء الاول « فى فكرنا المعاصر » ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧ ، الجزء الثانى « فى الفكر الغربى المعاصر » الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٨ . وقد قدمنى للدار أخى وصديقى د. أبو زيد رضوان أستاذ القانون التجارى بكلية الحقوق ، جامعة عين شمس •

« الانا » ، وموقفنا من التراث الغربى وهو « الآخر » ، وموقفنا من الواقع بما فيه من هزيمة ونصر وتفسيرنا للنصوص •

ومن أجل الاستقرار ، ظنا منى أن العمل الفلسفى قادر على أن يساعد الانســان على أن يؤسس أسرة أو يقيم منزلا قمت بترجمة « رسالة فى اللاهوت والسياسة » لاسبينوزا ، وفى نفس الوقت لاعطاء نمودج لعمل العقل فى الدين والسياسة واكتشاف التواطؤ بين السلطتين ولاثبات أن حرية الفكر ليست خطرا على التقــوى ولا على سلامة الدولة بل ان القضاء على حرية الفكــر فيه تهديد للتقوى ولسلامة الدولة ، ولتأسيس علم النقــد التاريخى للكتب المقدســة ، ورفض الثيوقراطية ، والاعلان عن الامل المنشود : مواطن حر فى دولة حرة • وقــد كان من نتيجة النقد الذاتى بعد الهزيمة هــو الدعوة لاقامة مجتمعاتنا على العقل والعلم ، وكان اسبينوزا خير مساعد على ذلــك • واستمر ذلك طوال عام ١٩٦٨!(١٦) • فالترجمة عندى عمل هادف ، تأليف غير مباشر كما كان الحــال عند المترجمين القدماء عن اليونان • وقد اتبعت الاسلوب غير المباشر نظرا لما نحن فيه من عدم تعود على نقــد الموروث أو نقد الواقع أو تحليل الوجدان القومى ، ونظــرا لسيطرة المحرمات الثلاث : الدين ، والسلطة ، والجنس ، واستمرار الرقابة على الفكر(١٧) • كــان الاجدى أولا تمهيد وجداننا القومى

---

(١٦) اسبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، الطبعة الاولى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، الانجـلو المصرية • القاهرة ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ •

(١٧) الجزء الاول : الدين والثقافة الوطنية ، المحرمات الثلاث ص ٢٦٧ — ٢٦٩ •

واعداده بالترجمات الهادفة واختيار النصوص الفلسفية التى تساهم فى حل مشاكلنا القومية والتى تقع مسؤوليتها على الفلاسفة أنفسهم • وما على الرسول الا البلاغ ، وناقل الكفر ليس بكافر • واذا كان جيل سابق قد نقل ديكارت لان العقل هو أعدل الاشياء قسمة بين الناس ، فجيلنا ينقل اسبينوزا لبيان كيفية اعمال العقل فى الاستثناءات التى تركها ديكارت خارج الشك مثل العقائد ، والكتب المقدسة ، ورجال الدين والكهنوت ، والعادات والتقاليد ونظم الحكم كى نعلم ماذا يكون عليه حال الامة اذا ما وجه العقل حياتها الخاصة والعامة •

ولما اكتشفت دور الافكار فى تغيير حياة الشعوب ، وكنت قد استهلكت فى هذه الشهادات الآنية على العصر ، وبدأ التكرار يظهر فى تحليلاتى ، فالخارج أكثر من الداخل ، والكتابة أكثر من القراءة ، وقبل أن يفرغ الخزان ، انقطعت عن الكتابة عام ١٩٧١ ، وعكفت على قراءة ماركس الشاب والهيجليين اليساريين ، استعدادا لمرحلة قادمة(١٨) • وفى هذه المرحلة لم تكن لى أية ممارسة سياسية حزبية أو خلافها • كان كل نشاطى فى التعليم والتثقيف من داخل الجامعة ومن خلال المقال الشهرى • كان وعيى السياسى الذى تكون فى هذه الفترة وعيا سياسيا فلسفيا خالصا يقوم على تحليل التجارب الحية ووصف ماهياتها • كنت مثاليا بهذا المعنى وواقعيا بمعنى آخر • وبدأت بعض الشبهات فى ذلك الوقت ، ولكن استطاعت الجامعة أن

---

(١٨) كانت ملاحظة التكرار من أ. د. جمال حمدان •

تضعها فى حدودها(١٩) • ومع ذلك فقد آثرت الرحيل بعض الوقت حتى تخف الشبهات ، وتموت الشائعات ، وتنتهى الاقاويل • فغادرت فى سبتمبر ١٩٧١ الى الولايات المتحدة أستاذا زائرا كى تنتهى مرحلة وتبدأ مرحلة أخرى •

سادسا : بداية الدين الثورى (١٩٧٢ — ١٩٧٥) •

وفى الولايات المتحدة الامريكية بدأت التعرف على الدين الثورى الذى كنت أقوم بتأسيسه تلقائيا ودون اطلاع على الاسهامات الاخرى فيه • قرأت « لاهوت الثورة » و « لاهوت التحرر » و « لاهــوت التقدم » و « اللاهوت العلمانى » و « اللاهوت السياسى ، « لاهوت موت الاله » و « لاهوت الالم » ••• الخ • وكنت قد تعرفت على بعض منه فى أمريكا اللاتينية وحركة الرهبان الشبان أو يسار الكنيسة فى لوفان ببلجيكا أثناء زيارتى لجامعة لوفان أستاذا زائرا فى أكتوبر ١٩٧٠ ، ورأيت صور كاميلو توريز وجيفارا فى أروقة الجامعة ترفعها اتحادات الطلاب • وقد أحضرت معى أعمال توريز الكاملة ، وكتبت دراستى عن «كاميلو توريز ، القديس الثائر» محللا أعماله والتركيز على أن الثورة أمر مسيحى ، وتأسيس علم الاجتماع الوطنى ، والتحليل الطبقى ، والتخطيط ، والعنف والتغير الاجتماعى ، والثقافة والوعى

---

(١٩) استدعانى أ د. مرسى أحمد رئيس الجامعة فى ذلك الوقت لابلاغى بأن محاضراتى مسجلة فى قسم شرطة الدقى ولديه نسخ منها وأنه قد لا يستطيع حمايتى لو استمر الامر على هذا الحال . والافضل أن اصمت بعض الوقت ، وأن أقبل دعوتى أستاذا زائرا بالولايات المتحدة . وهى نفس الرسالة التى تم ابلاغى بها بعد عشر سنوات عام ١٩٨٠ من أ د. ابراهيم بدران خلال د. عبد الملك عودة بالامتناع عن اعطاء أية تصريحات صحفية على الاقل حتى تتم ترقيتى .

الطبقى ، والدين والثورة ، ووحدة القوى الثورية(٢٠) • وعرفت جواتيريز Guatirez ، وكامارا H. V. Camara ••• الخ • ومازالت أتابع هذا الفرع فى اللاهوت المسيحى حتى بوف Boff • وقد بلغت أهمية التيار الى حد تخصيص قسم كبير من المكتبات العامة والمكتبات التجارية للاهوت التحرر مع اللاهوت العقائدى واللاهوت الاخلاقى • بل لقد تأسست دوران للنشر خاصة لذلك الاولى فى فرنسا والثانية فى أمريكا من الرهبان الذين عاشوا فى العالم الثالث وعادوا الى الغرب كى يعبروا عن مأساة شعوبه باسم الله(٢١) • فاللاهوت أيضا تعبير انسانى عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمستوى الحضارى للشعوب • ولقد عرفت مؤلفاتى منذ ثلاثية الشباب حتى الآن بأنها أول محاولة لتأسيس لاهوت التحرر فى الاسلام • وقد أخذت محور رسالة دكتوراة لاحد الاساتذة الهولنديين فى جامعة أمستردام الحرة عام ١٩٨٤ بعنوان « تحرير الانسان من وجهة النظر الاسلامية ، محمد عزيز الحبابى ، حسن حنفى فيلسوفان من العالم العربى الاسلامى »(٢٢) • ورسالة أخرى فى الجامعة الاردنية بعنوان « التراث ، الغرب ، الثورة ، بحث حول الاصالة والمعاصرة فى فكر حسن

---

(٢٠) « كاميلو توريز ، القديس الثائر » ، قضايا معاصرة ، الجزء الاول « فى فكرنا المعاصر » ص ٢٨١ — ٣١٨ ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ •

(٢١) فى فرنسا دار نشر لوفان (الريح) Le Vent وفى امريكا دار نشر أورييس (دورات الافلاك) Orbis ، نيويورك •

(٢٢) Mareen Van den Boom : Bevrijding Van de Men in Islamitisch Perspectief, Vu uitgeverij, Amesterdam, 1984.

حنفى »(٢٣) ، وكتاب آخر فى تونس بعنوان « ظاهرة اليسار الاسلامى »(٢٤) • ومازلت أعزم على اخراج دراسة عن « لاهوت التحرر » هدية لاخوتنا أقباط مصر حتى أشارك فى اعلامهم بآخر تطورات اللاهوت المسيحى • فمأساة التقليد فى المجتمعات النامية واحدة بصرف النظر عن الدين ، وكأن الدين الشعبى هو الذى يوحد الاديان جميعا •

كما تعرفت فى الولايات المتحدة على اليهوديات ، وكنت قد أجلتها الى حين أثناء دراستى فى فرنسا حين الانشغال بالمسيحيات أساسا • ولم يكن ذلك الامر ببعيد أيضا عن « لاهوت التحرر » نظرا لان الصهيونية تحرر مضاد ، أو تحرر سياسى لطائفة على حساب طائفة أخرى ، ودرست التيارات اليهودية المعاصرة،الاصلاحية والارثوذكسية• فالصهيونية ما هى الا أحد التيارات من ثلاث فى اليهودية المعاصرة وتمتد جذورها فى اليهودية القديمة • بل ان الصهيونية السياسية « هرتزل » ما هى الا تطوير للصهيونية الروحية « الخالى » • ومازالت عينى على الصهيونية الآن وهى تراجع نفسها(٢٥) • بل ان مشروع « التراث والتجديد » كله انما تمت صياغته فى أتون معركة

---

(٢٣) ناهض حتر : التراث ، الغرب ، الثورة ، بحث حول الاصالة والمعاصرة فى فكر حسن حنفى ، عمان ١٩٨٦ .

(٢٤) محسن الميلى : ظاهرة اليسار الاسلامى ، تونس ، ١٩٨٣ .

(٢٥) لذلك شمل الجزء الثالث « الدين والنضال الوطنى » موضوع الصهيونية مثل : الجذور التاريخية للغزو الصهيونى فى التراث الاسلامى ، هل يجوز شرعا الصلح مع بنى اسرائيل ؟ عبد الناصر وقضية الصلح مع اسرائيل ، مخاطر السلام ، لا مفر من الصمود والحوار ، قبل الانتفاضة وبعدها ... الخ .

تحرير الارض • وانشاء « لاهوت الارض » انما هو صياغة صهيونية مضادة ومقابلة « لاهوت الارض » و « لاهوت الاختيار » وما به من ميثاق ووعد وشعب بلاهوت أرض آخر يقـــوم على قطع الميثاق وجعله عاما فرديا تعاقديا أخلاقيا • لذلك ابرز دائما كحجج نقليـــة « اله السموات والارض » ، « رب السماوات والارض » « وهـــو الذى فى السماء اله وفى الارض اله » • وكانت أوراقى العلميـــة فى المؤتمرات العلمية بالولايات المتحدة سواء « الاكاديمية الامريكية للدين » AAR أو « جمعية الدراسة العلمية للدين » SSSR أو رابطة الخريجين العرب الامريكيين AAUG فى هذا الموضوع • وقد جمعتها بعد عودتى الى مصر فى كتاب باللغة الانجليزية هو « الحوار الدينى والثورة »(٢٦) •

ولما ارتبط « لاهوت التحرر » بالعلوم الانسانية ، بالاجتمـــاع والسياسة والاقتصاد وكان من عيوبى أثناء تكوين وعيى السياسى نقص خبرتى فى العلوم الانسانية فقد حاولت اكمال هذا النقص فى هـــذه الفترة وكونت مكتبتى فيها • ومازلنا نحن ندرس الآداب بمفردها دون علوم انسانية وكما هو واضح من اسم كليتنا « كلية الآداب » ولم نغيرها بعـــد الى « كلية الآداب والعلوم الانسانية » • وركزت بوجه خاص على علم الاجتماع الدينى ، وعلى التيارات الاساسية فى علم الاجتماع الامريكى والذى حمله كثير من المهاجرين الالمـــان • وأكملت نقص علمى بالمذاهب السياسية والاقتصادية مثل الاشتراكية

---

(٢٦) Religious Dialogue and Revolution, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1977.

والرأسمالية القومية ، وبتاريخ الغرب سواء فى نشأته ابان « الكشوف الجغرافية » أو فى ذروته ابان الاستعمار أو فى نهايته كما يعلن عن ذلك فلاسفة التاريخ المعاصرون الذين يتشاءمون حــول مستقبله • وأصبح حديثى الفلسفى دائما قائما على العلوم الاجتماعية ومؤسسا فيها • لذلك شعرت بقرب شديد لمدرسة « فرنكفورت » •

كما اعتنيت بالفلسفة الانجلو سكسونية والامريكية ، وكنت قــد تركتها وأنا فى فرنسا الى مرحلة لاحقة ، أولا لاننى لا أتذوقها لايغالها فى تحليلات الحس ، وتصورها العقل مجرد حاو لاحساسات ، ولبعدها عن الميتافيزيقا وفلسفات الفعل ، وثانيا لاننى لست بحاجة الى ترجمات فرنسية لنصوصها والافضل قراءتها بلغتها الاصلية • ومع ذلك فاننى فى دراستى لنشأة الوعى الاوربى وتطوره أنسى دائما أخذ الفلسفة الانجليزية فى الاعتبار الا أن يذكرنى بها أحد اذ أنها لا تخطر لى على بـــال •

كما عرفت المجتمع الامريكى عن كثب ، وزرت الولايات كلها من الشرق الى الغرب ذهابا وايابا ، ومن الشرق الى الشمال حتى كندا ذهابا وايابا ، ومن الشرق حتى الجنوب حتى المكسيك ذهابا وايابا • وجمعت كل ما كتب عن المجتمع الامريكى ومشاكله خاصة الجوانب المجهولة لدينا من هــذا المجتمع مثل الفقر ، والتسلط ، والجريمة ، والرشوة ، والنساء ، وغياب الشخصية القومية ، والعنصرية ، والعنف• ولانشغالى بعد العودة بالقضايا العــامة فى الفترة (١٩٧٦ — ١٩٨١) ثم بكتابة « من العقيدة الى الثورة » الصيغة النهائية (١٩٨٢ — ١٩٨٤)، وبداية وعيى بالشرق والاعداد لمحاولتى الثانية « من النقل الى الابداع » (١٩٨٥ — ١٩٨٧) لكنت قد أنهيت كتابى « أمريكا ، الاســطورة

والحقيقة » أو « أمريكا ، الحقيقة والقناع » حتى يعلم كل من يبغى الهجرة الى أمريكا الى أين هو ذاهب وحتى نعيد الولاء القومى من جديد الى أنفسنا بدلا من اتجاهه نحو الغير أو على الاقل حتى يعاد الى وعينا القومى ميزان التعادل بين الغرب والشرق خاصة وأن الكفة راجحة الآن لصالح الغرب ، ومازال الشرق فى وعينا القومى غائبا الا من بعض المنتجات الالكترونية الحديثة ، ونساء الشرق للملوك والامراء والاغنياء الجدد ، وفى الوقت الذى مازال يقال فيه بالنسبة لقضـية تحرير الارض ، ولو أن ذلك خفت حدته بعد ١٩٨١ ، أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا ! وقد رأيت تفسخ المجتمع الامريكى أمامى فى ١٩٧٥ على مستوى عام وأنا أشاهد جلسات الاستماع على مدى شـهور كاملة على الشاشة الصغيرة وخلال النهار وهـو وقت عملى الرسمى الكتابة لفضيحة « ووترجيت » Watergate ، سوء استغلال السلطة التنفيذية ، عصابات البيت الابيض ، التجسس على أحزاب المعارضة ، سرقة الوثائق ، السطو ليلا على مقار الاحزاب ، الجماعات الضاغطة فى الكونجرس ، والولاءات الجزئية للمصالح والاهـواء . وفى نفس الوقت رأيت حرية أجهزة الاعلام ، وجرأة الصـحافة ، وشجاعة النواب ، والنظام الذى يفضح نفسه بنفسه . وكان ماركوز يقفز الى ذهنى دائما فى تحليله لعيوب النظام الرأسمالى وأثر أجهزة الاعلام فى صنع الحقيقة فى « الانسان ذو البعد الواحد » . رأيت مساوىء النظام الرأسمالى وفى نفس الوقت مزايا الحرية . خسرت عاما بأكمله فى جلسات الاستماع وأنا أعد نفسى لاعادة التوازن لوعينا القومى لولا أن الوقت ينقصنى وأريد أن أعطى مشروع « التـراث والتجديد » الاولوية المطلقة . ولو أن الشهادة على عصرى مازالت تمثل لى مطلبا قوميا . ليت الانسان يستطيع أن يعيش مرتين ، عالم

يكتب للعلماء مرة ويخاطب المواطنين مرة أخرى ، مرة للخاصة وللجمهور الصغير ، ومرة للعامة وللجمهور العريض • ومسؤولية جيلنا تفرض علينا المهمتين معا • وذلك هو التقابل بين « من العقيدة الى الثورة » و « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » •

ولكن المكسب الاعظم فى هذه الفترة كان هـو جمع المادة لمحاولتى الاولى باللغة العربية لاعادة بناء العلوم القديمة فى علم الكلام وهو « من العقيدة الى الثورة » ، محاولة لاعادة بناء علم أصول الدين ، وقد كانت محاولتى الاولى هى رسالتى الاولى للدكتوراة « منـــاهج التفسير ، ومحاولة فى علم أصول الفقه » باللغة الفرنسية والتى طبعت فى ١٩٦٥ ونوقشت فى ١٩٦٦ • كنت قد أخذت معى كل نصوص علم الكلام من مكتبتى الخاصة أو من مكتبة الجامعة وصورتها ثم أرجعتها بعد أشهر • كنت أجمع المادة أكثر مما أحلل أو أصف أو أكتب • كنت ضحية بعض ما تعلمته فى مصر أثناء دراستى الجامعية ، أن الطبيعيات تأتى فى نهاية العلم كشىء زائد اضافى وربما تحت تأثير ابن حزم فى « الفصل » عندما عقد ضميمة فى « اللطائف » فى آخر مجلده • وسرعان ما أدركت أنها تأتى فى مقدمة العلم وليس فى نهايته ، وأنها هى نظرية الوجود أى المعلوم • كما اكتشفت أن العلم لا يبدأ بالذات والصفات بل يبدأ بنظرية العلم أولا ثم بنظرية الوجود ثانيا • ثم انكشف لى بناء العلم كله وقسمته الى عقليات يقينية وسمعيات ظنية وأن جوهر العقليات هو الذات والصفات والافعال ، أن الذات موجود لها صفات ، وأن الانسان حر عاقل • وأن السمعيات هى الماضى (النبوة) والمستقبل (المعاد) ثم الفرد (الايمان والعمل) والدولة (الامامة) • وبالتالى أكون قد اكتشفت الانسان فى الالهيات والتاريخ فى الســمعيات ؛ والانسان والتاريخ هما ما أبحث عنهما دائما ، وما ينقصانا فى وعينا

الحالى ، وما يزهو به الغرب علينا دائما . فهو الذى اكتشف الانسان والتاريخ فى عصوره الحديثة(٢٧) . كما آلمنى حديث الفرقة الناجية وانتهاء بعض المصنفات الكلامية بتكفير الفرق أو انهيار التاريخ وضياع الخلافة فى الملك ، وأن خير القرون هى القرون السالفة ، وأن الفضل يقل كلما مر الزمان . فكيف أبنى نهضة بهذا التصور المنهـار ؟ وأدركت أنه آن الاوان ليظهـر ابن خلدون جديد يضع شروط النهضة كما وصف أسباب الانهيار . وكان ذلك آخر عبارة فى آخر هامش فى « التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم »(٢٨) . كان تسميته فى ذهنى « علم الانسان » كما أعلنت عنه فى آخر وصفى لاجزاء المشروع فى « التراث والتجديد »(٢٩) . ولكن فكرة الانتقال من مرحلة الى مرحلة كما هو الحال فى « التراث والتجديد » من أجل اعادة بنـاء العلوم هى التى جعلتنى أختار عنوانا يعبر عن هذا الانتقال من العقيدة الى الثورة ، ولو أن زملاء آخرين سبقونى الى الاعلان عن هذا الانتقال فى « من التراث الى الثورة »(٣٠) . ولكن غياب التجارب الوطنيـة

---

(٢٧) أنظر « لماذا غاب مبحث الانسان فى تراثنا القديم ؟ » وأيضـا «لماذا غاب مبحث التاريخ فى تراثنا القديم ؟ » فى « دراسات اسلامية » ص ٣٩٢ — ٤٥٦ ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ .

(٢٨) التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ص ٢١٦ ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ .

(٢٩) المصدر السابق ، الخطة العامة لمشروع « التراث والتجديد » ص ٢٠٣ .

(٣٠) الطيب تيزينى : من التراث الى الثورة . حول نظرية مفترضة فى التراث العربى ، الجزء الاول ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٧٦ وهـو نفسه فى طبعة موسعة ، دار دمشق ، دمشق ، دار الجيل ، بيروت (بدون تاريخ ، وكتب مقدمة المؤلف الثانية بتاريخ ١٩٧٩) .

الجديدة ، ونقصان الخبرات الاجتماعية جعلت تحليلاتى مستمدة من الخبرات القديمة • فخرجت نمطية تقليدية ، بالاضافة الى طغيان التراث على التجديد ، وتغلب الاكاديمية على روح العصر • فتوقفت عن اعادة بناء علم أصول الدين من علم اللاهوت Theology الى علم الانسان Anthropology معيدا بناء العقائد الاسلامية بحيث تكون أيديولوجية ثورية للشعوب الاسلامية • وقد قمت بصياغة بعض أفكاره بالانجليزية فى مناسبات عدة فى مؤتمرات دولية ، نشر البعض منه فى « الحوار الدينى والثورة » عام ١٩٧٧ والجزء الثانى بالفرنسية مازال ماثلا للطبع(٣١) • وكان استئنافا لمقال سابق كتب بالفرنسية عام ١٩٧٠ بعنوان علم لاهوت أم علم انسان ؟
Théologie ou Anthropo logie?

ونشر فى أعمال مؤتمر « نهضة العالم العربى » عام ١٩٧٢(٣٢) • وبعد انهاء الكتاب فى ١٩٨٤ أعددت عرضا له ثالثا بالانجليزية بعنوان « من العقيدة الى الثورة » From Dogma to Revolution فى المجلد الثانى لمشروع « الفكر الاجتماعى الجديد »(٣٣) •

سابعا : بداية النضال الفكرى (١٩٧٦ — ١٩٨١) •

بعد عودتى من الولايات المتحدة الامريكية فى صيف ١٩٧٥ بدأت

---

(٣١) Religion and Revolution, An Islamic Model, in : Religious Dialogue and Revalution PP. 202 — 12, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1977.

(٣٢) Théologie ou Anthropolagie ? dans : La Renaissance du Monde Arabe, PP. 233 — 64, Duclot, Bélgique, 1972.

(٣٣) Fram Dogma to Revolution, in : Islam, Religion Ideology and Development, Anglo - Egyptian Bookshop Cairo, 1989 (In print).

فى « التراث والتجديد » ، البيان النظرى الاول ، موقفنا من التراث القديم ، واستأنفته فى الخرطوم فى يناير ١٩٧٦ . وكنت أنوى اخراج الجزء الاول كله عن علم أصول الدين بعــد اعادة بنائه كعلم للانسان كما حاول فيورباخ ذلك من قبل بعد أن مهدت له بالكتــابة عن الاغتراب الدينى عند فيورباخ عارضا « جوهر المسيحية »(٣٤) . ولما كان علم اللاهوت فى مقابل علم الانسان مصطلحات غربية وغريبة على الثقافة الاصلية آثرت « من العقيدة الى الثورة » ، العقيدة تعبر عن جوهر فكر القدماء ، والثورة تعبر عن مطلب عصرنا .

ولكن مقتضيات التدريس بالجامعة للفلسفة الحديثة والمعاصرة ولفلسفة التاريخ اقتضت تجميع كل دراساتى السابقة بعــد الهزيمة حول « الانا » و « الآخر » فى قضايا معاصرة بجزئية « فى فكرنا المعاصر » و « فى الفكر الغربى المعاصر » فى عام ١٩٧٦ تم اعداد نصوص جديدة للفلسفة الحديثة والمعاصرة كما أعدت نصوصا من قبل بعد الهزيمة . وكانت عينى هــذه المرة على « تربية الجنس البشرى » للسنج و « تعالى الانا موجود » لجان بول سارتر . كان الهدف من النص الاول استعماله فى فلسفة التاريخ ، وتقديم مفهوم التقدم فى فكرنا القومى . كيف تتقدم الشعوب وطبقا لاى قانون من أجل معرفة فى أية مرحلة من التاريخ نحن نعيش ؟ كما ترجمت باقى أعمال لسنج اللاهوتية الاخرى من أجل تأسيس دين العقل ، ودين الطبيعــة ،

---

(٣٤) الاغتراب الدينى عند فيورباخ ، عالم الفكر ، الكويت ، ابريل ١٩٧٩ وايضا « دراسات فلسفية » ص ٤٠٠ — ٤٤٥ ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٨ .

ودين الحرية ، ودين الانسانية المكتملة القادرة على الاستمرار دون وصايا خارجية بل بالاعتماد على العقل والطبيعة وحرية الارادة . فاذا كان الوحى هو التقدم . واذا كان الانبياء قد ساهموا فى تقدم البشرية فانه من التناقض أن تكون أمة الوحى خارجة على قانون التقدم ، ليس لها تاريخ ، ولا تدرى فى أية مرحلة من التاريخ هى تعيش(٣٥) . وكنت قد شعرت وأنا أقرأ هذا النص لاول مرة فى باريس بأن المرحلة الثالثة التى يصفها لسنج والتى اكتملت الانسانية فيها وهى مرحلة التنوير ، بعد اليهودية (الطفولة) والمسيحية (الصبا) هى مرحلة ظهور الاسلام قبل لسنج بألف عام . وهنا ارتبطت بفلسفة التنوير التى ظلت ملازمة لى من البداية الى النهاية عبر اسبينوزا ، فولتير ، فيكو ، كانط ، هردر ... الخ .

وكنت أزمع اصدار ترجمة عربية لنص سارتر الفلسفى الاول « تعالى الانا موجود » قبل « الوجود والعدم » تحية له بمناسبة زيارته لمصر بعد هزيمة ١٩٦٧ فى يناير ١٩٦٨ . وجاء سارتر وغادر البلاد بعد أن تحولت زيارته الى فرجة على صديق سيمون دى بوفوار أو طلب شهرة من مسؤول أو عميد أو أستاذ أو ممثل أو أديب أو سياسى لالتقاط الصور التذكارية معه أو لاطعامه « وكسر عينه » حتى يصدر بيانا لصالح فلسطين فى مقابل زيارته الى اسرائيل بعدنا والتى تمت فيها مناقشة فلسفته والتى صرح بعدها بتعاطفه مع الشعب اليهودى .

---

(٣٥) لسنج : تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير فى بيروت ١٩٨١ .

ظلت الترجمة فى الادراج الى أن عزمت على تقديم نص فى الفلسفة المعاصرة فأعدت ترجمة « تعالى الانا موجود » من أجل بيان نقطتى البداية والنهاية فى الوعى الاوربى من « الانا أفكر » عند ديكارت الى « الانا موجود » عند هوسرل • فاذا كان الوعى الاوربى قــد شارف على النهاية وأكمل دورته فان السؤال يكون : وأى وعى حضارى قادر الآ على أخذ زمام الريادة للبشرية بعد نهضة شعوب الشرق ، وحركات التحرر العربى ، والثورات العربية ، والثورة الاسلامية فى ايران لافســاح المجال للوعى الحضارى الاسلامى ، ممثل وعى العالم الثالث ، وقلبه فى افريقيا وآسيا ، كخليفة للوعى الاوربى فى القرون الخمسة القادمة ؟ وكنت قــد حاولت من قبل عام ١٩٦٧ بعد رجوعى من فرنسا بعام واحد الكتابة فى « الفكر المعاصر » مقالا عن « سارتر وهوسرل » فجاء تحليلا علميا لنصوص سارتر عن هوسرل لانى لم أكن قد تملكت بعد ملكة الكتابة للمجلات الثقافية ، تحليلا نصيا جافا لا يعلمه الا المتخصصون وكأنه فصل من كتاب علمى عن « الفينومينولوجيا » أقرب الى الفقرات التى كتبتها فى الجزء الاول من رسالتى الثانيــة « من تفسير الظاهريات الى ظاهريات التفسير » عن تطور المنهــج الظاهرياتى على أيدى تلاميذ هوسرل • فأخذت المقال وجعلته مقــدمة لنص « تعالى الانا موجود »[٣٦] •

ولكن بعد تكشف بدايات الثورة المضادة فى مصر شيئا فشيئا ابتداء

---

(٣٦) جان بول سارتر : تعالى الانا موجود ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ •

من مايو ١٩٧١ حتى قوانين الاستثمار فى ١٩٧٤ والتفريط فى نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم انشاء الاحزاب الثلاثة ، اليمين واليسار والوسط ، انضممت بطبيعة الحال الى حزب اليسار « التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى» لما كان يمثله من استمرار لثورة ٢٣ يوليو كما جسدتها الناصرية • فكان تجمعا للناصريين ، والقوميين ، والشيوعيين ، والتيار الدينى المستنير الذى كنت أحد ممثليه • وفى انتخابات ١٩٧٦ التى دخل فيها اليسار مجلس الامة بدأت الكتابة الصحفية دفاعا عن اليسار بوجه عام واعلانا عن التيار الدينى المستنير بوجه خاص • ولكن بعد انتفاضة يناير ١٩٧٧ ثم زيارة القدس فى نوفمبر من نفس العام بدأت الشهادة الثانية على عصرى بعد الشهادة الاولى اثر هزيمة ١٩٦٧ • وتركت مشروع « التراث والتجديد » لاضع كل طاقاتى فى ايقاف الثورة المضادة ، حماية لانجازات الثورة ، ومكاسب الشعب • فما كان يعقل والمنزل يحترق ، والبلاد تخرج عن مسارها الطبيعى وأنا أنظر للثورة الدائمة دون المساهمة الفعلية الآنية والتفاعل مع أحداث العصر • وكنت انتهى من مقال لابدأ آخر على مدى خمس سنوات ١٩٧٦ — ١٩٨١ وهى المقالات التى جمعتها بعد ذلك وأشرت اليها على أنها قضايا معاصرة ، الجزآن الثالث والرابع ، الثالث « فى الثقافة الوطنية » ، والرابع « فى اليسار الدينى » ، ولكن تضخما الى حد يصعب تناولهما • كما أنهما يمثلان كتاباتى الشعبية الآنية التى أود أن تكون على قارعة الطريق وفى أكشاك الصحف أسترد بهما جماهير سيد قطب والمتولى الشعراوى • فتركت اسم « قضايا معاصرة » للشهادة الاولى بعد هزيمة ١٩٦٧ وآثرت الاسم الثانى « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » للشهادة الثانية ، ونشرته فى ثمان أجزاء حتى يكون سهل الحمل ، ميسور الاقتناء • ظهرت

مآسينا فى هذه الفترة ، وتبدت هزائمنا فى الروح وليس على الارض ، فى الارادة الوطنية وليس فى ساحة القتال • شاركت فى الصراع الفكرى مساهمة منى لايقاف انتكاسات الثورة العربية والمحافظة على الثورة • وكلما اشتدت الازمة السياسية فى مصر مع الانفراجة الديمقراطية التى بدأت فى هذه الفترة وتكوين الاحزاب السياسية ساهمت بفكرى فى الحركة الوطنية المصرية • فالتقدم ليس مسألة نظرية فحسب بل موضـــوع ممارسة • وقد يكون دفع البلاد خطوة نحو التقدم أفضل من عشرات النظريات فى التقدم ، « أعوذ بالله من علم لا ينفع » •

وكان لابد أن يحدث الصدام مع الجامعـــة عندما كانت الثورة المضادة فى عنفوانها • وبينما أنا مخفف من أعباء التدريس عام ١٩٧٨ اثر اصرارى على قبول جميـــع طلبة الدراسات العليـــا دون تمييز بينهـــم وبصرف النظـــر عـــن انتمـــاءاتهم الفكـــرية والســـياسية كتبت عدة دراسات فى علم الاصول بشقية « علم أصول الفقـــه » ، « علم أصول الدين » ، « العقل والنقل » ، وفى علوم الحكمة « الفارابى شارحا أرسطو » ، « ابن رشد شارحا أرسطو » ، وفى علوم التصوف « حكمة الاشراق والفينومينولوجيا » ، وفى الفكر الاســـلامى الحديث « من الوعى الفردى الى الوعى الاجتماعى » (دراسة فى الجوانية) جمعت بعد ذلك عام ١٩٨١ فى « دراسات اسلامية » •

ولما شاركت فى عدة مشاريع للبحث عن التنمية فى مصر ، فقد ساهمت بدراسات عدة عن « الدين والتنمية فى مصر » و « أثر العامل الدينى فى توزيع الدخل القومى فى مصر « خلال عام ١٨٧٩ عن طريق تحليل مضمون الخطـــاب للقيادة السياسية فى مصر ابـــان الفترتين الرئيسيتين فى الثورة المصرية • وكان النضـــال الفكرى الآنى المباشر

قد خفت حدته نظرا لتوقفى عن التعامل مع الصحافة اليومية • ولكن ظل الالتزام بالنضـــال الفكرى خلال المجلات الثقافية العربية سواء فى موضوعات الدين والثقافة الوطنية مثل : مخاطر فى فكرنا القومى ، المسؤوليات الراهنة للثقافة العربية أو فى الدين والتحرر الثقافى مثل : الابداع الفكرى الذاتى ، الاصالة والمعاصرة ، نحن والتنوير ، من التراث الى التحرر ، الضباط الاحرار أم المفكرون الاحرار ، أو فى الدين والنضال الوطنى مثل : هل يجوز شرعا الصلح مع بنى اسرائيل ؟ عبد الناصر وقضية الصلح مع اسرائيل ، مخاطر السلام ، عبد الناصر والدين ، عبد الناصر والحلف الاسلامى ، عبد الناصر والشاه ، الدين والثورة فى الثورة العرابية • كما ساهمت فى عدة مشاريع بمراكز البحوث فى مصر عن الحركات الدينية المعاصرة وكتبت عدة دراسات طويلة مثل : أثر أبى الاعلى المودودى فى الحركات الاسلامية المعاصرة ، أثر سيد قطب فى الحركات الاسلامية المعاصرة •

وبعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران فى فبراير ١٩٧٩ وفى عنفوان نقد النظام السياسى فى مصر لها نشرت « الحكومة الاسلامية » و « جهاد النفس » للامام الخمينى حتى يعلم الناس نصوص الثـــورة قبل الحكم عليها • وأنشأت مجلة « اليسار الاسلامى » بعد التردد كثيرا فى استعمال الاسم • وأصدرت العدد الاول والوحيد حتى الآن عام ١٩٨١ وبه « المسلمون فى آسيا فى مطلع القرن الخامس عشر » ، « ماذا يعنى اليسار الاسلامى ؟ » • وحاولت ابراز مفهوم اليســـار الاسلامى وبيان معاركه الرئيسية فى عدة مقالات مثل : اليمين واليسار فى الفكر الدينى ، الدين والرأسمالية ، ماذا تعنى أسباب النزول ؟ مناهج التفســـير ومصالح الامة ، المال فى القرآن • كما حاولت بيان كيف يكون اليسار الاسلامى بوتقة للوحدة الوطنية فى عدة دراسات

مثل : اليسار الاسلامى ومستقبل مصر . ضرورة الحوار : دعــوة الى الحوار . التنوير الدينى والتنظيم السياسى . مأساة الاحزاب التقدمية فى البلاد المتخلفة • وهى التى تكون المادة لكبرى لهذه الاجزاء الثمانية « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » •

ثم وقعت مذبحة سبتمبر ١٩٨١ لاتفرغ لمده عام كامل للبحث العلمى وأنا خارج الجامعة • وهنــا بدأت أفكر جديا فى أن أعود الى صياغة « من العقيدة الى الثورة » بعــد أن جمعت المادة العلميــة أعوام ١٩٧٢ — ١٩٧٤ ويكون ذلــك أكبر رد على الثورة المضادة • وبالفعل بدأت فى الصياغات الاولى . تخللها فقط انقطاع شهور لكتابة دراسة عن تحقيقات الاغتيال بعد أن عادت مصر الى روحها وبعد أن أخذ خالد الاسلامبولى ورفاقه نوعا من التعاطف الشعبى العــام . وهى الدراسة السابقة « الاصولية الاسلامية » •

وخلال عام ١٩٨٢ وأنا أكتب هذه الصياغة الاولى أدركت أننى أضعت الوقت كثيرا ، وأنى قد انشغلت عن مشروعى الاول « التراث والتجديد » فى زحمة الاحداث ؛ وأننى شهدت على أحداث العصر بما فيه الكفاية ، وأننى أكتسب من التجارب المعاشة من أحوال الوطن ما يجعلنى صادقا فى التعبير عنها • فعقدت العزم على أن أنهى مرحلة العمل المباشر وأن أبدأ فى تأصيل الثورة من خلال التراث الذى مازال هــو المكون الرئيسى لثقافة الناس الوطنية • وتطلب ذلك مغادرة الوطن مرة ثانية الى حين •

ثامنا : بداية الوعى بالشرق (١٩٨٢ — ١٩٨٧) .

وبدأت رحلتى الثالثة خارج الوطن بعد رحلتى الثانية كأستاذ الى فرنسا ١٩٥٦ — ١٩٦٦ ورحلتى الثانية كأستاذ الى الولايات المتحدة ١٩٧١ — ١٩٧٥ ، وهذه المرة الى المغرب العربى ١٩٨٢ — ١٩٨٤ . وكنت قد عرفت المغرب من قبل عام ١٩٧٩ أثناء انعقاد الجمعية الفلسفية المغربية فى احدى دوراتها عن « نحن والتنوير » . وهناك أدركت أن مكانى الطبيعى بين طلبة المغرب ، ثقافة وحماسا ، علما ووطنية ، عمقا والتزاما . تعرفت على عميد آداب فاس الذى طلب منى البقاء . ولكن لم يكن الاوان قد حان بعد . فلماحان الوقت ذهبت الى هناك وأنا أجد بيئتى الطبيعية ، الجمع بين العلم والوطن ، بين الثقافة والالتزام ، بين التراث القديم والتراث الغربى المعاصر . كان معظم الطلبة والاساتذة يسارا ومن ثم وجدت نفسى بين أهلى وعشيرتى . خاصة وأن أصولى مغربية فجد جدى من البربر رحل من المغرب الى الحجاز سيرا على الاقدام كعادة المغاربة . وأثناء عودته عن طريق مصر الوسطى استقر فى بنى سويف وتزوج بدوية من قبيلة بنى مر ، وهى القبيلة التى ينتسب اليها عبد الناصر . لذلك كانت عيون جدى من جهة أبى خضراء .

لم أدرس فقط لطلبة المغرب فى كل السنوات بل أيضا شاركت فى معظم المنتديات الثقافية المغربية وما أكثرها فى كل مدنها : فاس ، مكناس ، الرباط ، مراكش .. الخ . بل واتصلت بأحزابها . وكنت وأنا جزء من المعارضة المصرية أجد نفسى فى المعارضة المغربية . وجلت فى أنحاء المغرب جنوبا حتى مراكش وشمالا حتى طنجة ، ودياناً وسهولة الحياة ، ورخص المعيشة . وستظل هاتان السنتان لى وللاسرة .

أنعم سنتين فى عمرنا الطويل • رأيت عشق المثقف المغربى لحرية الفكر وبحث المغربى الفقير عن لقمة العيش • عشقت العروبه من هناك ؛ ورأيت بقايا الاندلس ، وقصر الحمراء ، وجامع قرطبة • وكنا نعبر مضيق جبل طارق بعد سبتة أو الى اسبانيا من مليلية الى ربوع الاندلس أكثر من مرة فى العام • وأدركت أن القرن الافريقى فى الشـمال مازال محتلا فى مدينتين : سبتة ومليلية ، وأنا الساعى الى تحرير الارض والذى أسس لذلك لاهوت الارض ، يربط فيه بين الله والارض • رأيت جمال العمارة العربية ، والملابس العربية ، والزخرفة العربية ، وسمعت اللغة العربية الفصحى بلا لحن ، وطربت للموسيقى الاندلسية، وفرحت بزينة المرأة المغربية ، وأدركت أهمية الاســلام الطبيعى فى المغرب الذى لم يقع فى ثنائية الحلال والحرام كما هو الحال فى الاسلام فى المشرق تحت أثر ايران والديانات الثنوية القديمة • كما أن اليهودية دين طبيعى فى المغرب • الاسلام واليهودية دينان قوميان • أمـا المسيحية فلم تنتشر فى المغرب لان المغربى لا يدرك ملكوت السموات انما يعيش فى ملكوت الارض • وبالرغم مما كان للتبشير فى المغرب من حرية أثناء الاستعمار الفرنسى ولكن الكنائس مهجورة • كانت أفكارى قد سبقتنى الى المغرب من خـلال المجلات الثقافية المصرية « الفكر المعاصر » ، « الكاتب » •• الخ ، ورأيت جيلا من الطلاب والمعيدين كانوا يقرأون لى منذ الاعدادية والثانوية • فالطالب فى المغرب يتكون حتى الثانوية علما ولغة وثقافة ، وفى الجامعة يمارس السياسـة • يتعلم من أجل العلم وليس للحصـول على شهادة أو وظيفة • وقـد تكون أعلى شهادة حصل عليها رئيس القسم أو العميد

أو رئيس الجامعة هى الماجستير ولا يشعر أى منهم بنقص • ولكنه يعلم كل شىء • كان المغاربة يعلمون كل شىء عنا ونحن لا نعلم شيئا عنهم • يصفون القاهرة وأحياءها ولم تطأها أقدامهم • انما عرفوها من خلال الادب الحديث• يحبون اقتناء الكتب ، والمجموعات الكاملة • تربوا على « الرسالة » و « الثقافة » • هم حفظة العلم بعد سقوط الاندلس ، فى الصدور وفى العقول وفى الخزائن العامة والمكتبات الخاصة •

وخلال سنتين ١٩٨٢ — ١٩٨٤ والجامعة مضربة طول الوقت ، وأيام العطلة أكثر من أيام العمل دونت الصياغة الثانية لكتابى « من العقيدة الى الثورة » وأنا فى هدوء وعمل يومى يصل الى خمس عشرة ساعة • كنت أكتب ما بين العشرة والخمس عشرة صفحة يوميا وكما هى العادة حتى الآن من قبيل الفجر حتى المساء مع راحة بعد الغذاء لا تتجاوز الساعة • كتبت المجلدات الخمس باستثناء خاتمة المجلد الخامس « من الفرقة العقائدية الى الوحدة الوطنية » كتبتها فى صيف ١٩٨٤ بعد تركى المغرب وقبل السفر الى اليابان بأيام فى سبتمبر من نفس العام • وأنا أدون السطر الاخير « ونحن انما نقدم « من العقيدة الى الثورة » اجتهادا منا ، واستئنافا لعلم أصول الدين بعد أن توقف منذ سبعة قرون ، وتطويرا له بعد « المواقف » ، « ورسالة التوحيد » فى عصر التحرر من الاستعمار فى الخارج ، والقهر فى الداخل ، وفى فترة الردة من قلب مصر المحمية » أحسست وكأننى تخلصت من حمل ثقيل ، وأن مرحلة قد انتهت تتلوها مرحلة أخرى •

كنت سعيدا بالمغرب • ولو كنت مكثت بها مدة أطول لكنت قد

أنهيت محاولتى الثانية « من النقل الى الابداع » محاولة لاعادة بناء علوم الحكمة ، بالرغم من أننى كنت أعمل تقريبا بلا أجر . فكان مرتبى خمس ما يأخذه الزميل فى الخليج . ومع ذلك وقع ما لم يكن فى الحسبان . فقد دعيت فى ديسمبر ١٩٨٣ الى القاء محاضرة عامة فى فندق فاس ينظمها حزب الشورى والاستقلال : وهو من أحزاب المعارضة المغربية ، الجناح المعارض فى حزب الاستقلال : عن نظام الحكم فى الاسلام(٣٧) . وقلت فى المحاضرة ما يعرفه كل الناس خاصة وعامة من أن الامامة عقد وبيعة واختيار . وأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وأن الامام آخر من يأكل ، وآخر من يشرب ، وآخر من يلبس . وآخر من يسكن ، وانه لايجوز تقبيل يديه أو كتفيه أو وجنتيه . واستشهدت بقول أبى بكر يوم السقيفة والذى يحفظه كل طفل « أيها الناس ، انى وليت عليكم ولست بخيركم . ان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقوموني ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم . فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » . وفى اليوم الثانى استدعتنى الشرطة وأبقتنى فى الحجز حتى المساء وهم يحققون معى : من أقصد ؟ هل فى ذهنى شخص معين ؟ نظام حكم بعينه ، ملك بعينه ؟ قلت لا ؛ ، ولكن هذا هو نظام الحكم فى الاسلام . وسألوا : ألا تقبل يدى والك ؟ ألا تسجد وتقبل قدمى أمك ؟ قلت لا . حاولت الاتصال تليفونيا بالاسرة أطمأنها على ، وأن أقول لها أين أنا . وظللت فى الحجز حتى يأتى أمر من السلطات العليا . وفى المساء أتى الامر بالافراج على ألا أعود الى ذلك من

---

(٣٧) دعى معى اخى وصديقى ا د. محمود اسماعيل الذى كان بالمغرب حوالى عشر سنوات استاذ للتاريخ الاسلامى ، وهو الآن أستاذ بكلية الآداب ، جامعة عين شمس .

جديد ، وأنى أستاذ فى الجامعة فقط ، ولست مواطنا مغربيا ، بالرغم من أن المغرب وطنى الثانى ، ولا أتصل بالجمعيات العامة أو الاحزاب السياسية . بينت للضابط اننى لست نصف عالم ولا نصف مواطن ، وأن هذه الحدود بيننا من صنع الاستعمار ، وأن هـذا وطنى كله من المحيط الى الخليج ، ومن أقصى المغرب الى أقصى المشرق ، وأننى فقيه من فقهاء الامة ، وعالم من علمائها ، ضـد الرشوة لدى موظفى الوزارة بالعاصمة . قلبت الاسرة على فاس وسجونها . واستدعت الاصدقاء والزملاء ، خاصة وأن اغتيال بن بركة بنفس الطريقة مازال ماثلا للاذهان . وعلمت فيما بعد أن وزير الداخلية أيقظ العميد ليلا الذى هرع الى القصر وأخذ عهدا على عاتقه بأن يتدبر الامر . وبدلا من أمرى بمغادرة البلاد فى أربع وعشرين ساعة رجا تأجيل الامر ولو الى آخر العام الدراسى حتى ٣٠ يونيو ١٩٨٤ فأنا عالم ومفكر مرموق من مصر . وطلب منى التوبة والاعتذار عن طريق أحد الفلاسـفة المرموقين حتى يتم تسوية الامر نهائيا فرفضت . وبالفعل أمرت بمغادرة البلاد فى هذا الموعد ، وطلب من زوجتى الاستقالة فقد كانت تعمل أيضا أستاذة للغة الانجليزية . غادر أولادى الثلاثة بالطائرة . وأنا خوفا على كتبى غادرت برا عبر مضيق جبل طارق وأنا لا أكاد أصدق عينى بعبور الحدود بعد أن طلب أحد المعاونين رشوة منى فى مقابل عدم التفتيش فرفضت . ثم طلب الضابط انزال الحقائب للتفتيش فقبلت . ثم استحى بعد تفتيش أول حقيبة وطلب منى ارجاعها كلها فتنهدت . وما أن عبرت الحدود الى سـبتة ثم الى الاندلس حتى تنفست الصعداء . وسرت عبر جنوب أوربا ، اسبانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، ويوغوسلافيا ، واليونان . وأخذت الباخرة من أثينا الى الاسكندرية . ومع ذلك يظل المغرب هو البلد العـربى الوحيد الذى

تحملني سنتين • فمازلت لا أدخل السعودية أو العراق نظرا لما يعرف عني من أنني من منظري الثورة الاسلامية • وأنا أعد العدة للرحيل في العاصمة الادارية كان في ذهني « نداء الى شعب المغرب » أو « وداع الى شعب المغرب »• وانتهزت فرصة اجراء جريدة أنوال حديث معي عن كبوة الاصلاح فضمنته ندائي المشهور الذي تناقله كل طلاب المغرب « أتيت المغرب طائعا ، وأتركه مكرها »(٣٨) •

وطلبني أحد الاصدقاء كي أساعده في « كلية البحرين الجامعية » في قسم الدراسات الاسلامية(٣٩) • وذهبت لمقابلة رئيس الجامعة أثناء انعقاد جلسات « التخطيط المستقبلي للفكر الاسلامي » بالكويت ، ولم تكن المسافة بينهما ببعيدة • وبعد عقد الاتفاق جاءتني برقية تأسف لالغائه لان أجهزة الامن بالبحرين رفضت دخولي البلاد • وكنت أثناء اقامتي بالبحرين لمدة يومين أدركت المأساة ، منطقة خدمات بين الشرق والغرب • فنادق أوربية ضخمة ، وطرق سريعة ، وطيران وبواخر ،

---

(٣٨) الجزء السابع : اليمين واليسار في الفكر الديني . وقيل ايضا فيما بعد ان ما زاد الطين بله هو محاضرة عامة ألقيتها في جامعة الزيتونة في تونس في آخر ديسمبر ١٩٨٣ بدعوة من اتحاد الطلاب عن الحركة الاسلامية المعاصرة ، تعطلت الدراسة يومها في الجامعة وحضر الطلاب جميعا ، ودخلت في حوار مع كل التيارات . وكان عميد كلية الشريعة تلميذا لي د. عبد الله الوصيف هو المستقبل والمودع . بعدها لم يستمر عميدا . وكان معي محسن الميلي الذي كتب « ظاهرة اليسار الاسلامي » ينقدني فيه فشكرته وقدمته للطلاب وطلبت منه الحديث لاعطي الجميع نموذجا لادبيات الحوار . وقيل ان تسجيل هذه الندوة التي استغرقت ثلاث ساعات تم ارسالها الى المغرب مع سؤال التوانسة للمغاربة : كيف يدرس هذا الاستاذ عندكم ؟

(٣٩) هو الصديق د. سامي البدراوي .

ونفط واستثمار ، وشركات أجنبية ورؤوس أموال • أجد الاسيويين وأبحث عن الشعب العربى فلا أكاد أجد • أسمع أن وزير التعليم كان ناصريا ولكنه لم يستطع شيئا أمام أجهزة الامن والمخابرات العامة • وتأسفت لذلك لانني كنت أسمع عن تحرر طلبة البحرين ، وعن مثقفيها ، وعن تراثها المستمد من بابل وآشور منذ ملحمة جلجامش ، وأن أطراف الجزيرة كانت تضم المعارضين لنجد فى وسطها • ومازال الطريق الرئيسى فى المنامة عالقا بذهنى وعلى صفيه النخيل الجاف ، وكأنها أعجـاز خـاوية •

كنت أريد الاستمرار فى العالم العربى • فكرت فى صنعاء • وكنت أسمع أن طلبة اليمن لا يقلون ثقافة والتزاما عن طلبة البحرين • وكان الزملاء يعرفوننى • فاذا ما أمكن السيطرة على الاهواء البشرية فى القواعد الجامعية فسرعان ما تعصف الاجهزة العليا الاستشارية أو الامنية بالنوايا الطيبة • ولما كانت الجماعات الاسلامية تملأ الجو صخبا كنت بطبيعة الحال شيوعيا ملحدا • والدولة تبغى الامان ، ولا تريد كب الزيت على النار ولا حتى اشعال الفتيل •

وكنت قد زرت طوكيو أول مرة فى أواخر ديسمبر ١٩٨٢ وأوائل يناير ١٩٨٣ لالقاء بحث باسم جامعة الامم المتحدة فى جامعة تسوكوبا فى مؤتمر دولى عن « أزمـة القيم » بعنوان « أزمة القيم والـرد الاسلامى » ، وتعرفت على اليابان لاول مرة(٤٠) • وعندما دعيت ثانى

---

(٤٠) Value Crisis and Islamic Response, in : Islam, Religion Ideology and Development, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1989 (In print).

مرة لحضور مؤتمر المستشرقين عام ١٩٨١ لم أستطع الذهاب(٤١) • ثم دعتنى جامعة طوكيو أن أكون أستاذا زائرا ابتداء من أول مايو ١٩٨٤ لمدة عـام • ولما كنت لا أستطيع فى هذا الوقت نظرا لامتحانات الطلاب فى المغرب فى يونيو واحتمال عودتى النهائية فى الصيف أرجأت القبول حتى أول أكتوبر ١٩٨٤ ولمدة نصف عام فقط لان العام الدراسى فى اليابان من مايو الى مايو كل عام وليس من أكتوبر الى أكتوبر كما هو الحال فى باقى جامعاتنا وجامعات المغرب • قبلت الدعوة حتى أرى الشرق •

كنت أعلم الغرب جيدا فقد قضيت فيه أربعة عشر عاما • وكانت تنقصنى معرفة الشرق خاصة بعد ما كنا نسمع عن نهضته الحديثة ، ثورة الصين الكبرى ، نهضة اليابان ، كوريا ، انتصار فيتنام ، استقلال الهند • كنت أريد وعيى بالعالم أن يكون متوازنا بين الشرق والغرب • وغادرت فى أواخر أغسطس الى اليابان مع أسرتى • وأنا أرى الشرق لاول مرة • كان آخر وصولى الى الشرق زيارتى لايران بعد الثورة بشهرين فى آخر ابريل ١٩٧٩ بعـد زيارتى للكويت أستاذا زائرا لمدة أسبوعين • قابلت الامام الخمينى ، وناقشت علماء قم ، ورأيت جماهير طهران(٤٢) • وفى آخر العام فى نوفمبر ذهبت ضمن وفد من منظمة

---

(٤١) تأخر ارسـال بطاقة الطـائره حتى قبل موعد انعقاد المؤتمر بأسبوع . ولما وصلت أخطرتنى شركة مصر للطيران بخطاب عادى فأخذ أسبوعا من شارع عدلى بميدان الاوبرا حتى شارع الحجاز بمصر الجديدة .

(٤٢) الثور الايرانية والثورة العربية ، الجزء الثالث : الدين والنضـال الوطنى ص ٣٠٧ — ٣٣٩ .

تضامن شعوب آسيا وافريقيا الى أفغانستان فى بعثة لتقصى الحقائق • ووصلنا كابول عن طريق موسكو ذهابا وايابا • كانت المقاومة الافغانية فى بدايتها • وكان حفيظ الله أمين هو رئيسها • وأثناء العودة زرت بخارى وسمرقند وطشقند ، وخاطبت أئمة المساجد ، وخطبت فى جماهير المصلين المعمرين واستثرت نخوة الوحدة الاسلامية الاولى حيث لا حدود • ورأيت كيف يعيش المسلمون فى ثقافة تحتية فيما بينهم بالرغم من وجودهم فى روسيا القيصرية(٤٣) • ولكن هذه أول مرة أذهب الى الشرق الاقصى عن طريق جنوب شرق آسيا • وكانت دهشتى وأنا أتوقف فى بانجوك — تايلاند — أن أرى مطارا لا يقل عن أى مطار أوربى ، وكذلك فى مانيلا — الفلبين ، وأخيرا فى طوكيو — اليابان • ها هو الشرق مثل الغرب ان لم يتجاوزه • فلماذا كان الغرب اذن نمطا للتحديث لدينا ؟ هل لاننا قريبون جغرافيا منه ؟ هل بسبب الاستعمار وتحررنا منه ؟ ولكن الاسلام أول ما انتشر اتجه شرقا • وهنـاك الصحابة الاوائل أشبه بالقديسين فى سهول آسيا الوسطى ، وأهـل السنة والحديث وعلمـاء المسلمين هم الثقافة الوطنيـة للجمهوريات الاسلامية •

وكانت تجربتى فى جامعة طوكيو وفى المجتمع اليابانى جـديدة وفريدة • رأيت الطالب اليابانى الصامت الذى لا يتكلم ، لا يدخل فى معركة أو نقاش ، يأخذ ولا يعطى ، يسمع ولا يتكلم ، يستدل ويتعلم ، ويحتفظ بنتائجه لنفسه أو لرئيسه أو لحكومته اذا كان موظفا • كنت

---

(٤٣) المسلمون فى آسيا فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، الجزء الخامس ، الحركات الدينية المعاصرة ص ٣ — ٨٩ •

كمن يغنى ويرد على نفسه • قدرت الطالب الاوربى ، والحياة الجامعية الاوربية حيث صراع الآراء والخلاف بين وجهات النظـر الى حد التناطح • رأيت الادب الجم ، والانحناء الى الارض ، والحفاظ على الاشكال والرسوم • رأيت احترام كبر السن • وعرفت الجديد ، نموذجا ثالثا من العلاقة بين القديم والجديد ، بالاضافة الى نموذج الانقطاع الغربى ونموذج التواصل والتجديد لدينا ، وهـو نموذج التجاور ؛ لكل ميدانه ، القديم للحياة الخاصة والاعياد واللباس والمعابد والافراح والاحزان ، والجديد للعمل والمعمل وللشركة وللمصـنع وللادارة • وينتقل اليابانى نفسه من مستوى الى آخر دون أى احساس بالتناقض أو التعارض • ونحن الذين قتلنا أنفسنا منذ مائتى عام فى موضوعات الاصالة والمعاصرة ، التقليد والحداثة ، التراث والتجديد • اما أننا فى وهم واما أنهم سذج طيبون • حاضرت فى الجمعيات العلمية ، وجبت ربوع اليابان غربا وشمالا ، ورأيت آثار القنبلة الذرية فى هيروشيما • رأيت النظام ، والنظافة ، وحب العمل ، والولاء للجماعة ، والاخلاص لقضية ، والاحساس بالواجب الى حد الانتحار • ما ننادى به منـذ فجر النهضة الحديثة يعملون هم به • يوجد قطاع غربى مستغرب ، الاكثر من الشباب والاقل من الشيوخ • الغرب وأمريكا مثل أعلى يمكن تجاوزه بعد تعلمه وتمثله • يبدو أن الهزيمة العسكرية قد تحولت الى نصر اقتصـادى ، وأن المجال الحيوى اليابانى الذى ظل مجموع دول شرق آسيا بما فى ذلك سيبيريا والصين ، والمحيط الهـادى حتى سواحل أمريكا الغربية ظل هو كذلك تجارة واقتصادا واستثمارا •

وكان على الخيار بعد ذلك اما البقـاء فى اليابان فى جامعة الامم المتحدة فى طوكيو أو عائدا الى العالم العربى الذى أحن اليه والذى

يحل أيضا مشكلة تعليم أولادى الثلاثة لما كان التعليم الخاص فى اليابان لا يقوى على مصروفاته أحد . قلت أجرب فصلا دراسيا واحدا فى جامعة الامارات العربية المتحدة . وكنت قد راسلتها منذ عام ، وطلبوا مقابلة فى لندن أثناء وجودى فى المغرب فى أواخر يونيو ١٩٨٤ ، ووصلت متأخرا الى لندن من جبل طارق ولم أستطع الانتظار يوما واحدا فقد أزف موعد الرحيل من المغرب فى ٣٠ يونيو ١٩٨٤ . فاعتذرت عن المقابلة ، وطلبت تأجيل النظر فى أمرى ستة أشهر على الاقل حتى أعود من اليابان فى ربيع ١٩٨٥ . ذهبت أستاذا زائرا الى جامعة الامارات العربية المتحدة فى الفصل الدراسى الثانى . وكانت تجربة ثانية جديدة وفريدة . فقد عشت فى الخليج الاسطورى حيث توجد عوائد النفط ولو نظريا . ورأيت الجامعة والشعب والدولة . الجامعة أقرب الى المعسكر للتدريب ، فصل الطلبة عن الطالبات ، وعزل عن المجتمع والوطن والدولة . المرتب الكبير يغرى أن يتحول التدريس الى تلقين ممن يعلم لمن لا يعلم . تسيطر على الجامعة التيارات الايمانية التى تزايد فى الايمان تقربا الى السلطة . أما النشاط العام فلا وجود له الا فى اطار الدعوات الرسمية . كل فكرة يحملها طالب أو طالبة عن الفرد أو التاريخ أو المجتمع أو أى ذكر لماركس أو هيجل يكون من هذا الاستاذ الزائر . وفى المقابلة فى نهاية الفصل الدراسى سألنى الاعضاء عن أشياء نسأل نحن عنها طلبتنا فى الثانوية العامة . كان المعروض أكثر من المطلوب . ولماذا الصداع ؟ وأدركت مأساة الخليج : عصابة كبرى وهو الغرب والولايات المتحدة بيدها كل شىء المال والاقتصاد والامن والمصير ، وعصبة أصغر بيدها أمور الحكم . هؤلاء هم الحكام . أما المحكومون فالمهاجرون طلاب الرزق ، العرب من الشام ومن مصر

يسيطرون على الادارة وجهاز الحكـم ؛ والاسيويون الذين بيدهم الاسواق ؛ ويقومون بشتى الاعمال اليدوية • لا يتكلمون العربية ؛ هم « البيتان » المهاجرون من الساحل الشرقى للخليج ؛ مجتمع رجالى بالاصالة ، يعيشون بلا أسر ، ذلك شرط العقد حتى لا يستوطنون • يرسلون الاجور لذويهم • هم ملك اليمين ، مستأجرون ، يفسخ السيد عقودهم فى أية لحظة • نعارض العنصرية فى جنوب آفريقيا ؛ والعنصرية ضاربة فينا ، ونحن له مسلمون •

عدت الى طوكيو مستشارا علميا لجامعة الامم المتحدة على مدى عامين ١٩٨٥ — ١٩٨٧ وهناك عرفت المجتمع الدولى ؛ وتعاملت مـع الباحثين الدوليين ؛ وتمرنت على مصطلحات العلوم الانسانية ، وعرفت موازين القوى الدولية ، وأشرفت على مشروع « رؤية الاديان والمذاهب الاخلاقية للمجتمعات المثالية » وطبقته على الاسلام . والمسيحية ؛ والبوذية ، والهندوكية • وعشت صراع الجامعة بين الاداريين والعلماء، بين الادارة والبحث العلمى • حاولت أن أحول ادارة الجامعة الى مكان للبحث العلمى ، وأن أربط باحثيها بالجامعات اليابانية التى مازال نظام التعليم فيها يرفض التعليم الاجنبى الدخيل • حاولت عقد حلقات بحث اسبوعية لقسم العلوم الانسانية ، واستضافة الزوار • كانت شبكة العلوم الانسانية معظمها من العالم الثالث لان الجامعة كانت فكرة السكرتير العام السابق للامم المتحدة يوثانت من أجل التقاء المفكرين والعلماء من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية • كان معظمها يسار حول نائب رئيس الجامعة اليابانى المتعاطف مع قضايا العالم الثالث • ولكن الغرب بوجه عام وأمريكا بوجه خاص كانت واقفة بالمرصـاد ، ضد مجموعة اليونسكو التى بدأت تعصى الغرب باعلانها عن « النظـام

الاعلامى الجديد » وبقرارها اعتبار الصهيونية حركة عنصرية • انسحبت أمريكا من اليونسكو وأرادت املاء شروطها بابعاده عن السياسة • وأملت نفس الشروط على جامعة الامم المتحدة تدريجيا حتى انفض القسم ، وتبعثرت الشبكة ، وأصبحت الجامعة فى طريقها الى أن تكون مركز تدريب للمهنيين من العالم الثالث لمواجهة قضايا الجوع والطاقة والاسكان • أما الافكار ، والمذاهب ، والايديولوجيات فهذا كلام لا يأتى منه الا الصداع ، يحسنه الغرب ويطنطن به العالم الثالث ، والافضل أن يبقى المركز مركزا والمحيط محيطا ، السيد سيدا ، والعبد عبدا • زرت أرجاء آسيا وأفريقيا اتصالا بالعلماء والباحثين وفى مؤتمرات الجامعة الدولية : الهند ، اندونيسيا ، الملايو ، سنغافورة ، الفلبين ، السنغال •• الخ • وكتبت عدة دراسات ألقيتها فيها وكان من أشهرها « العلم الاجتماعى الجديد » الذى كنت أنوى تقديمه كمشروع بحث علمى لقسم الدراسات الانسانية عامى ١٩٨٨ — ١٩٩٠ وهو يعادل الجبهة الثانية من مشروع « التراث والتجديد » وهو « موقفنا من التراث الغربى » من أجل القضاء على المركزية الاوربية وافساح المجال للابداع الذاتى ، من أجل اعادة التوازن بين المركز والاطراف ، ولتأسيس « علم الاستغراب »(٤٤) •

---

(٤٤) أجمع معظم هذه الدراسات فى مجموعتى الانجليزية الثانية بعنوان :

Islam, Religion, Ideologie and Development, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1989 (In print).

وجدير بالذكر دور الباحثين المصريين فى الجامعة وفى مقدمتهم د. أنور عبد الملك منسق مشروع « البدائل الاجتماعية والحضارية فى عالم متغير » ومشروع « الفكر الاجتماعى الجديد » وأيضا د. اسماعيل صبرى عبد الله منسق مشروع « المستقبلات العربية البديلة » ، د. سمير أمين منسق مشروع « الرؤية الافريقية » .

كان عيب الجامعة بالنسبة لى ، بالاضافة الى الصراعات الداخلية ، بين الادارة والعلماء ، هو اليوم الكامل فى العمل • وكنت قد بدأت وأنا أستاذا زائرا فى جامعة طوكيو ثم فى الامارات العربية المتحدة جمع ماده محاولتى الثانية « من النقل الى الابداع » لاعادة بناء علوم الحكمة • كنت أعمل بعد منتصف الليل بقليل حتى الساعة التاسعة صباحا قبل الذهاب الى الجامعة • ويبدأ نومى فى السابعة مساء • وأعمل فى علوم الحكمة يومى السبت والاحد والعطلات الرسمية وما أقلها • ومع ذلك ، على مدى ثلاث سنوات فى طوكيو (١٩٨٥ — ١٩٨٧) أنهيت جمع المادة كما فعلت بالنسبة لمحاولتى الاولى لجمع مادة علم أصول الدين فى الولايات المتحدة على مدى ثلاث سنوات كذلك (١٩٧٢ — ١٩٧٤) • وكنت تواقا الى العودة الى أرض الوطن الى جامعتى ، خاصة وان محاولتى الاولى كانت على وشك الظهور ، ومحاولتى الثانية كانت فى الاعداد حتى أبدأ حياة استقرار وتعليم واعداد لمجموعة من الباحثين • أدركت أن مشروع « التراث والتجديد » هو مشروع جيل بأكمله يحتاج الى فريق من الباحثين • طوى أكثر العمر ومازلت فى المحاولة الثانية من الجبهة الاولى « موقفنا من التراث القديم » التى تشمل سبع محاولات • ومتى لى بالمحاولات الثلاث فى الجبهة الثانية « موقفنا من التراث الغربى » ، والمحاولات الثلاث للجبهة الثالثة « موقفنا من الواقع أو نظرية التفسير » ؟

تاسعا : بداية التأسيس العلمى (١٩٨٨ —) •

وبالرغم أن السيرة الذاتية لا تتعلق بالمستقبل بل بمراحل ولت وانقضت الا أنه يمكن استقراء المرحلة الحالية والتى أرجو أن تكون الاخيرة من المراحل الماضية • فمنذ عودتى من الشرق فى صيف ١٩٨٧

وكان همى اصدار طبعة مصرية شعبية لمحاولتى الاولى « من العقيدة الى الثورة » بعد أن تأخرت الطبعة البيروتية • وقد تم ذلك بالفعل واستغرق ما يقرب من ثلاثة أرباع العام لطبع مجلدات خمسة فى ظروف النشر فى مصر • ولما خاف الناشر اللبنانى سرقة السوق منه ، أسرع فى اصدار الطبعة البيروتية فى نفس العام •

ولما كانت هذه المحاولة الاولى أقرب الى العقيدة منها الى الثورة ، وأقرب الى التراث منه الى التجديد قررت أن أجمع نشاطاتى الفكرية الصحفية العامة من ١٩٧٦ — ١٩٨١ وهى شهادتى الثانية على أحداث العصر ، الثورة المضادة فى مصر • وكنت قد أعلنت أنها ستكون « قضايا معاصرة » الجزءان الثالث والرابع ، الثالث « فى الثقافة الوطنية » والرابع « فى اليسار الدينى » • ولكنى خشيت من تضخم كل جزء مما يصعب معه حمله • وكنت أريد أن أجعله شعبيا ينافس مشايخنا الاجلاء ، وموجها الى جماهير سيد قطب والمتولى الشعراوى على نواحى الطرق ولدى باعة الصحف • فقررت اصداره فى ثمانية أجزاء على هذا النحو الذى تم به وجعلت عنوانه « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » مصنفا مواده قدر الامكان طبقا لموضوعات متمايزة • وقد استغرق ذلك أيضا حوالى ثلاثة أرباع العام • وبالتالى أكون قد شهدت على عصرين مرتين ، الاولى بعد الهزيمة (١٩٦٧ — ١٩٧١) ، والثانية ابان الثورة المضادة (١٩٧٦ — ١٩٨١) ، أخاطب الجمهور العريض حوالى عشر سنوات من العمر على هامش « التراث والتجديد » الموجه للخاصة • لم أكن أستطيع الا هذا ، ولم يكن بوسعى الا ما فعلت ، وكأن الاحداث تسيرنى وأنا الذى طالما أثبت خلق الافعال • لذلك لا أريد صحفيا يسأل حديثا ، ولا باحثا يطلب بحثا • اللهم الا اذا

تم بيع الوطن من جديد أو حاقت بـــه الاخطار التى تهدد حاضره ومستقبله أو ضاقت عليه الارض بما رحبت . وأرجو ألا يكون •

وقبل أن أتفرغ الى مرحلة التأسيس العلمى بقى لدى عـــدة مساهمات جانبية مثل البيان النظرى الثانى عن الجبهة الثانية « موقفنا من التراث الغربى » بعنوان « مقدمة فى علم الاستغراب » أحاول فيه تحديد موقفى بالنسبة للغرب • فيبدو أنه مازال هو الاطار المرجعى ونقطة الاصالة الدائمة فى مناقشات المثقفين والعلماء لمحاولتى الاولى تكرارا لما حدث مع القدماء بجعل اليونان نقطة احالة مستمرة لفهم المسلمين ، الانا من خلال الآخر • وسيصدر ذلك خلال هذا العـــام ١٩٨٩ • فلقد تتأخر أجزاء الجبهة الثانية ريثما أنتهى من أجزاء الجبهة الاولى •

وقد أعددت أيضا كتابا عن « فشتة ، فيلسوف المقاومة » بمناسبة مرور أربعين عاما على احتلال فلسطين ١٩٥٨ — ١٩٨٨ وبمناســـبة مرور عشرة أعوام على كامب دافيد ١٩٧٨ — ١٩٨٨ والآن ربما يكون له دلالة أكثر بمناسبة مرور عام على الانتفاضة واعلان الدولة الفلسطينية المستقلة • أبين للناس كيف يكون عليه الفيلسوف ، كيف يجسد روح أمة ، ويعبر عن مطالب شعب ، يصوغ كل فلسفته طبقا لمطالب العصر : نظرية فى الوحى باعتباره أخلاقا ، ونظرية فى الثورة باعتبارها دفاعا عن حرية الفكر ، ونظرية فى العلم باعتباره تحررا ، ونظرية فى المقاومة ، ونظرية فى الاخلاق ، ونظرية فى القانون •• الخ الخ • حتى تتجسد الفلسفة أمام الطلاب وتخرج عن نطاق الكتب المقـــررة والعبارات المحفوظة • وسيصدر أيضا هذا العام •

بعد ذلك تأتى مرحلة التأسيس العلمى من أوسع أبوابها باعتبارها المرحلة الاخيرة . وسأدخل المواطنة داخل العلم لينتهى التجاور بين العلم والمواطنة . لقد أحسست بعد انتهاء محاولتى الاولى بما نقدنى به الزملاء ، شيوخا وشبابا ، الخطاب المزدوج ، القفز من مستوى الى آخر ، وصف نشأة النص تاريخيا أو اعادة قراءته دلاليا ، الحقيقة العلمية أم الاثر العملى . عابت محاولتى الاولى أننى كتبتها على فترات متقطعة على مدى اثنى عشر عاما فخرجت غير متوازنة بين المطلبين . ولقد تعلمت الآن . لذلك أقوم فى مقدمة محاولتى الثانية « من النقل الى الابداع » بنقد ذاتى لمحاولتى الاولى كنوع من الاستدراك وكنوع من السيرة الذاتية أيضا داخل العلم خاصة فى أولى مرحل بنائه .

سأنتبه الى تكوين الباحثين الشبان ، فمشروع «التراث والتجديد» أقرب الى عمل الفريق والدراسات الموازية منه الى عمل فرد واحد ، وتأسيس « الجمعية الفلسفية المصرية » وانشاء « مركز الدراسات الفلسفية » لتخريج باحثين متمكنين هادفين متجردين للبحث العلمى ، وانشاء « مجلة الجمعية الفلسفية المصرية » لتكون منبرا للحوار الفلسفى . يبدو أن مرحلة التأسيس العلمى لا تبدأ الا بعد الخمسين وربما الستين عندما يتفرغ الانسان من هموم الدنيا ويتجرد عن الاهواء ليتجه الى البحث العلمى الرصين بأعمال تأسيسية تكوينية تصبح علامات على مسار التاريخ .

---

(٤٥) « التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم » ص ٢٠٣ — ٢١٦ ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ .

وعلى هذا أصف مشروع « التراث والتجديد » وهو كما وصفت منذ عشر سنوات على النحو الآتى :

القسم الاول (الجبهة الاولى) : موقفنا من التراث القـديم (البيان النظرى الاول)

الجزء الاول : من العقيدة الى الثورة ، محاولة لاعادة بناء علم أصول الدين (خمسة مجلدات) •

الجزء الثانى : من النقل الى الابداع ، محاولة لاعادة بناء علوم الحكمة (مجلدان) •

الجزء الثالث : من الفناء الى البقاء ، محاولة لاعادة بناء علوم التصوف (مجلدان) •

الجزء الرابع : من النص الى الواقع ، محاولة لاعادة بناء علم أصول الفقه (مجلدان) •

الجزء الخامس : من النقل الى العقل ، محاولة لاعادة بناء العلوم النقلية (خمسة مجلدات) •

الجزء السادس : الانسان والتاريخ ، محاولة لاعادة بناء العلوم الانسانية (مجلدان) •

القسم الثانى (الجبهة الثانية) : موقفنا من التراث الغربى (البيان النظرى الثانى) •

الجزء الاول : مصادر الوعى الاوربى •

الجزء الثانى : بداية الوعى الاوربى •

الجزء الثالث : نهاية الوعى الاوربى •

القسم الثالث (الجبهة الثالثة) : موقفنا من الواقع أو نظرية التفسير (البيان النظرى الثالث) •

الجزء الاول : المنهاج(٤٦) •

الجزء الثانى : العهد الجديد •

الجزء الثالث : العهد القديم •

ويبدو المشروع على هذا النحو غير متساوى الاضلاع اذ ترجح الجبهة الاولى الجبهتين الثانية والثالثة كما مما يدل على أن اعادة بناء الانا هو الاساس قبل اعادة تكوين الآخر أو أن فسحة العمر فى البداية تضيق فى النهاية •

وعلى هذا النحو تنتهى هذه المحاولة المبدئية لسيرة ذاتية بعد أن انقضى من العمر أعظمه وبعد اتضاح معالم المشروع وبعد أن تم انكشاف المصير ، مجرد نواة طبقا لمقتضى الحال وقبل السيرة الذاتية الاخيرة بعد انتهاء المشروع • كل مراحلها بداية • فالحياة تبدأ ثم تبدأ من جديد الى ما لا نهاية • فأنا ابن الاصولية الاسلامية ، تاريخها الموضوعى هو سيرتى الذاتية • قد لا تتوازن السيرة بين العام

---

(٤٦) المنهاج هو تفسير موضوعى للقرآن الكريم عن طريق تحليل المضمون ابتداء من الوعى الفردى ثم الانسان مع الآخرين ثم الانسان فى العالم فى بؤر ثلاث متداخلة . وقد بدأت به خشية أن ينقضى العمر .

والخاص : بين الموضوعى والذاتى . بين غير الدال والدال . بين الدلالة والحدث ، بين التطور والبناء . بين السرد والمعنى . بين السند والمتن . بين الواقع والحلم : بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون . بين التجلى والخفاء ، بدافع الحياء خاصة وأن المعاصرين مازالوا أحيـــاء : بين الواقع التاريخى والادب الانشائى • كما أنى لا أرسم صـــورة مثالية لى فبى عيوب البشر جميعا • انما حاولت أن أترك سيرة للناس • فربما يصيبنى مكروه ارادى أو غير ارادى : « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت » •

الاخوان المسلمون : الخسارة والمكسب ، والتطوير

١ ـ ماذا خسرت مصر بالقضاء على الاخوان المسلمين ؟

والحقيقة أن الاخوان المسلمين لم يقض عليهم لانهم جزء أصيل من هـذا الشعب فكرا وقاعدة • فالاسلام باق ، والجماهير موجودة ، وهما ركيزتا الاخوان المسلمين • بل أن نشاطهم لم يتوقف علنا أم سرا • وكانت دهشة أجهزة المخابرات عندما تقبض على الكشـوف القديمة فتجد بين من تعتقلهم شبابا فى سن العشرين أى أنهم ولدوا بعد الثورة ، ولم يعرفوا نشـاط الاخوان الذى توقف منذ أزمـة الديمقراطية فى مصر فى مارس ١٩٥٤ (أى أن الفكر والجماهير معا كانا يولدان نشاط الجماعة ، وكان الشباب ينشط تلقائيا فى فكر الجماعة وتراثها • ومن ثم فالقضاء على الاخوان المسلمين أسطورة • وكيف يقضى على الفكر الاسلامى ؟ وكيف يقضى على جماهير المسلمين ؟) •

ومع ذلك ، لقد خسرت مصر كثيرا بمحاولة السلطة السياسـية القضاء على الجماعة أو ايقاف نشاطها فى الاثنين وعشرين سنة الماضية• وأهم هذه الخسائر ما يلى : ـ

١ ـ وقف التطور الفكرى للجماعة ، وهى خسارة كبيرة على مستوى الفكر الاسلامى الحديث • (فقد كان الاخوان المسلمون حركة اصلاحية أصيلة نابعة من فكرنا الاصلاحى الحديث منذ ابن تيمية ،

الجمهورية ١٩٧٦/٣/٢٠ والفقرات الموضوعة بين قوسين حذفهـا رئيس التحرير •

وابن القيم ، ومحمد بن عبد الوهاب ، والمدرسة السلفية بوجه عام ، ومن خلال الافغانى ، ومحمد عبده ، والكواكبى ، ورشيد رضـــا ، وقاسم أمين ، وسيد خان ، ومحمد اقبال • وامتاز فكر الشـــهيد حسن البنا بالوضوح والايجاز والتركيز • كما امتاز أسلوبه بالاقناع • ثم تطور فكر الجماعة على يد المفكر الشهيد سيد قطب • وتحول الاسلام الى نظرية فى العدالة الاجتماعية ، والسلام العالمى ، والتحرر الانسانى• كما أصبح أيديولوجية شاملة تعطى تصورا فلسفيا للعالم ، ونظرية فى الفن ، ومنهجا فى التفسير • ولسوء الحظ توقف هذا التطور الفكرى باستشهاد مفكرها الاخير • ومن يدرى ماذا يدور فى عقول مفكرى الاسلام الآن ؟) •

٢ — نظرا لغياب التيار الاسلامى الاصيل على مدى العشرين سنة الماضية ، وحضور كل التيارات الفكرية الوارد منهـــا والمحلى والذى تتأصل جذوره فى ثقافات أجنبية أو الذى يقوم على التسطيح والهراء والكلمات المحفوظة والشعارات الرنانة ، وكلاهما لم يفرزا فكر ، ولم يجندا شعبا ، نظـــرا لهذا الغياب لم ينشأ مفكرون اسلاميون جدد ، يطورون الفكر الاسلامى ، ويدفعون حركة الاصلاح الدينى الحديث التى لم تؤت بعـــد كل ثمارها (والتى لم تستنفذ بعـــد كل أغراضها حتى انه ليعجب الانسان ، أهذه هى مصر كعبة الاســـلام والمسلمين ، خاوية الوفاض من فكر اسلامى أصيل ، ومرتعا لكل انحراف دينى ممثل فى الدعوات الصوفية أو فى الادعاءات التجديدية باســـم الانسان مرة ، وباسم العلم مرة أخرى أو فى التجارة التقليدية بالدين ، ومزايدة المفكرين والمفكرات ، بعضهم على بعض ، فى الموالد والاعياد أو فى بعض الومضات الاصلاحية السريعة الجادة فى صفحات الفكر

الدينى من جرائدنا اليومية : مرة كل أسبوع لا تكفى لمجابهـة عظم المسئولية التاريخية ؟) •

٣ — لما كانت الجامعة ، بل والمدارس الثانوية والابتدائية قبل الثورة ، هى قلب مصر النابض ، وهى مقياس تطورها الفكرى ونضالها السياسى فان الفكر الاسلامى كما تمثله جماعة الاخوان كان هـو التيار السائد والرئيسى فى الجامعة المصرية فى أقل من سنتين منذ بداية الثورة حتى أزمة مارس ١٩٥٤ • (فقد عرفت الجامعة قبل الثـورة التيارات الوطنية التقليدية وعلى رأسها الوفد والتيار الوفدى الشعبى الذى عم مصر والجامعة فى أوائل الخمسينات حتى قيام الثورة • فقد كانت الاتحادات الطلابيـة فى معظمها من الاخـوان • وعلى مدى العشرين سنة الاخيرة خبا الفكـر الاسلامى فى الجامعـة ، وخفت صوت الجماعات الاسلامية • ولم ينشأ فكر اسلامى أصيل من داخل الجامعة اللهم الا فى الفترة الاخيرة بظهور الجماعات الاسلامية التى مازالت تتبنى الفكر الاسلامى كما تركته الجامعة منذ أكثر من عشرين عاما بلا تطوير) •

٤ — غياب التربية العقائدية للشباب ؛ فقد كانت جماعة الاخوان والشيوعيون يمثلان عطاء أيديولوجيا أمام الشباب يتربى فيـه منذ وعيه بالفكر ، فى المدارس والجامعات • (وكان الشباب يؤمن بالعقائدية ايمانا جادا ، ومسـتعدا للتضحية بوقته وحيـاته من أجل نصرة عقائده • ولم يمنع الخلاف العقائدى فى أوائل الخمسينات من تبنى برنامج سياسى موحد حول جلاء القوات الاجنبية ، ووحدة وادى النيل، والقضاء على الملكية • ومنذ عشرين عاما ، وفى غياب العقائدية ، نشأ الشـباب على تجربة التجارة بالمبادىء ، والكلمات الجوفاء ، والشعارات

الرنانة ؛ وممارسة النفاق السياسى ؛ ومخالفة السلطة . ومنذ وقت قليل يتغير الحال الآن بظهور الشباب العقائدى . ولكن تظل الاغلبية ضحية الفراغ الفكرى الذى عاشه الشباب فى عمر الثورة) .

٥ — وفى غياب التنوير الدينى يظهر التزمت فى الدين والتعصب له . فقد كثرت فى العشر سنوات الماضية ومنذ الهزيمة مظاهر التزمت الدينى فى السلوك والتعصب العقائدى له . وظهرت الطرح البيضاء ، وكثر بناء الجوامع ، وقويت أصوات مكبرات الصوت بالآذان ، وأضيئت المآذن ، وكبرت الصلوات فى أجهزة الاعلام . وبعد النصر فسرت الهزيمة بأنها كانت لبعدنا عن الدين . وجاء النصر ، وازداد التزمت . (فالدين كان سبب النصر . وكثر الحديث عن قانون العقوبات ، قطع يد السارق ، ورجم الزانى . وظهرت الجماعات الاسلامية السرية لقلب نظم الحكم ، وانشاء الدولة الاسلامية . واتهم كل من يفكر مستقلا عن السلطة الدينية بالالحاد والكفر ، وأبيح هدر دمه . فاذا غاب الفكر الاسلامى الرشيد ظهر التزمت العقائدى والسلوكى) .

٦ — وفى غياب الصراحة الفكرية والايمان الصادق يسود النفاق الدينى والانحـــلال . فكلنا نبكى الآن على غيــاب القيم ، وضياع الايمان . وكلنا نتحسر على سلوك بعض من فتيات مصر فى المدارس والجامعات وعلى دورانهن على الشقق المفروشة مع اكثارنا من البرامج الدينية ، ورفعنا للشعارات الدينية . فى حين أن الاخوان قد استطاعت تربية النشء ، فتيان وفتيات . وكان الاخوان والاخوات قدوة حسنة للسلوك الاسلامى فى الحياة الخاصة والعامة على السواء . (فقــد كانت شعب الاخوان فى الاحياء الشعبية تمثل مدارس للتربية الدينية والقومية . وكان العمال والموظفون الاخوان مثالا للاخلاص فى العمل

والدقة والامانة . خسرت مصر فرصا كثيرة لتربية أبنائها وبناتها . وماذا ينفع البكاء ؟) .

٧ — كانت جماعة الاخوان تمثل تيارا أصيلا فى مجتمعنا . وكانت على وعى بقضايا التراث والتجديد . وكانت تأخذ مواقف حاسمة بالنسبة للتراث الغربى ، والتبعية للآخرين ، وتقليد مظاهر المدنية الغربية ، والافتتان بقشور الحضارة . (كما نبه على ذلك الافغانى ، ومحمد عبده ، ومحمد اقبال ، ورشيد رضا وغيرهم من زعماء الاصلاح . ومنذ توقف نشاط الجماعة والافتتان بالغرب يزداد، والتقليد للآخرين يقوى ، والتهافت على البضائع المستوردة ، وعلى البيع والشراء بالعملات الحرة ، والجرى وراء أنماط الاستهلاك . ثم نبكى على قتلانا فى شوارع الشواربى ، ونتوعد بالعقاب تجار الشنطة والبضائع المهربة . نمسك بالمعلول ونترك العلة . ونرى النتيجة ونعمى عن السبب . نشأ الشباب فلم يعرف الا تقليد الغرب فى غياب حركة أصيلة تأخذ موقفا نقديا منه كما كانت تفعل جماعة الاخوان المسلمين) .

٨ — ولقد عرفت مصر بفكرها المعتدل ، وفهمها المتوازن للاسلام . ولكن نشأت فى العقد الاخير انحرافات دينية ، وكثرت الفرق الصوفية، وقوى سلطان المشعوذين والدجالين باسم الدين . وانفتحت طاقة الغيبيات ، الكل ينهل منها ، ويتطلع اليها فى حين أن الغيب فى علم الله وحده . (وكثر حديث الناس عن عالم الجن والملائكة ، وعن المبشرين بالجنة ، وعن القيامة والحساب ، وعن القوى غير المرئية التى تهب النصر ثم تساءلنا : ما بال الشباب ينحرف الى أولئك أم الى

هؤلاء ؟ ففى غياب فهم للدين قائم على التحليل العقلى وتحليل الواقع تسود الخرافات ، وينحرف الشباب) •

٩ — واذا كنا نشكو من فراغنا السياسى منذ قيام الثورة التى لم تستطع أن تعطى بديلا عن الاحزاب السياسية والحركات الوطنية التى كانت موجودة قبلها والتى اصطدمت بها ، وقضت على تنظيماتها فان هذا الفراغ كان يملؤه الإخوان المسلمون • (كان الاخوان حركة جماهيرية تقوم فى الاحياء الشعبية ، وتزخر الشعب بالمواطنين • وتتكاثر الشعب ، وتتوالد الاسر حتى أصبحت التنظيم الجماهيرى الوحيد القادر على تحريك جموع الشعب فى الريف وفى المدن وفى المدارس والجامعات ، فى المصانع وفى المتاجر ، فى الدولة وفى الجيش • كانت اطارا للتحالف بين كل قوى الشعب • وجد الطالب نفسه مع العامل والفلاح والتاجر والجندى • الكل يجمعه فكر واحد ، والكل مستعد للعمل والتضحية فى أية لحظة ، وما كان أحد يشكو الفراغ) •

١٠ — بالقضاء على الاخوان المسلمين ووقف نشاطهم الرسمى قضى على أكبر تجمع اسلامى فى مصر ، أكبر دولة اسلامية ناطقة بالعربية ، وتوقفت احدى الجرائد الاسلامية الكبرى • ومنذ ذلك الوقت ومصر كعبة الاسلام ، وقبلة المسلمين ، خالية من تجمع اسلامى كبير بصرف النظر عن الجمعيات الاسلامية الخيرية والاندية الاسلامية الرياضية والثقافية وجماعات نشر الدعوة بل وبصرف النظر عن الجامعات والمعاهد والمدارس الاسلامية • لم تجد مصر حتى الآن جريدة اسلامية يومية تعبر عن أحد تياراتها الفكرية الاصيلة • كما لم تجد تجمعا اسلاميا تجد فيه جماهير المسلمين تعبيرا عن نشاطها ، وتجميعا لجهودها ،

وتوثيقا لاواصر الاخوة بينها • وكيف يوجد ذلك خارج مصر . وفى العالم الاسلامى غير الناطق بالعربية ولا يوجد فى مصر بكل ثقلهـا وتاريخها ؟

١١ — حققت جماعة الاخوان المسلمين قولا وعملا ما أصبح فيما بعد شعارا لسياستنا القومية أعنى الوحدة العربية • فقد كانت الشعب فى الاحياء المختلفة ، كما كان المركز العـام مركزا للتجمع العربى • وكانت الجماعة على مستوى العـالم العربى موجودة فى سوريا وفى الاردن وفى السودان وفى الجزائر • (كانت عاملا موحدا تعطى فكرا عربيا واحدا ، ونضالا عربيا مشتركا ، لا يقوم على مصلحة حزبية أو على زعامة فردية • فحققت الجماعة بذلك أمل الوطن العربى الواحد ، وأعطت الفكر القومى الواحد وهو ما نعانى من غيابه حتى الآن) •

١٢ — حققت الجماعة أيضا وحدة العالم الاسلامى ، وكانت مركزا من مراكز الالتقاء الاسلامى بين شرق العـالم وغربه ، شماله وجنوبه • وعرفت مصر مفكرى العالم الاسلامى ومؤلفاتهم ونشاطهم • (فقرأ الشباب أبا الاعلى المودودى ، والندوى ، والفاسى ، والسباعى ، والبشير الابراهيمى وغيرهم • وعرفت مصر أحوال المسلمين فى الهند والصين وخراسان وسجستان وما وراء النهر • وسمعت عن انتشـار الاسلام وعن المسلمين فى البلاد الغربية وفى أمريكا • وسمعت عن نضال السلطان جاليف ، وعن نضال حيدر أباد الدكن وعن عثمان دنقـة بالسودان) •

لقد آن لمصر أن تعيد حساب خسارتها •

٢ ــ ماذا كسبت مصر من جماعة الاخوان المسلمين ؟

فى مقالنا السابق « ماذا خسرت مصر بالقضاء على جماعة الاخوان المسلمين ؟ » الذى نشر مضغوطا تحت عنوان « ماذا كسبنا مع الاخوان ؟ » ومختصرا الى النصف حتى بدت الجماعة منفصلة عن تاريخ فكرنا الدينى وعن حال مصر الحاضرة ، أبين فى هذا المقال الثانى « ماذا كسبت مصر من جماعة الاخوان المسلمين ؟ » راجيا أن تترك صفحة الرأى الآراء بلا ضغط أو اختصار مما يغير من المعنى المقصود . لقد كسبت مصر الآتى :

١ ــ لقد عرضت الجماعة لاول مرة فى تاريخنا الاصلاحى الحديث الدين باعتباره ايديولوجية ، وتربى شباب مصر تربية فكرية على أساس أيديولوجى مما جعله معتزا بما لديه ، وقادرا على الوقوف أمام الايديولوجيات المعاصرة ، وعلى رأسها الماركسية والليبرالية ، وظهر الاسلام ليس فقط كعقيدة وشريعة ، وهما ما ورثناه من القديم ، بل كأيديولوجية على مستوى أيديولوجيات العصر ، وعرضت على المستوى النظرى نظريات الاسلام الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية والفنية التى كانت تسد حاجة العصر النظرية . فبينما كانت الجماعة لديها وضوح نظرى ، ونظرة متكاملة للحياة كانت الاتجاهات الاخرى ، باستثناء الماركسية ، مازالت تتحسس طريق النظرية ، وهو ما نعانى منه حتى الآن .

الجمهورية ١٩٧٦/٥/١٠ والفقرات الموضوعة بين قوسين حذفها ايضا رئس التحرير .

٢ ـ كانت هذه الايديولوجية تشمل كل عناصر البرنامج الوطنى الذى اجتمعت عليه الاحزاب الوطنية فى ذلك الوقت . والذى تبناه الضباط الاحرار ، وعلى رأسه القضاء على الاستعمار واحتلال الارض ، والقضاء على الملكية والقصر ، والقضاء على الاقطاع • (وقد دعم زميلنا د• عبد العظيم رمضان فى دراساته الاخيرة ذلك ؛ فكانت لدينا أيديولوجية وطنية من طراز الافغانى من أجل مقاومة المحتل ، والقضاء على الاقطاع ، ومن طراز السلفية المستنيرة عند ابن تيمية : الدين فى مواجهة الصليبين • وقد حاولنا نحن تحقيق البرنامج الوطنى الخالص وفصمناه من أساسه الدينى ، فتحقق البرنامج متميعا ؛ ثم تسرب ما أردنا القضاء عليه من الباب الخلفى فى الاحتلال الجديد ، والاقطاع الجديد ، والقصور الجديدة !) •

٣ ـ لاول مرة يخرج فى مصر كل الشباب بثقلهم فى معترك السياسة ، وعادت للاسلام صورته الاولى فى التوحيد بين الدنيا والآخرة ، بين الدين والدولة ، بين المسجد والشارع (ولم تقل الجماعة « لعن الله ساس ويسوس » كما قال محمد عبده عندما شارك فى الثورة العرابية ثم تراجع عنها ، ولكن المسلم هو الذى « يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » ، أى أنه هو الذى ينزل فى معترك الحياة اليومية • وفى السودان الآن كل من ينقد التصوف والانعزالية الدينية فهو اما وهابى أو اخوانى ! قدمت الجماعة لمصر خيرة شبابها فى معترك السياسة• وبالتالى قضى على كل مظاهر الكهنوت الدخيلة على الاسلام ، والطارئة على حياة المسلمين فى عصورهم الآخيرة) •

٤ ـ أعطت الجماعة شباب مصر دفعة قوية نحو الشرعية ، وفهم

الظواهر الاجتماعية والسياسية فهما شرعيا ، مما يؤدى بطبيعة الامر الى عدم التسليم بالامر الواقع الذى يخرج على الشرع ، فتحـرر شباب مصر من الخوف ، واستطاعوا الجهر بالقول ، بل وحاولوا تغيير الامر الواقع من أجل الشرعية • (ولم يتهيب الناس من « السلطة » وهى احدى محرمات ثلاث فى ذهننا مع « الدين » و « الجنس » لا يمكن لمسه أو الحديث عنه أو تحليله • نشأ لدى الشباب هـذه الجرأة على الواقع ، وهو ما نعانى من غيابه حتى الآن) •

٥ ــ فى وسط الصورة التى كانت فى أذهان الشعب عن الاحزاب، من فساد ، ومصالح ذاتية ، وأطماع شخصية ، ومعارك جانبية « كل حزب بما لديهم فرحون » ، كانت جماعة الاخوان تمثل صورة أخرى وهى « الحزب النظيف » ، وقد بقيت الجماعة لهذا السبب حتى بعد قانون حل الاحزاب لانها ليست حزبا ككل الاحزاب « ألا أن حزب الله هم المفلحون » • يمكن للمسلمين أن يكونوا حزبا وأن يدخلوا فى معترك السياسة اليومى ، والحزب هو ممارسة جماعية لعملية التغير الاجتماعى ، وتغيير الوضع القائم الى وضع أفضل ، هو الوضـع الشرعى • والحزب الاسلامى ، الذى مثلته الجماعة كان أكبر رد فعل تاريخى على اللامبالاة عند المسلمين التى عرض لهـا الكواكبى فى « أم القرى » ، ومازلنا نعانى حتى الآن من غياب الممارسة الجماعية للجماهير من خلال الحزب •

٦ ــ تحول الدين من عقيدة الى حركة جماهيرية ، وأصبح الاسلام غذاء الجماهير اليومى ، ولاول مرة فى عصرنا الحاضر ، يجند الاسلام الجماهير بهذه القوة ، وهذا الاتساع ، حتى لتعد الجماعة جزءا من

الحركات الشعبية التى زخر بها العالم الاسلامى : وبهذا امتازت على غيرها من الدعوات التى لم تخرج عن دائرة المثقفين الضيقة أو نطاق الكتب والنظريات . أصبح الدين لمصلحة الجماهير (وأصبح الاسلام دين الشعب ، ووجد الاسلام فى الشارع : فوق الحصير . وعلى المصطبة . وأصبحت الجماهير وريثة العناية الالهية فى القدرة على العمل والحركة) .

٧ — أثبتت الجماعة وجودها فى معاركنا الوطنية وعلى رأسها معارك القناة سنة ١٩٥١ . فقد كان متطوعوها فى الصفوف الاولى . وكان شهداؤهم يودعون الى مثواهم الاخير من الجامعة والشعب : وكان الاستعمار يهاب هذا الجند المسلح الذى يسترخص الموت . وقد كان من شعارهم « والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » : ومن عاشر الجماعة فى فلسطين سنة ١٩٤٨ يذكر أيضا فدائيى الجماعة وكيف كانوا يقذفون أنفسهم فى المعارك وفى قلب المستعمرات الصهيونية على خلاف مقررات الجيوش النظامية .

(٨ — كانت الجماعة دليلا ومؤشرا على أن التيار الاسلامى الاصلاحى الاصيل مازال مستمرا ، وكانت بؤرة يلتف حولها كل مسلم يود جعل اسلامه نظامه فى الحياة ، وكانت مدرسة ينخرج فيها الدعاة ، وكانت جريدة يتطور فيها الفكر الاسلامى ، وكانت محطا لكل زائر اسلامى . كانت معلما من معالم مصر ، وعلامة على طريق مستقبلها وماضيها ومحورا تدور حوله كل قوانا الاسلامية المبعثرة كما هو الحال الآن . لقد كسبت مصر كثيرا ، فلماذا تفرط فيما كسبت ؟) .

٣ ـ كيف يمكن تطوير فكر الاخوان ؟

لم يتوقف الفكر الاسلامى عند احدى لحظاته التاريخية أبدا ، بل تطور طبقا للظروف • وقد تطور فكر جماعة الاخوان منذ نشأتها على يد الشهيد حسن البنا حتى آخر صورها الفكرية عند الشـهيد سيد قطب • والآن بعـد التوقف الفكرى للجماعة على مدى عشرين عاما أو يزيد فانه يمكن تطوير فكر الاخوان كالآتى :

١ ـ تأسيس الايديولوجية العلمانية ، فالاسلام دين علمانى ، يقوم آساسا على رعاية مصالح الناس ، وأن « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » والحاكمية لله تعنى الحاكمية لجماهير المسلمين • فالنظام الثيوقراطى ، كما يقول المودودى الذى تأثرت به الجماعة ليس نظـاما اسلاميا كذلك ، بل النظام الاسلامى هـو القائم على البيعة والشورى ، وتكون الحاكمية فيه للدستور الاسلامى الذى يرعى مصالح الناس ، وهى التى عبر عنها الاصوليون باسم مقاصـد الشرع أو الضرورات الخمس : الدين ، والحياة ، والعقل ، والعرض ، والمال • ومن ثم تصبح الايديولوجية الاسلامية انسانية اجتماعية وليست دينية لاهوتية ، وتكون أيديولوجية علمية تقوم على تحليل العقل ، وعلى وصف الواقع ، وعاد الى الاسلام مدلوله الانسانى العلمانى الاول •

٢ ـ تأسيس الايديولوجية الاسلامية على الاسـتنارة دون التعصب ، واقامتها على العلم دون الجهل ، وعلى البرهان دون التسليم ،

الجمهورية ١٩٧٦/٥/١٩ •

وعلى المبادرة دون التقليد ، ومن ثم يمكن اجراء حوار مع الايديولوجيات الاخرى • التعصب ضعف فى فهم الحق . ونقص فى الدليل . وضرر بالمبدأ . وخسران للناس • لقد عرفت حضارتنا القديمة بأنها حضارة البرهان والدليل . ومن منطقها أن ما لا دليل عليه يجب نفيه . ومن أسسها أن العقل أساس النقل • ان حجة « قال الله » و « قال الرسول » لا تجوز الا عند المؤمنين ، أما برهان العقل ، واحصاء الواقع. فيجوز عند كل جماعة . ولا يرفضه أى انسان • وبالتالى يمكن عرض الايديولوجية الاسلامية عرضا متكاملا ، وبأسلوب علمى مدروس . دون الاكتفاء بالتعبير عن حسن النوايا أو ترديد الشعارات •

٣ — التوسع فى فهم الدين ، وعدم التركيز على مشاكل الجنس والمرأة ، والحجاب والنقاب ، فالاسلام أوسع وأشمل من هـذه النظرة الضيقة للعلاقات الانسانية ، والفضيلة لا تتحقق بالتركيز على الرذيلة بل بالحياة السوية ، وبالانشغال بالقضايا الوطنية الاساسية وعلى رأسها الاحتلال والتخلف • ليس المهم هو تطبيق قانون العقوبات ، قطع يد السارق ، ورجم الزانى ، فالاسلام قبل أن يطالب المسـلم بالواجبات يعطيه الحقوق ، الكفاية والفضيلة ، فاذا وجد كل مواطن كفايته دون أن يجوع ، واذا عاش كل مواطن فى مجتمع الفضيلة ، دون اثارة ، بعد ذلك فقط يمكن تطبيق قانون العقوبات • ليس المهم هو التركيز على المحرمات فان ذلك يدفع الناس اليهـا بل التركيز على المباحات • فاذا نعم الناس بها تلاشت المحرمات من تلقاء نفسها •

٤ — الانفتاح على اليسار ، وتطهير الفكر والسلوك من الآثار الرأسمالية التى روج لها الغرب لصالحه • فالملكية فى الاسـلام لله

وحده ، والانسان مستخلف فيها ، والميراث فى الاسلام لله وحده ، ولا ارث الا بعد وصية أو دين ، ومعاشر الانبياء لم ترث ولم تورث ، وهم القدوة ، والمجتمع الواحد الذى فيه انسان جائع تبرأ ذمة الله منه ، وعجبت لرجل لا يجد قوت يومه ويخرج للناس شاهرا سيفه ! وقد صرخ الافغانى حديثا : عجبت لك أيها الفلاح تشق الارض بفأسك ولا تشق قلب ظالمك ! الاسلام أيديولوجية يسارية بطبعه ، تهدف الى تغيير الواقع ورفض الوضع القائم ، وكان أول من اعتنقها المظلومون والمضطهدون والفقراء والمستضعفون ، وقد اتجه يسار الاخوان فى هذا الطريق ملتحما مع يسار الوفد ومع اليسار الوطنى بكل صوره ، ماركسيا وغير ماركسى ، وبالتالى يمكن للفكر الاسلامى اليسارى أن يكون موطنا لتحقيق برنامج وطنى شامل تتحقق فيه الوحدة الوطنية ، وتلتف حوله الاتجاهات السياسية المختلفة على تباين مدارسها .

٥ — بدلا من الجدل حول الكل أو لا شىء ، وبدلا من قسمة الناس الى مؤمنين وكفار ، وبدلا من قسمة الدار الى دار اسلام ودار حرب ، وبدلا من هدم كل ما هو قائم ثم اقامة الصرح الاسلامى من الالف الى الياء ، بدلا من هذا كله يمكن تطوير الواقع كما هو ، ودفع حركات الاصلاح خطوة الى الامام ، وتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية ، والمطالبة بمشاركة أكبر للجماهير فى السلطة ، وبحرية أكثر فى التعبير ، وتقوية الاواصر بين جماهير المسلمين الذين فرقتهم الحدود الجغرافية المصطنعة التى وضعها الاستعمار ، وتقديم العون لحركات التحرر ، ومساندة قوى التقدم حتى يقترب الواقع من القطاع

الامثل : فألفة الواقع خير من معاداته ، وتبنيه أفضل من رفضه ، وتطويره أجدى من هدمه ، والانتماء اليه أبقى من الغربة عنه .

٦ — انتظار انتشار الايديولوجية الاسلامية حتى تصبح هى الاغلبية ، وتصير حركة جماهيرية تفرض نظامها واختيارها دون التسرع بالقفز على السلطة ، وتحقيق الايديولوجية عن طريق السلطان ، لان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ومن ثم فلا مجال لتكوين جماعات سرية وأجهزة عسكرية للقيام بالانقلاب الاسلامى لتحقيق الامل المنشود . ولا مجال لتصفية الخصوم الفكريين أو السياسيين عن طريق العنف والاغتيالات ، فلا بديل عن الوسائل الديمقراطية لتحقيق نظم الفكر سواء خارج الجماعة أم داخلها ، وهذا يتطلب أكبر قدر ممكن من النقاء الثورى لقادة الجماعة وأكبر قسط ممكن من مراجعة القواعد لها . وأن تأتى الجماعة محمولة على الاعناق خير من أن تطير أعناق خصومها ثم قادتها .

فالتطوير ممكن ، والطريق مفتوح ، والمستقبل مضمون .

أحاديث فى الحركات الدينية المعاصرة

١ ـ أزمة الفكـر الدينى *

● وكان اختلاف الائمة رحمة بينهم .

● عندما انتهى سيد قطب ... انتهت معه فرصة اليسار الاسلامى .

● اختلف الائمة ... ولم يتهم أحد منهم بالكفر .

● السرقة فى الاسلام ... تعنى الرشوة والعمولات أيضا .

روز اليوسف ، ١٩٧٦ ، حوار أجراه محمد عتمان وقد صدرته بالفقرة الآتيـة :

لا خلاف حول أن الفكر الدينى يزداد انتشارا ولا خلاف حول أن الجميع ـ مثقفين وغير مثقفين ـ يعيشون آلام العصر ، ويبحثون عن الخلاص .. والكثير منهم ينظر للدين هذه النظرة الحيوية : ليس مجرد عبادات وعمل صالح يضمن الآخرة لكنه وسيلة اصلاح للحياة بالدرجة الاولى . مع ذلك ، فمازال السؤال المطروح : ماذا قدمت الاجتهـادات الدينية ، ولا نقول الدين ، لمواجهة مشاكل العصر ؟ .. ماذا وضع المهتمون بالدين من نظريات ، ووسائل لعلاج مشاكل المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؟ .. وأين يقف الفكر الدينى الآن ؟ السؤال هام .. والحوار مازال ممتدا . بدأته « روز اليوسف » مع واحد من رجال الازهر هـو الشيخ صلاح أبو اسماعيل .. وتستأنفه مع مفكر اسلامى تخرج فى الجامعة بمصر ، وخارج مصر هو الدكتور حسن حنفى استاذ الفلسفة بجـامعة القاهرة ، والاستاذ الزائر بجامعات فرنسا وأمريكا وعدد من الجامعـات العربية والاسلامية . الدكتور حسن حنفى يرى أن الاسلام قادر على مواجهة مشاكل العصر .. لكنه يعترف بأن الفكر الدينى المعاصر لا يحقق ذلك لانه يعيش الازمة .

ولنستمع الى شهادته .

● ما هى الحالة الراهنة للفكر الدينى اليوم ؟

ـ الفكر الاسلامى فى المرحلة الحالية يمر بأكثر الفترات تخلفا منذ بداية حركات الاصلاح الدينى الاخيرة .. منذ أكثر من مئة عام . ويرجع الى ما كان عليه أيام الدولة العثمانية .. من التركيز على الارادة الالهية . والتى ظهرت فى الاشعرية والصوفية . ورغم محاولات الاصلاح الدينى الاخيرة ــ الافغانى والكواكبى ومحمد عبده ــ والدعوة الى استقلال العقل .. وحرية الارادة .. والديمقراطية والعدالة الاجتماعية .. ومناهضة الاستعمار والصهيونية .. والتخلف والتسلط الا أن هذه النهضة الدينية التى بدأت عند « الافغانى » تقلصت الى النصف عند « محمد عبده » بعد انعزاله عن الثورة العرابية . ثم تقلصت الى النصف ــ مرة أخرى ــ من « محمد عبده » الى « رشيد رضا » . ثم جاء « حسن البنا » ليبدأ من جديد بتصور بسيط وفعال ، وبقدرة عملية ــ غير عادية ــ على التنظيم . وظهرت فى الاربعينات وأوائل الخمسينات بوادر طيبة ، واجتهادات فى الفكر تعيد المحاولة من جديد ــ « سيد قطب » فى « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » ، « ومعركة الاسلام والرأسمالية » ، « والسلام العالمى والاسلام » ــ حيث كان الاسلام طاقة شعبية وحركة وطنية ، وتيارا اجتماعيا ، وثورة سياسية . فكان للاسلام مضمونه الثورى . وكان سيد قطب يكتب فى الفجر الجديد وفى مصر الفتاة . وكان يمكن فى هذه اللحظة التاريخية أن يصبح الاسلام بؤرة للوحدة الوطنية .. تتجمع فيها جميع التيارات السياسية الموجودة فى ذلك الوقت .

● كيف ؟

— يستطيع الاسلام — فى الحقيقة — أن يكون بوتقة تنصهر فيها جميع التيارات السياسية فى مصر والوطن العربى والعالم الاسلامى • فالثورات العربية الحديثة وانجازاتها — بالرغم مما أصابها من انتكاسات — استطاعت صياغة مشروع قومى للنهضة الحديثة ، يتمثل فى مقاومة الاستعمار والصهيونية ، والاقطاع والرأسمالية ، ودعوتها الى التحرر والاستقلال الوطنى والعدالة الاجتماعية • وهذا كله مشروع اسلامى فى جوهره• فالاسلام بما يعطيه من حرية واستقلال ، وبما يتطلبه من مساواة ، وما يفرضه من شورى •• يستطيع أن يحتوى نهضتنا الحديثة ، وأن يضيف عليها الدفاع عن حق الفرد فى التعبير والمعارضة • كما أن ما ينادى به الماركسيون من مساواة طبقية ودفاع عن حقوق العمال ، واقامة المزارع الجماعية ، ومناهضة الاستعمار والرأسمالية ، واقامة نظرة علمية للعالم ، واللجوء الى تحليل العوامل المادية •• كل ذلك يستطيع الاسلام احتواءه • كما أن التيارات القومية والوحدوية ، هى احدى مراحل تكوين الامة الاسلامية التى قامت أولا على توحيد الجزيرة العربية واستقلال العرب •

● كيف تم اجهاض تلك النهضة الاسلامية والتى بدأت على يد « حسن البنا » ؟

— بعد اندلاع الثورة المصرية فى يوليو •• وتحقيقها فى المبادىء الستة الشهيرة ومعظم ما كانت تنادى به الحركات السياسية فى الاربعينات • وبعد الصدام على السلطة بين الثورة والاخوان ، لم يشأ الضباط الاحرار أن يتنازلوا عن السلطة •• واستعجل الاخوان الحكم

الاسلامى ، وانزوت — بعد هـذا الصدام — الحركات الاسلامية • وغلب على فكرها سيكلوجية الاضطهاد فنشأ فكر اسلامى معاد للواقع •• غاضب •• يبغى الانتقام • يستعمل الارادة الالهية •• كالسيف على رقاب الناس • وانقسم العالم عندهم الى أبيض وأسود • الى اسلام وجاهلية •• لا يتعايشان ، بل يدمر أحدهما الآخر • وتقود هذه العملية الصفوة المؤمنة •• عن طريق تغيير السلطة • وتراجع الفكر الاسلامى خطـوات الى الوراء • وضاعت فرصة اليسار الاسلامى الذى بـدأ مع سيد قطب • وقضى على النهضة الاسلامية الجديدة التى حـاولها « حسن البنا » للحاق بالمصلحين الاوائل •

● ماذا فعلت هذه النكسة فى الفكر الاسلامى ؟

— تحول الى مجرد رفع الشعارات بلا مضـمون اجتماعى ولا برنامج للعمل الوطنى لكل مجتمع اسـلامى على حدة • كمـا يركز — الفكر — على المظاهر الخارجية مثل الحجاب واطالة اللحى ولبس الجلباب من أجـل الظهور على السـاحة والانتشار من جديد وتجنبا للدخول فى المعارك الجوهرية حتى لا يخسروا بعض المكـاسب التى حصلوا عليها ، بالاضافة الى التعصب والتشنج ، وغيـاب العقل ، والعجز عن الحوار ، والتكفير المضـاد بعد أن أشـهر سلاح التكفير ضـدهم •

● وما هو موقف فكرنا الاسلامى من قضية الفكر ؟

— قامت حضـارتنا القديمة على حـرية الفكر وعلى الحـوار المتبادل بين الاتجاهات الفكـرية المختلفـة التى ظهرت فى الفـرق الكلامية • كان الشيخ يسند ظهره على عامود المسجد ويدرس ثـم

يعترض الطلاب ويحاورون شيخهم أو ينفصلون عنه ، ويكونون حلقات أخرى حول الاعمدة المجاورة . وقد كانت كلها اتجاهات شرعية . لم يتهم أحد منها الآخر كما نفعل هذه الايام بالكفر أو الخيانة .

● هل يعنى هذا وصول العقل الاسلامى يوما الى درجة تحرر العقـــل ؟

ــ بالطبع نعم . فقد استطاع العقل الاسلامى فى تراثنا القديم أن يصل الى أقصى درجات التحرر خاصة عند المعتزلة ، المفكـــرون الاحرار فى الاسلام فى أصلى التوحيد والعدل . فقد استطاع التنزيه أن يقضى على كل مظاهر التشبيه والتشخيص ــ التى مازالت سائدة فى عقليتنـــا حتى اليوم . كما استطاع المعتزلة اعطاء الاساس الخلقى للتوحيد واعتبـــار الصفات الالهية مبادىء للســـلوك ومثلا للحيـــاة الفاضلة وغايات يقـــوم الانسان بتحقيقها . كما أعلن المعتزلة حـــرية الانسان ومسؤوليته عن أفعاله . واعتبروا العمل وحـــده مصدر القيمة ــ وهو ما عرف باسم الاستحقاق ــ واحترموا الطبيعة وقوانينها . وجعلوا هـــذا العالم يسير نحو غاية وهدف ، هو الاصلح للبشرية ــ أى التقدم المستمر نحو الافضل ــ كما جعلوا العقل أساس النقل . كما جعلوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أساس العلاقات الاجتماعية، وصلة الحاكم بالمحكوم .

● كيف تمت تصفية الاتجاه العقلى هذا ؟

ــ تمت هذه التصفية فى القرن الخامس الهجرى . بعد هجوم الغزالى على العلوم العقلية ــ وعلى رأسها المنطق والفلسفة ــ والدعوة الى التصوف والعلوم القلبية ، وهو ما نحن فيه الآن . كما حدث أيضا

أن سادت الاشعرية بعد القضاء على المعتزلة فى محنتهم أيام المتوكل • فورثنا التصوف والاشعرية •• وسادا فى حياتنا اليومية •• وفى معاهدنا الدينية حتى الآن • ولما كان كلاهما — الاشعرية والتصوف — يقومان على الانقياد والتسليم ، فقد وجدت السلطة السياسية منذ العصر المملوكى والتركى فى هذين التيارين أكبر دعامة للحكم المطلق • فالانقياد والتسليم فى الدين يؤديان الى الطاعة والولاء فى السياسة •

● يقول البعض : أن غياب المنهج العلمى هو سبب أزمة الفكر الدينى فما صحة ذلك ؟

— اننا نروج هذه الايام لكلمتى العلم والتكنولوجيا • وكأنهما مفتاحان سحريان سندخل بهما عالما آخر (!!) • لقد تحولتا الى أسطورة مضافة الى أساطيرنا • والحقيقة أن العلم خطوة تالية للعقل • والعقل يقوم أساسا على الاستقلال عن كل ما سواه من سلطة دينية أو سياسية • تلخص الازمــة اذن فى غياب المنهج العقلى الذى هو أساس التصور العلمى للعالم •• فاللاعلمية فى حياتنا ترجع أساسا الى اللاعقلانية • ولقد استطاع علماؤنا قديما تأسيس العلم نظرا لمعرفتهم بوظيفة العقل ، وكيفية استعماله • والعقل يشمل الحس والتجــربة والتاريخ معا •

● هل يعنى هذا أن هناك حكرا من الفكر الدينى على حــرية الابداع والفكر ؟

— هناك أنماط عديدة من الفكر الدينى : فهناك فكر دينى يبدأ من النص • وتكون وظيفــة العقل فيه شرح النص وتبريره ثم تكييف

الواقع حسب النص ، وهو الفكر السائد فى حياتنا ، وكانت النتيجة أن وقعنا فى الغيبيات وفى التفكير فيما يضر ولا ينفع ، كما نبذنا الواقع وخرجنا عليه وعاديناه ، وحكمنا عليه سلفا بالكفر والالحاد (!!) ، كما أن هناك فكرا يقوم على الايمان بالمقدسات والتسليم بها دون تفكير أو تحليل ، ثم تتحول هذه المقدسات الى محرمات ، وهذا سائد أيضا فى عقليتنا المعاصرة ، فقد حرمنا التفكير فى الدين وفى السلطة وفى الجنس ، فتحولت الى مقدسات توجه سلوكنا اليومى ترغيبا مرة وترهيبا مرة أخرى ، وهناك فكر ثالث يقوم على الخطابة والوعظ والارشاد والعنتريات ، وهو الفكر السائد فى مساجدنا ، فنعيش حالمين داخل المساجد ثم نخرج الى الحياة العامة فنصطدم بها ونعانى منها ، وهناك فكر يقوم على الجدل وعلى الهجوم على بعض النظريات والدفاع عن البعض الآخر بينما الواقع نفسه لا يتحدث عنه أحد (!!) ، وهو سائد أيضا فى حياتنا ، فما أكثر ما كتب عن الاسلام والاشتراكية فى بلد متوسط الدخل القومى للفرد الواحد مائة جنيه سنويا ، وما أكثر ما كتب عن الاسلام والعلم فى بلد لا يزال يظهر فيه القديسون والاشباح !! ،

● هناك تغير فى الدستور تم على أساس أن الاسلام هو المصدر الرئيسى للتشريع ،، فما رأيك فى هذا ؟

— الاسلام اما أن يكون مصدرا أو لا يكون مصدرا ، فالاسلام — كما نعرف جميعا — يحتوى على نظام كامل للفرد أو المجتمع ولجميع أوجه نشاطات الدولة — اقتصدية واجتماعية وسياسية — طالما أننا نلتزم بهذا النظام الكامل حينئذ نجد أنفسنا فى غنى عن استعارة أى شىء يمكن من خلاله أن نصل الى أحكام جديدة ، فانه

يعتمد على الاصول التشريعية المقررة • وليس أصلا بذاته • وانما الامر فى حقيقته هو اضفاء الشرعية على النظم السياسية • واستعمال أحد المصادر •• الى المصدر الرئيسى •• الى المصدر الاوحد فيما بعد وهى كلها عبارات لا تعنى شيئا •

● نريد توضيحا لمعالم النظام الاسلامى ؟

— يفرض الاسلام نظامه الاقتصادى الذى يقوم على ملكية الله ، وأخذ حقوق الفقراء من الاغنياء ، وأن العمل هو المصدر الوحيد للرزق ، وأن المجتمع الواحد الذى فيه انسان جائع تبرأ ذمة الله منه • وله نظامه السياسى القائم على الشورى وحق كل مسلم فى التعبير عن رأيه وحق الاختلاف ، لان اختلاف الائمة رحمة بينهم • وللاسلام نظـامه الاجتماعى القائم على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر — حق المعارضة السياسية — والحسبة التى تعنى الرقابة على أجهزة الدولة •

● دائما •• تثير عملية تطبيق الحدود الاسلامية كثـيرا من الجدل •• ماذا تقول عن هذه المسألة ، وبالذات قطع اليد للسرقة ؟

— لا تعنى الشريعة الاسلامية مجرد العقوبات والحدود ، بل تعنى الحقوق ، وحق المسلم على الدولة ، وحق العمل فى حالة القدرة ، والكفالة فى حالة العجز •• ومن ثم توقف الحدود اذا سرق السـارق وهو جائع ، أو لعلة ضرورية ، أو لوجوده فى مجتمع تكـون السرقة فيه ، ونهب المـال العام ، أحد مصادر الرزق ، لان الحـدود ليست قوانين صورية تطبق آليا ، بدون النظر للمواقف الاجتمـاعية ، بل قوانين مادية تقـوم على تحليل لوضع المسلم فى مجتمعه • بعد دراسة الشرط وهـو القدرة على العمل ، والمـانع وهـو الجوع والبطالة

والعجز ، والسبب وهــو الاعتداء على مال الغير • والذين يرفعون شعار تطبيق الحدود ، انما يقصدون تخويف النــاس • فالسرقة فى الاسلام ليست هى فقط ، ما يتم على الارصفة وفى الشوارع ، ووسائل النقل العام • ولكنها اختلاس الاموال العامة والرشاوى والعمولات ، وحرق مخازن الدولة ، ونهب أموال المسلمين •• وثروتهم من باطن الارض وتهريبها الى خارج البلاد •

● أثار فيلم « موت أميرة » عاصفة من المعارضة ضد حد الزنا • وقيل أن حدود الاسلام خشنة قاسية نظرا لحالة البداوة التى كان يعيشها المسلمون الاوائل •• ولا يمكن تطبيقها فى العصر الحاضر •• ما رأيك فى هذه القضية ؟

ــ الغرب يقضى باعدام من يهرب عشرة جرامات من الهروين • ويحلل ذلك لنفسه درءا للفساد ، ولا يبيحون ذلك لغيرهم • وبالمقارنة بعقوبة الجلد ثمانين سوطا لشارب الخمر ، يبدو حكم الاسلام لينــا للغاية • وقد وضع الاسلام حدودا للزانى غير المحصن أو المحصن منعا للفحشاء والمنكر • فى حين تركها الغرب واعتبر ذلك جــزءا من الحريات الفردية • ولما تهاون المسلمون وقلدوا الغرب استشرى الفساد فى الامة ، واذا طبق الاسلام حدوده فى حضور عــدد من المؤمنين ، يقولون خشونة • أما مجازر أمريكا فى فيتنام فلم يصفها أحــد بأنها خشونة • واذا ما دافع الاســلام عن نفسه يقولون وحشية • أمــا مجازر الاستعمار واعتداءاته على الشــعوب • فدفاع عن الحــرية والمدنية ! • انهم يحللون لانفسهم ما يحرمون علينا •

● ما تفسيرك يا دكتور لهذا الانتشار الواسع لظاهرة الجماعات الاسلامية ؟

ـــ انحسار الفكر الاصلاحى الدينى • وتحويله الى سلفية على يد « رشيد رضا » ، ثم فكر مضطهدين على يد الاخوان المسلمين ، وفشل مناهج التحديث المعاصرة التى تمت تجربتها فى حياة المسلمين فى الخمسين عاما الماضية • فالثورة العربية بالرغم من انجازاتها الضخمة من حيث الحرية والاستقلال ، وتحقيق بعض مظاهر التقدم الصناعى ، فانها فشلت فى مقاومة الصهيونية ، وتحقيق الحرية ، والدفاع عن الطبقات المحرومة ، والاكتفاء برفع الشعارات بلا مضمون ، واعتمادها على أجهزة الدولة دون الالتحام بالجماهير • كما فشلت الليبرالية التى سبقت الثورات العربية • • وذلك بالرغم مما حققته من حــرية التعبير ونظم ديمقراطية ، الا أنها كانت اقطاعية ملكية •• كما فشلت أيضا التيارات الماركسية فى جذب الجماهير بالرغم من محاولتها مقاومة الاستعمار ودعوتها الى العدالة الاجتماعية • ولم تستطع النظم القبائلية العشائرية التى تحكم المسلمين باسم الاسلام أن تقيم نظما وطنية ديمقراطية •• وعمها الفساد والبذخ • لذلك لم يجــد الناس آمامهم الا اللجوء الى تراثهم ، والعودة الى اســلامهم يبحثون فيــه عن طريق الخلاص • ولما كان هذا الاسلام ـــ حتى الآن ـــ سلفيا وريث ألف عام من الاشعرية والتصوف ظهر النشاط الاسلامى محافظا •

● والخــلاص ؟

ــ الاســلام المستنير الذى يكون وعاء لمصالح الامة ، وملبيا لقضاياها الاساسية ، ومحققا لطموحاتها • هو القادر على أن يملأ الفراغ الفكــرى ، والقادر ــ أيضــا ــ على تجنيد الجمــاهير • فالايديولوجيات العلمانية لا تؤثر الا فى القلة المثقفة • أما بالنســبة للجماهير فأنها تدخل من أذن وتخرج من الاذن الاخرى • أن الجماهير ليست مستعدة للموت فى سبيلها • أما الاسلام الذى يدافع عن أرض المسلمين وثرواتهم •• فهو الاسلام الذى يجعل الجماهير •• تطلب الاستشهاد فى سبيله • ولكن للاسف تتهمه الجماعات الدينية بالماركسية الصريحة • وتخشاه الماركسية كمنافس لها فى قلوب الناس وعقــول المثقفين •

٢ ـ الذين يقفون ضد الصحوة الاسلامية لا يفهمون قانون التاريخ ٠

● لنا فى الانتفاضة عبرة من أجل برنامج موحد لجمع الشتات ٠

● تاريخ الصحوة الاسلامية :

هناك أسباب عديدة وراء الصحوة الاسلامية كلها اجتمعت فى فترة واحدة تبدأ منذ عام ١٩٦٧ ٠ ومن هذه الاسباب ما هو تاريخى ، وما هو سياسى ، وما هو اجتماعى ٠٠ ودعنى أقول فقط بعض الاسباب ٠

جريدة الخليج ١٩٨٨/١٠/٧ ٠

حوار اجراه : احمد الكنانى وصدره بالفقرة الآتية :

الدكتور حسن حنفى .. أستاذ جامعة .. ومفكر .. وفيلسوف .. واسع العلم .. منبحر المعرفة . همه الاول هو الحركة الاسلامية وصحوتها وهو أشبه بربان سفينة نشق سطح الماء ويقف بثقله ممسكا بالدفة .

اسهاماته ومؤلفاته الفكرية متعددة . فهو أحد مفكرى التيار الاسلامى المستنير من خلال أطروحاته حول اليسار الاسلامى . تلك الاطروحة التى يحاول فيها الجمع بين شرعية ثورة يوليو ، وشرعية الاخوان ، بين شرعية الماضى ، وشرعية الحاضر على حد قوله .. يجمع فيها بين صيغة توحد بين صيغة الخطاب السلفى ، والخطاب العلمانى ، فكلاهما ناقص .. صيغة يجعل بها الوطن وطنا للفقير مثلما هو وطن للغنى .

وعلى مدى ساعتين جلست اليه لاجرى حوارا معه طرحت عليه أسئلتى . فى ثلاثة محاور حول الصحوة الاسلامية ، جذورها وتطورها ومستقبلها من ناحية .. وفكرة اليسار الاسلامى من ناحية أخرى .. وكان المحور الثالث حول مؤلفه العظيم القدر (من العقيدة الى الثورة) ، طرحت عليه أسئلتى فى حديثه المتواصل بصول ويجول ، ويشرح ويفسر .

السبب التاريخى ومنـــه ما هو طويل المدى ، وما هـــو قصير المدى ، فلو نظرنا الى المدى الطويل ، وفكرنا فى أى قرن نعيش ، لوجدنا أن الصحوة الاسلامية بدأت فى نهاية القرن الرابع عشر ، وهذا يعنى انه مرت بنا سبعمائة سنة أولى ، ثم سبعمائة سنة ثانية ونبدأ فى السبعمائة سنة الثالثة .

السبعمائة سنة الاولى : كانت هى قمة الحضارة الاســلامية الزاهرة التى بلغت فى القرن الرابع عصرها الذهبى حيث وصل العقل ، والعلم ، والطبيعة لاقصى القمة ، كنا معلمين للغرب ، ثم بعد ذلك حدث هجوم الغزالى على العلوم العقلية فى القرن الخامس الهجرى ، وبداية غزوات الصليبيين والتتار ، وصولا الى العصر التركى المملوكى.

ثم جاءت القرون السبعة الثانية فى نوع من السكون العقلى . فلم يعد العقل يبدع ، الذاكرة هى التى بدأت تدون وبالتالى سماه العلماء عصر الشروح والملخصات .

وليس غريبا أن يظهر ابن خلدون فى مفترق الطرق بين السبعة قرون الاولى ، والسبعة الثانية ليؤرخ للحضارة الاسلامية كيف نشأت، وتطورت ، وكيف انتهت واضمحلت .

ولكن فى آخر مائتى عام بدأ فجر النهضة الاسلامية ؛ وجـــاء الافغانى ، ومحمد عبده وبذلك يكون الاسلام قد مر بقوسين أحدهما كان مرتفعا والآخر كان هابطا . ومنذ ٢٠٠ سنة والخط فى صـــعود ، ومن يدرى فربما سنشاهد فى القرون السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر نهضة اسلامية على نفس المستوى الذى كنا عليه معلمين

للغرب ، ونصبح معلمين له ، وننهى عصر التلمذة ، ونكمل عصر التحرر من الاستعمار ، وعصر التحرر الثقافى ، وتكون لنا الريادة •

وهذا يؤكد لنا ان هناك قانونا تاريخيا ، ونحن نحـاول فهم التاريخ ، ومن ثم فكل الذين يقفون ضد الصحوة الاسلامية لا يفهمون قانون التاريخ •

وهناك سبب ثان • فنحن منذ ٢٠٠ عام نحاول أن ننهض من خلال ثلاثة مناهج ظهرت فى فجر النهضة الاسلامية •

المنهج الاول هو مدرسة الافغانى ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، والكواكبى ، وحسن البنا ، وعبد الحميد بن باديس ، ومحمد اقبال ، والبشير الابراهيمى ، وهم من رواد السلفية المعاصرة التى خرجت منها الحركات الوطنية •• وهذا المنهج يرى ان الاصلاح يبدأ من الدين واعادة الاصلاح الدينى •

والمنهج الثانى : هو منهج الطهطاوى ، وخرج منه طه حسين ، ولطفى السيد ، والعقاد ، ويرى أنصاره ان الاصلاح يبدأ بتأسيس الدولة الحديثة ، بالديمقراطية المقيدة ، والنظم البرلمانية ، والعمران الصناعى والزراعى •

المنهج الثالث : ويدعو له شبلى شميل ، وخرج منه فرح أنطون ، ويعقوب صروف ، وسلامة موسى ، ونقولا حداد ، واسماعيل مظهر •• ويرى أنصاره أهمية العلم والدولة ، ويدعو بأن الدين لله والوطن للجميع •

وهذه المدارس كلها صعدت الى أعلى فى أول جيلين ، ثم بدأت تخبو فى ثانى جيلين •• ولـكن كانوا أكثر شجاعة منا ، ولو قارنت ذلك لوجدت اننا نحن الآن أقل بكثير مما كانوا هم عليه •

ولو حللنا تاريخنا القديم لوجدنا ان ما يسمى بالصحوة الاسلامية الحالية هى محاولة للحاق بجيل الرواد الاوائل أى الاسلام كتنظيم سياسى اجتماعى حقق المشروع الاسلامى النهضوى : مقاومة الاستعمار فى الخارج •• ومقاومة القهر وقضايا الفقر والتجزئة فى الداخل •

اذن فالحركة الاسلامية الحالية هى محاولة للنهوض بفجر النهضة العربية الاسلامية من جديد ••

فالحركة الاسلامية تنشط من جديد وتحـاول أن تلحق بالرواد الاوائل خاصة عند الافغانى ، لكن النظم السياسية لا تعرف كيف تتعامل معهـا •

● **العمل السرى فى الحركة الاسلامية •**

والى السـببين السابقين أضيف سببا ثالثا : وهو سبب قريب • وأذكر هذه الفترة لانى كنت معاصرا لها ، فقد دخلت الاخوان سـنة ١٩٥١ فى نفس الفترة التى دخلها سيد قطب تقريبا • وتأثرت جـدا بـ «العدالة الاجتماعية فى الاسلام» و «معركة الاسلام والرأسمالية» • وقامت الثورة المصرية فى عام ١٩٥٢ ، وفرحنا جدا بالضباط الاحرار ، والقضاء على الملكية والاستعمار ، والاصلاح الزراعى •

وفى رأيى أن الصدام بين الاخوان والثورة كان واقعة مفجعـة ومفزعة ، غيرت تـاريخ البلاد • فقـد تصادمت شرعيتان : شرعية

الاخوان ، وشرعية الثورة •• شرعية الماضى ، وشرعية الحاضر • ليس لوجود خلاف فى النظرية ، فأنا تعلمت الدوائر الثلاث التى قالها عبد الناصر فى فلسفة الثورة وهى الدوائر العربية والافريقية والاسلامية • أنا تعلمتها من الاخوان المسلمين ، وكذلك الحياد الايجابى بين الشرق والغرب ، والعدالة الاجتماعية ، والاستقلال الوطنى ، والدفاع عن حقوق العمال والفلاحين •

أقول ان الصدام المؤسف كان صراعا على السلطة ، وهذا فى عينه أساس التخلف • فالضباط الذين قاموا بالثورة لم يشاؤوا أن يتركوا السلطة •• والاخوان يظنون انهم القاعدة الشعبية لهذا البرنامج الطويل العريض خاصة وان كثيرا من الضباط الاحرار كانوا من الاخوان المسلمين مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ، ورشاد مهنا ، فظنوا أن هذه أيضا ثورتهم • وحدث الصراع لان الضباط الاحرار رفضوا أيضا وصاية الاخوان على الثورة ، وفى رأى الاخوان ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وحدث الصدام المؤسف ، وخسر الاخوان ، ودخلوا تحت الارض ، ونشأ تيار اسلامى آخر تحت تعذيب السجون • وهنا نشأ لون جديد من الاسلام الغاضب الثائر المنتقم من الاشتراكية ، والقومية ، ومن العلمانية • ومن هنا وفى هذا الجو النفسى المظلم كتب سيد قطب « معالم فى الطريق » عام ١٩٦٣ وقبض عليه من جديد على أساس أنه منظر التنظيم ثم أعدم فى عام ١٩٦٥ •

والحركات الاسلامية الحالية فى الحقيقة نشأت من خلال السجن مثل شكرى مصطفى وغيره ، ومن خلال مناقشات السجن ، وعما جرى لجماعة الاخوان المسلمين ، وحول أسباب اضطهادها ، وحلها ،

وعدم نجاحها ، وخرجوا من كتاب سيد قطب الى أن هـذا المجتمع كافر ، وغير اسلامى • وهذا مجتمع الطاغوت ، ولن يغير هذا المجتمع الا جيل قرآنى فريد يحمل لا اله الا الله •

هذا فى الوقت الذى تحول عبد الناصر الى بطل قومى منذ عام ١٩٥٦ بعد تأميم قناة السويس ، وبالوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ ، والبناء الاشتراكى لمصر عام ١٩٦١ ، ومقاومة الاحلاف العسكرية فى ١٩٦٥ ، واعادة البناء ، وحرب الاستنزاف ، وتقوية جيش مصر وتسليحه من ١٩٦٨ الى ١٩٧٠ ، هذا لان عبد الناصر مارس سياسيا وتغير فى حين دخل الاخوان تحت الارض (١) •

ان الحركة الاسـلامية هى حـركة مازالت غـير شرعيـة ، فجمـاعة الاخـوان مازالت غير شرعية ، فجمـاعة الاخوان محلولة ، ولكن فقط هنـاك غض الطـرف عن نشـاطها ، وهى أيضا مضطهدة ، والمسـاجد تقتحم ، والصـلاة تمنـع فى العـراء • وبالتـالى أصبح عضـو الجماعة الاسـلامية ، وكأنه باستمرار خريج سـجون •• باستمرار مضطهد •• باستمرار مطارد من أجهزة الامن • وفى حقيقة الأمر هذا سببه ان الاخوان عادوا من جديد بعد الخروج من السجن ، حاول السادات أن يستخدمهم ضد الناصريين • وعندما سار فى طريق الصلح مع « اسرائيل » والارتماء فى أحضان الغرب ، رفضت الحركة الاسلامية ذلك •

وعندما خرج الاخوان وجدوا الحركة العلمـانية (ناصرية —

---

(١) وهنا يضع الصحفى هذه العبارة :
وينتقل الدكتور حسن حنفى من الحديث عن أسباب الصحوة الاسلامية الى تطورها ونموها فيقول :

ماركسية — قومية — ليبرالية) لم تؤد نجاحها المطلوب •• فمزيد من الاراضى محتلة •• ومزيد من التجزئة فى العالم العربى •• ومزيد من الطائفية فى العالم العربى •• والتفاوت الشنيع بين الاغنياء والفقراء •• ومزيد من التهرؤ الخلقى والفساد والعمولات ، ومن ثم فالايديولوجيات العلمانية لم تؤد النجاح المطلوب ، وخرج الاسلام وكأنه بديل يقود • أقول ان انحسار الحركة التحديثية العلمانية جعل البديل الاسلامى مطروحا بقوة ، مما جعل الشباب الطاهر الثائر يقبل نحوها فلا حيلة للشباب الا بذلك •

وهناك سبب آخر وهو الانتصارات التى أحدثتها الحركة الاسلامية فى عالمنا المعاصر ، فحركات التحرر الوطنى كلها تمت باسم الحركة السلفية ، ونجاح الثورة الاسلامية فى ايران ، والصحوة الاسلامية فى تونس والجزائر ، ونهضة العزة بالنفس عند المسلمين فى الاتحاد السوفييتى • وهذه الانتصارات ولدت نوعا من الاقتناع ان الاسلام يستطيع أن يفعل شيئا •

● **الصحوة الاسلامية والمستقبل •**

* وماذا عن مستقبل الصحوة الاسلامية ؟

ان الاسلام قطار قادم بأقصى سرعة ، وهو جبل لا نرى منه الا القمة ، وما خفى كان أعظم ، ومن ثم فلابد أن نتعامل معه بشيئين :

الاول : لابد من اعطائه الشرعية ، حتى لا يعمل فى الخفاء ، ولو استمر يعمل فى الخفاء فستظل أجهزة الامن الى أبد الآبدين تنتصر

عليه مرة ، ومرة هو ينتصر عليها ، ويكون مزيد من الدماء ، ومزيد من المعارك ، وهذا لا يحل شيئا •

أقول لهم أخرجوهم من السجون ، واعطوهم الشرعية ، وجرائدهم ومجلاتهم ، وامنحوهم الفرصة لممارسة حياتهم الطبيعية ، واشركوهم فى قضايا أمتهم ، وبعد ذلك حاسبوهم • أقول للحكام اجعلوا الحركة الاسلامية ، والشباب الاسلامى فى قلب المعركة الاجتماعية ثم حاسبوها• أما الآن فأعضاؤها مهمشون فى المجتمع ، ومن ثم لا يمكنهم تقديم حلول ما لم يتحقق لهم ذلــك • فليس معقولا أن الليبراليين لهم حــزب ، والماركسيين لهم حزب ، والقوميين لهم حزب •• وهم محرومون من هــذا الحق ، ولذا أنصح باعطائهم الشرعية أولا •• ولا سبيل أمامنا الا باعطائهم الشرعية • فبدلا من أن يلتفوا على حزب العمل مــرة ، وعلى حزب الوفد مرة ، ثم مرة على الامة أنصح باعطائهم الشرعية •

الثانى : وهو الاهم لابد من نقل اهتمامهم من كونهم محافظين • يركزون على الشعائر فقط ، وهذا يتحقق بطرح برنامج وطنى عام ليشاركوا فيه ، وبذلك تقلل نسبة المحافظة ، وتزيد نسبة الاســلام السياسى والاجتماعى والاقتصادى • فعضو الحركة الاسلامية يغالى فى الشعائر ، وارتداء الجلباب ، واطلاق اللحية لانه يريد أن يظهــر ويتميز خاصة وان الدولة تتنكر له ، فهم يقولون بوجودهم بالشكل ، ولكن لابد أن يتحولوا من الشكل الى المضمون بجذبهم الى القضايا الرئيسية •• وهناك سبع قضايا رئيسية مطلوب مواجهتها منها :

* تحرير الارض من الاحتلال •
* الحريات العامة ضد القهر •

* الوحدة والتجزئة .

* التنمية فى مواجهة التخلف .

* الهوية والتغريب .

* تعبئة الجماهير وحشد الناس ضد اللامبالاة .

وهم مع تحرير الارض ، ومع الحريات العامة وضد أشكال القهر كلها ، وضد القوانين المقيدة للحريات ، ومع الوحدة ولا فرق بين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، وهم مع التنمية والتقدم وضد التغريب وقادرون على تعبئة الناس .

انها عدة قضايا نستطيع بها أن نحول الخطاب السلفى الشكلى الى خطاب ذى مضمون سياسى واجتماعى .

وفى هذه الحالة تصبح الحركة الاسلامية زيادة وليست نقصا ، بأن نتعامل معها ونستفيد منها . وهذا يساعد الانظمة العربية على أن تؤسس شرعيتها على أسس من العقد الاجتماعى الحر لان الانظمة الحالية كافة تنقصها الشرعية ، فالنظام الاسلامى لا هو ملكى وراثى ، ولا هو يقوم على الانقلابات العسكرية .. فالامامة عقد وبيعة واختيار . وبالتالى فلابد أن يكون هناك عقد اجتماعى بين الحاكم والمحكوم .

واذا التزم الحاكم بالقانون يطيعه الشعب ، واذا خالفه فعلى الشعب أن يأمره بالنصيحة ، واذا لم يمتثل يثور عليه ، ويعزله قاضى القضاة . ونظرا لغياب هذا العقد الاجتماعى فى الانظمة العربية فان الانظمة تكون هنا مهددة . وطالما استمر الوضع كذلك فهى مهددة . والاعتراف بشرعية الحركة الاسلامية يساعد الانظمة الحالية على أن

تكون أكثر ديمقراطية ، وأكثر تفهما . وبالتالى ينشأ الجميع فى اطار من التعددية الحزبية والاتفاق على برنامج عمل موحد .

● جمع الشرعيتين .

وأين موقع اليسار الاسلامى ، الذى تدعو اليه ، من هـذه الصحوة ؟ وماذا تقصد بهذه التسمية ؟

فى حقيقة الامر ان احساسى بأن أزمة حياتى هى اندلاع الصراع بين الاخـوان والثـورة ، وان رغبـة الامة فى أن تكون مسـلمة ، فلا أحد يسـتطيع أن ينزع الامـة من دينها ، وتراثها ، وروحها ، وفى نفس الوقت تريد أن تكون أمة ناجحة متطورة وقادرة على السيطرة على مشـاكل الصـناعة ، والتجـارة ، والزراعـة ، والتعـليم ، رأيت من واجبى أن أحـاول تأسيس منبـر عـام وليس أكاديميا حتى أستطيع أن أعطى فيه للشرعيتين حقهما . وأقول باستمرار أن الخطاب السلفى يعرف كيف يقول أى انه يستعمل لغة الناس بالقرآن والاحاديث النبوية ، لكنه لا يعرف ماذا يقول وما مضمون الخطـاب ؟ والخطاب العلمانى يعرف ماذا يقول (الحرية والعدالة الاجتماعيـة والاشتراكية) لكنه لا يعرف كيف يقول ؟ مرة يعتمد على ماركس ، ومرة على جون ستيوارت مل ، ومرة على تيتو ، ومرة على نهرو . فأنا أحاول أن أجد منبرا أعرف فيه كيف أقول ؟ وماذا أقول ؟ .. ومن هنا نشأت فكرة اليسار الاسلامى .

اليسار الاسلامى ربما ليس أفضل المصطلحات . وأنا أريد لفظا يعطينى الشرعيتين معا . وفكرت عندما أصدرت العدد الاول من المجلة

المعبرة عن هذا الاتجاه وتحمل هذه الافكار أن أطلق عليها « العـروة الوثقى الجديدة » و « كتابات فى النهضة الاسلامية » و « كتابات فى الصحوة الاسلامية » . فلو قلت « المنار » أو « الهدى » أو « الفرقان » أو « الاجتهاد » أو « الاسلام » فهذه الاسماء استعملناها كثيرا . وليس لها مضمون اجتماعى . ويمكن أن تكون دعوة الى الهداية والوعظ والارشاد . ولو قلت « النضال » أو « الاشتراكية » فهـذه الفاظ علمانية . ولكن نظرا لغياب مصطلح بديل . فأنا لا أتكلم عن الاسلام ، ولكن عن المجتمعات الاسلامية . فى المجتمعات الاسلامية هناك الغاصب، وهناك المغتصب .. هناك القاهر ، وهناك المقهور .. هناك الاغنياء ، وهناك الفقراء . أنا أريد أن أعطى اسلاما سياسيا ، اجتماعيا للاغلبية الفقيرة المقهورة . فاليسار الاسلامى لفظ فى علوم الاجتماع . فأنا أعلم ان الاسلام هو الاسلام .. والقرآن هو القرآن ، ولكن القرآن يفسر بطريقتين .. طريق « وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات » فى الغنى ، والثراء ، والتجارة .. وطريق «الذين فى أموالهم حق السائل والمحروم». فأنا آخذ صف الطبقات الفقيرة . الاغلبية التى لها حق فى أمـوال المسلمين . أحاول أن أعطى خطابا للاغلبية الصامتة . ان الاسلام هو ثقافتى ، وروحى ، وماضى ، وحاضرى . وعندما يحزن المسلم يقول الله، وعندما يفرح يقول الله . أنا فى رأيى أن هذه هى الطاقة النووية ، لكن الطاقة هذه تفجر فى القضايا غير الهامة . ويجب أن تفجـر فى القضايا التى تستحق .

● ولنا فى الانتفاضة عبرة .

واليسار الاسلامى هو أخذ كل هذه الطاقات ، وهذه المشروعية التاريخية ، والفكرية ، والثقافية ، والحضارية من أجل توجيهها الى

التحديات لكى نساير العصر . وبالتالى نحمى الامة من شـقها الى قسمين : خطاب سلفى يركز على الشعائر والطقوس دون الاهتمام بمصالح الناس .. وخطاب علمانى تحديثى يركز على مصالح الناس دون أن يلمس ثقافتهم وبالتالى فأنا أجمع الخطابين فى خطاب واحد .

وبالتالى أقول ان اليسار الاسلامى يؤمن كما آمن الفقهاء من قبل بأن الحق النظرى متعدد ، أما الحق العملى فواحد .

اليسار الاسلامى ليس حزبا ، ولا تيارا ، وانما هو بوتقة تنصهر فيها كل التيارات الفكرية ، والنظرية ، والسياسية .. ينصهر فيهـا الليبراليون ، والقوميون ، والماركسيون . فالاسلام يدافع عن الحرية مثل الليبراليون .. ويدافع عن العدالة الاجتماعية مثل الاشتراكيون .. ويدافع عن الوحدة مثل الوحدويون .. ومن ثم فالاسلام هو اطار نظرى شامل يسمح بالتعددية فى داخله مادامت هناك امكانية للاتفاق على برنامج عمل موحد . ولنا فى الانتفاضة الفلسطينية عبرة وعظة فهى تضم كل الفصائل الفلسطينية من اسلاميين ، وليبراليين ، وعلمانيين ، وقوميين ، وماركسيين ، وغيرهم ولكن هدفهم واحد هو تحرير فلسطين، والكل يعمل من أجل هذا الهدف . أقول ان اليسار الاسلامى هـو محاولة لجمع شتاتهم ، ونبذ الخصومة بين الاخوة الاعداء . ويطرح برنامجا موحدا يتفق عليه الجميع . واليسار الاسلامى لا يريد سلطة لانه يرتب للتغيير الاسلامى القادم وأن يوحد قلوب الناس ، وأن يكون الوطن العربى وطنا للجميع .

● من العقيدة الى الثورة .

* ومن أخطر الكتب وأهمها مؤلف الدكتور حسن حنفى « من

العقيدة الى الثورة » فى خمسة أجزاء ويحاول فيه تجديد العقائد الاسلامية ، فماذا يقول ؟

هو من الكتب المتخصصة جدا . وأحاول فيه اعادة النظر فى علم العقيدة ، والجمع بين الايمان والعمل ، حتى يمكن اعادة النظر فيما قاله العلماء لتعايش ظروف العصر ، لان نن النظريات التى ورثناها قديما ، انما ورثناها والامة منتصرة . ونحن الآن أمة منهزمة ، ومجزأة ، ومتخلفة .. ومن ثم فأنا أحاول الربط بين قضايا العصر ، والربط بين الله والارض ، حتى أساعد الامة على تحرير الارض . فاذا كانوا قديما لم يركزوا على قضية الارض لانهم كانوا فاتحين والجيوش منتصرة ، وكانوا يركزون على الصفات الالهية ، لانهم كانوا يعيشون عصرا فيه صراعات بين الديانات .. اليهودية ، والمسيحية ، والمانوية ، والمجوسية . فكانوا يعيشون عصرا جدليا حول التوحيد . والحمد لله دافعوا عن التوحيد ذات وصفات وأفعالا . أما الآن فمن يرى ان الله هو الشجرة أو الصنم ؟! هذه معارك كسبناها والحمد لله ، ولكن هناك معارك خسرناها .. هى معارك الربط بين الله والارض ، خاصة اننا أمام عدو هو الصهيونية ، وهو يربط بين الله والارض .

وأنا أحاول فى هذا الكتاب أن أحيى العقيدة فى قلوب الناس نحو قضايا التوحيد . وياليت المسلم يتصف بالصفات الالهية ، كما يقول الصوفية . أكون عالما وقادرا ، فلا يعقل أن تكون صفات الله كهذه ثم نكون نحن أمة عاجزة ، لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تتكلم ، ولا تريد .

فاذا كانت هذه هى الطاقة الالهية فاننى أسعى لان أستفيد منها

وأحولها ، كما كان التوحيد من قبل فى قلوب الناس • وكذلك قضايا الحرية • فالانسان حر ومسؤول •• وان هناك الها واحدا يتساوى أمامه الناس جميعا • ومن ثم فليس لاحد حق استعباد أحد •

اننى أريد أن أحيى العقيدة فى قلوب الناس قدر الامكان حتى تصبح هى الاساس النظرى للسلوك • وبالتالى لا يحتاج الناس الى خطاب سلفى خال من أى مضمون ، ولا خطاب علمانى له مضمون ، ولكن بلغات أجنبية • وأنا لا أستطيع أن أدخل معارك العصر وروحى ضعيفة •

● « الاستغراب » علم جديد •

حول خططه العلميـــة فى المرحلة القادمة ماذا يقول الدكتور حسن حنفى ؟

فى السنوات القادمة ان شاء الله سأعيد بناء علوم الحكمة ، وعلوم التصوف لتظهر قيم الثورة ، والغضب ، والتمرد ، لان التصوف كان حركة ثورية فى الماضى ، ثم استحال الى حركة للترف ، والبذخ بدعوى اليأس من تغيير الواقع لانها حالة موروثة • ولابد من اعادة التصوف العملى بأخلاق جديدة مثلما فعلت المهدية والسنوسية •

وأحاول بناء علوم السيرة والفقه لانهم فى الماضى بوبوا كتب الفقه بوضع الشعائر فى المقدمة مثل الصلاة ، والصيام الى آخره •• وهذه أشياء أصبحنا نعلمها جيدا فلماذا لا نبدأ اليوم بالمعاملات وهذه تنقصنا ؟ ومازلت فى الجولة الاولى لاحياء علم العقيدة لنقل العـــالم الاسلامى الى عصر التقدم والازدهار والحضارة بدلا من التخلف •

انى بصدد وضع كتاب جديد عن علم الاستغراب ، فكما أنشأ الغرب علم الاستشراق ليدرسنا حيث اعتبر نفسه ذات والشـــعوب الاخرى موضوعا • فلابد أن نجعل من أنفسنا ذات ، ومن الغـــرب موضوعا ، وحتى لا نظل ننقل عن الغرب كالتلميذ الخائب •

٢ ـ الجماعات الاسلامية فى مصر •

● الجماعات الاسلامية فى مصر ترعاها السلطة ولا تستطيع تعدى حدودها •

● أجهزة الاعلام المصرية هى المسؤولة عن الهوس الدينى •

البيان ، ١٩٨٠/٥/١٧ حوار مع المفكر الاسلامى حسن حنفى .

الدكتور حسن حنفى واحد من كبار المفكرين الاسلاميين فى العالم الاسلامى . كتبه عن الاسلام وتجديد الفكر الدينى تجدها بكل اللغات فى جميع مكتبات العالم • وهو استاذ زائر يحاضر فى جامعات فرنسا وأميركا وانجلترا عن الاسلام وهو أيضا أستاذ زائر فى معظم الجامعات العربية والاسلامية . ومؤلفاته عن الاسلام تتميز بأنها تطرح مفهوما جديدا للاسلام بمضمونه الاجتماعى والثورى .. وهو يقول انه ليس مفهوما جديدا انما هو المفهوم الحقيقى . وهو يرى أن جمال الدين الافغانى كان مرحلة مؤثرة فى الفكر الاسلامى وعلينا أن نعيدها .

ويشغل الاستاذ الدكتور حسن حنفى منصب أستاذ الدراسات الاسلامية والفلسفية بكلية الآداب فى جامعة القاهرة وهو فى هذا الحوار الطويل يتناول بصراحة الفتنة الطائفية فى مصر ، ويقول ان المصريين لا يعرفون غير اله واحد ، ويظهر ايمانهم فى فعل الخير ، والتكافل الاجتماعى والانتساب الى الارض .

ويتحدث عن ظاهرة المد الدينى الاسلامى فى العالم ، ويعلل أسبابه ثم يتحدث عن الجماعات الاسلامية فى مصر التى يرى أن السلطة هى التى ترعاها ، وان هناك اتفاقا بينها وبين السلطة على أن تمارس نشاطها بحيث لا تتعدى حدودا معينة .

ويضع يدنا فى حديثه الصريح حول وقائع يرى انها مهمة وراء أحداث الفتنة الطائفية التى لا تظهر فى مصر الا عندما تكون الدولة ضعيفة ! .

وهو يرى أن هذه الاحداث وجدت لشغل المواطن عن قضايا أهم فى الداخل والخارج لتكون مبررا لبعض الاجراءات حيث عرضت المنشورات الصادرة عن الجماعات الاسلامية عليهم فأنكروا صدورها منهم لسذاجتها وعرضت المنشورات الصادرة عن الجماعات المسيحية عليهم فاستنكروا أسلوبها الفج الذى لا يعبر عنهم .

● جمال الدين الافغانى كان مرحلة مؤثرة فى الفكر الاسـلامى وعلينا أن نعيدها .

● ما يسمى بالحوادث الطـائفية دلالة على ظواهر سياسـية واجتماعية أكثر من دلالتها على نعرة طائفية .

ـ هل يمكن أن نبدأ حوارنا الطويل حول الجماعات الاسلامية فى مصر من النهاية .. من الاحداث الطائفية التى شغلت أذهان الناس فى الفترة الاخيرة ما هى أسباب هذه الاحداث فى رأيك ؟

● نستطيع أن نقول ان المستعرض لتاريخ مصر من أيام مينا حتى عبد الناصر يجد ان الوحدة الوطنيـة أى انتساب الشعب كلـه الى قضية واحدة ، قضية الوطن ، هى الاساس ولم تظهر ما يسمى بالحوادث الطائفية الا فى لحظات عابرة فى تاريخ البلاد . عندما تكون الدولة فى أضعف لحظاتها .

وتستغل هذه الحوادث لتقوية الدولة لنفسها كذريعة للقيام ببعض الاجراءات الاستثنائية باسم حماية الوحدة الوطنية فى الظاهر ، وهى فى الحقيقة دفاعا للنظام عن نفسه .

ففى تاريخنا الحديث مثلا فى ثورة ١٩١٩ ، ظهرت الوحدة الوطنية بأروع صورها . وفى هبة يناير ١٩٧٧ خرج الشارع المصرى كله يطالب بلقمة العيش والعدالة الاجتماعية والمساواة ، ملايين فى الشوارع لا فرق بين مواطن ينتسب الى طائفة ومواطن آخر ينتسب الى طائفة أخرى . وقبلها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان الجميع يدافع عن كرامة مصر ، ويزيح عن كاهلها عار الهزيمة .

وفى الحوادث الاخيرة يصعب معرفة الحقائق الموضوعية •• ومدى ذيوعها اذ تتفاوت الروايات بين شجار فى الجامعـة وبين قتل وهتك للاعراض وحرق دور العبادة كما تذكر أجهزة الاعلام الغربية • ولكن على فرض صحة بعض هذه الوقائع فالملاحظ أن كثيرا من المنشورات التى توزع فى الجامعات وتلقى فى دور العبادة من طائفة تهاجم أخرى ، لم تصدر عن أية طائفة ، بل مكذوبة عليهم وموضوعة من أجل الاثارة ، ويؤكد ذلك اسلوبها الساذج وقصدها العمدى فى الاثارة التى يأنف منها الناس •

والسؤال الآن هو : من له مصلحة فى ذلك ، خاصة وان كثيرا من المنشورات لم تؤت أثرها المطلوب ؟

اذن ماذا يكون هدف هـذه المنشورات اذا كانت لم تحدث الاثر المطلوب ؟ هذا ما كنت سأتحدث عنه • فقد يكون الهدف هـو ابعاد الوعى القومى عن القضايا الاساسية التى تشـغل بال الجماهير والتى أصبحت حكرا على السلطة السياسية تقرر فيها ما تشاء وتغير رأيها بدرجة ١٨٠ من أقصى الطرف الى أقصى الطرف الآخر مثل قضـية الاسعار ، وقضايا الاسكان ، والمواصلات ، ومظاهر البذخ والترف التى بدأت تثير الغالبية المحرومة مثل شقق التمليك التى بلغت مئات الالوف والبضائع الاستهلاكية المستوردة وضرب الصناعات الشعبية والوطنية مثل صناعة الدواء والاغذية الشعبية وأيضا القضايا الخارجية• وهى وان كانت لا تحرك الجماهير تحريكا مباشرا الا أنها ماثلة أمامهم يرونها فى الطريق العـام مثل الشركات والبنـوك الاجنبية ، ورجـال الاعمال الاجانب الذين يعيدون الى ذهن الشعب « الخواجة الخبير » أيام عهد الخديوى اسماعيل • وتحويل أحياء بأكملها فى القاهرة الى

مستوطنات أجنبية ، التعامل فيها بالدولار والحديث فيها بالانجليزية تزيد من غربة المواطن فى بلده •

وأيضا قضية الصلح مع اسرائيل ورفع علم اسرائيل ، وتحويل مصر الى بلد سياحى يقوم على راحة الاجانب خاصة بعد عودة البعض من سيناء وزيارة دير سانت كاترين وهم لا يعلمون هل سيناء مصرية أو اسرائيلية ، وأيضا احساس المواطن بعزلته عن الاخوة العرب الذين كانوا يملأون القاهرة • وكانوا مصدر رزق أساسى له بالرغم من كل ما يقال عن هؤلاء الاخوة حاليا !

تستغل الطائفية اذن لابعـــاد المواطن عن همومه الاساسية الى موضوعات جانبية غريبة عنه حتى يبدد طاقاته وينفث عن غضـــبه فى موضوعات جانبية ما أسهل أن تستغلها الدولة لقمع مظاهرة أو تفتيت تجمع بدعوى الحفاظ على الوحدة الوطنية •

● بين الايمان والهوس الدينى •

— ولكن هناك فراغ سياسى ، لابد أن يتحمل جزءا من المسؤولية •

● نعم ، فانه نظرا لوجود الفراغ السياسى فى البلاد فى ربع القرن الاخير وعدم استطاعة الاحزاب القائمة أن تكون أوعية شعبية تلقائية ، وقنوات تعبر من خلالها الجماهير عن مصالحها نظرا لانها أحزاب قامت باسم الدولة فى حدود النظام القائم فان المواطن يبحث ولو بطريقة لا شعورية عن قضية أو تنظيم يدين له بالولاء فيجد ذلك فى النادى الرياضى فهـو أهلاوى وزملكاوى ، كلاهما يقتتلان ويقذفان بعضهما البعض أيضا بالطوب والحجارة ، كما يحدث اذا صحت هذه

الوقائع فى دور العبادة • فتقوم الطائفية بنفس الوظيفة التى يقـــوم بها النشاط الكروى • هذا المواطن ينتسب الى طائفة وهذا المواطن ينتسب الى طائفة أخرى حتى يشـــبع كل منهما حاجته النفسية الى الولاء مادام الولاء للوطن حكرا على السلطة •

ـــ يلاحظ أيضا أن هناك تيارا دينيا يملأ البلاد ••

● تقوم أجهزة الاعلام ليل نهار بحملة من الهوس الدينى ترجع كل مواطن الى الدين والايمان وتقام الصلوات خمس مرات يوميا فيها وتكبر الصلوات بمكبرات الصوت فى أعلى المآذن من الفجـــر حتى العشاء وينادى بتطبيق الشريعة الاسلامية فى مجلس الشعب وتقـــام لذلك اللجان ، ويدعى الى مجتمع الايمان وتروج للقيم الدينيـــة من صبر وتقوى وورع ومحبة وتسامح وتكثر البرامج الدينية فى الصحف وأجهزة الاعلام وتكثر طبعات الكتب الدينية وينتشر الزى الدينى بين الرجال والنساء ويكفر كل من لا ايمان له •

ففى ظل هذا الهوس الدينى الذى يتم زورا باسم الاسلام ، من الطبيعى أن يسبب رد فعل عند الطوائف الدينية الاخرى ، والدفاع عن حقوقها فى التعبير عن شعائرها وعن كيانها واحساسها بأنها أقلية فى وسط أغلبية عارمة يدافع النظام السياسى عنها ويؤيدها •

فأجهزة الاعلام هى المسؤلة عن هذا الهوس الدينى فى مجتمع لا يسوده العقل ولا يتم فيه الحوار •

أقول اذن فى النهاية ان ما يسمى بالحوادث الطائفية هى حوادث فى حقيقتها تدل على ظواهر سياسية واجتماعية أكثر من دلالتها على

نعرة طائفية • فكما استغل الاستعمار قديما فى الاجيال الماضية الطائفية للتدخل الاجنبى كما حدث فى ١٨٨٢ باثارة الاروام فى الاسكندرية تقوم الانظمة السياسية الدخيلة باستعمال نفس السلاح لتدعيم وتقوية أنفسها ضد المعارضة الداخلية وابعاد الشعور القومى عن قضاياه المصيرية • والحقيقة أن هناك دينا مصريا واحدا هو دين الشعب الذى يؤمن بالله واحد وحيث يظهر هذا الايمان فى فعل الخير والتكافل الاجتماعى والانتساب الى أرض • والارتباط بالتبرك بالقديسين والاولياء موجود فى كل الطوائف الدينية فى مصر • وبالتالى بالرغم من انتساب المصريين الى ملل متعددة فان هناك دينا مصريا واحدا يجمع بينها جميعا•

ـ هل يكفى أن نبدأ الحديث عن الجماعات الاسلامية بأن نستعرض هذه الجماعات وقصتها ؟

● ان الجماعات الاسلامية المعاصرة ترتكز على مد اسلامى حقيقى يشهده العالم أجمع ليس فى مصر وحدها ، ولكن أيضا فى شتى أنحاء العالم العربى والاسلامى •

وهى ظاهرة فعلية حقيقية يفخر بها الانسان بالرغم من صياغاتها المتخلفة أحيانا • وترجع فى رأيى الى عدة عوامل منها فشل أيديولوجيات التحديث العلمانى المعاصرة فى احدات المتغيرات الاجتماعية والسياسية المرجوة فى مجتمعاتنا الحالية • ولقد فشلت الليبرالية الغربية التى كانت سائدة خاصة فى مصر قبل ١٩٥٢ لما عرفنــاه جميعا من سيطرة الاقطاع ورأس المال وفساد النظم الحزبية المتعاونة مع القصر والاستعمار واحتلال البلاد مما أدى وكان يجب أن يؤدى الى قيام ثورتنا الوطنية فى أوائل الخمسينات فى مصر وفى العالم العربى •

كما حدث للاسف صدام بين الثورة المصرية فى بداية عهدها وبين حركة الاخوان المسلمين • وهى التنظيم الام الذى كان العصب الطبيعى للنشاط الاسلامى فى مصر والعالم العربى ، وانتهاء الثورة المصرية الى عكس ما قامت من أجله الى مزيد من احتلال الارض من الصهيونية ومزيد من التعاون مع الغرب والاستعمار فى سياستنا الاقتصادية وسياستنا الخارجية وابتعادنا عن الامة العربية وتركنا لسياسة عدم الانحياز التى كان الاخوان أول من قالوا بها « لا شرقية ولا غربية » وزيادة التفاوت بين الاغنياء والفقراء وزيادة التسلط وقمع الحريات حتى لم تعد الثورة المصرية فى وضعها الحالى تجذب أى مواطن •

كما فشلت الماركسية المسيطرة كليا أو جزئيا على بعض الانظمة العربية نظرا لموالاتها للاتحاد السوفيتى ، وعزلتها عن جماهيرها وفشلها النسبى فى التنمية ، والنزاعات الداخلية بين قادتها وعدم تحقيقها الاهداف العربية وعلى رأسها تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية •

كما فشلت أخيرا النظم القبلية التى تسود بعض المناطق العربية خاصة بعد مظاهر البذخ والترف أمام الملايين المعدمة التى تموت من الفيضانات والقحط فى آن واحد ، وهزة هـذه الانظمة بعد ما نسمع عن حوادث المعارضة الاسلامية الصحيحة التى تحدث بين الحين والآخر •

لم يعد يبقى أمام الجماهير بعد فشل هذه الايديولوجيات الا اللجوء الى الذات والى رصيد الامة من تراث ودين والعودة الى ما يملك الانسان فى داخله التى تمثل مدخراته الطبيعية بعد فشل ما كان ينفق منها أو من غيرها لتحديث حياته ومجتمعه وبالتالى يظهر أى نشـاط اسلامى على انه نشاط ضخم لانه يعتمد على مخزون حقيقى •

● **العنف .. لمـاذا ؟**

ـــ نعم ولكن للاسف يظهر هذا النشاط فى صورة متطرفة تقــوم على العنف أحيانا .

● هذا صحيح وذلك لعدة أسباب من بينها غياب التنظيم الام وهو تنظيم الاخوان المسلمين فى ربع قرن الاخير وهو التنظيم الذى بدأ بدايات طيبة خاصة بعد أن دخل سيد قطب الدعــوة فى أوائل الخمسينات وبعــد أن كتب عن العدالة الاجتماعية فى الاسلام ومعركة الاسلام والرأسمالية والاســلام والسلام العالمى . تحول النشـــاط الاسلامى الى نشاط سرى تحت الارض وتحول الدعــاة الى مناهضين للنشاط القائم . وبعد « استشهاد » عبد القادر عودة فى سنة ١٩٥٤ وزملائه واستشهاد سيد قطب نفسه وزملائه سنة ١٩٦٥ تحول الفكر الاسلامى الى فكر المضطهدين المظلومين الذى يعبر عن نفسية المعتقلين المسجونين الابرياء ، فانقسم المجتمع الى مجتمعين ، مجتمع اسلامى ومجتمع جاهلى لا علاقة بينهما الا أن يهدم الاول الثانى أخذا بالثأر تحت قيادة مؤمنة لا تعرف المصالحة أو المساومة كما وضح أخيرا فى آخر كتاب كتبه الامام الشهيد وهو «معالم فى الطريق» . ولو أن جماعة الاخوان المسلمين كانت تعمل بطريقة علنية لظهر التيار الاســلامى التقدمى الذى كان وليدا فى أوائل الخمسينات ولظهر الاسلام مدافعا عن قضايا العدالة الاجتماعية مناهضا للصهيونية والاستعمار رافضــا للرجعية والتخلف معارضا للتسلط والقهر والطغيــان داعيا لوحــدة الامة الاسلامية ثانيــا .. حيث تتعلم الجماعة من الممارسة السياسية الفعلية اليومية عن طريق التجربة والخطأ وبالدخول فى معارك الجماهير الاساسية بتناول القضايا الوطنية المصيرية .

● **مصـــالح مشـــتركة .**

ـــ ألا تخشى هذه الجماعات الاصطدام بالسلطة القائمة أيـــا كـــانت ؟

● لقد وعت الجماعات الاسلامية التى تمثل الصورة الضـــامرة لجماعة الاخوان المسلمين الدرس جيدا وهو الدخول فى صدام مبكر مع الثورة المصرية سنة ١٩٥٤ واستعجالها طلب السلطة وتصور نفسها وكأنها قاب قوسين أو أدنى من الحكم . لذلك آثرت الآن التركيز على الجوانب التى تأمن الاضطهاد ، منها الزى الاسلامى واذاعة الصلوات الخمس والمعارض الاسلامية وفصل الطلبة عن الطالبات فى مدرجات الجامعة والدعوة للاسلام بالحسنى . ومن ثم خرج الاسلام الشعائرى المظهرى قويا مما يساعد أيضا على الظهور والاعلان عن نفسه حتى ينجذب الاعضاء الجدد .

ـــ من أجل ذلك لا تتعرض السلطة لنشاط هذه الجماعات .

● ليس هذا فحسب اذ يسود الاعتقاد عند الكثيرين أن هناك اتفاقا ضمنيا سريا غير معلن بين النظام السياسى القائم وبين هذه الجماعات نظرا لوجود مصالح مشتركة بينها ولو مرحليا تجعل التعاون والاتفاق أفضل من الاختلاف والعداء .

ويؤيد ذلك ما حدث بالفعل فى الجامعات المصرية فى الســـنوات الخمس الاخيرة عندما قامت الجماعات الاسلامية بتطهير الجامعات من اليسار المصرى المتمثل فى الناصرية والماركسية المعارض للنظام القائم

والمدافع عن ثورة ٢٣ يوليو وأهدافها القومية فى معاداة الاستعمار والصهيونية والرجعية والدفاع عن الطبقات المحرومة .

وفى سبيل ذلك تصبح الجماعات الاسلامية هى النشاط الوحيد المسموح به فى الجامعات المصرية بعد أن قامت بوظيفة السوط الذى يلهب ظهر المعارضة والذى تستخدمه السلطة القائمة .

فنشاط الجماعات الاسلامية يحدث بتأييد من السلطة وكل طرف يظن انه يستخدم الطرف الآخر ومازال الاتفاق سائرا حتى الان بشرط عدم تعرض الجماعات الاسلامية الى القضايا الاساسية مثل الصلح مع اسرائيل . وفى الوقت الذى يخرج فيه نشاط الجماعات الاسلامية عن الحدود توقف الدعوة كما حدث فى العام الماضى عندما هاجمت مجلة الدعوة اتفاقيات كامب دافيد بتحليل سياسى تاركة الموضوع كليا باستثناء حديث عام عن بنى اسرائيل فى التاريخ وعندما نشط اتحاد الطلبة فى أسيوط منذ عامين فتم حل الاتحادات الطلابية وقضي على نشاطه .

ومن الطبيعى أن يظهر النشاط الاسلامى فى هذه الجماعات بهذه الصورة نظرا لان رصيدنا التاريخى فى الالف عام الاخيرة من هذا النوع . فبعد ازدهار الحضارة الاسلامية فى القرنين الرابع والخامس الهجرى وطرحها جميع البدائل فكانت هناك أشعرية ومعتزلة وخوارج . داخل أهل السنة انتشرت الاشعرية وأصبحت عقيدة أهل السنة التى تمثلها دولة الخلافة حتى الدولة العثمانية وبدأ هجوم الغزالى فى القرن الخامس على العلوم العقلية ، ومحنة المعتزلة ثم محنة ابن رشد فى القرن السادس وتاريخ ابن خلدون لنشأة وتطور وانهيار

الحضارة العربية فى القــرون السابع والثامن • ازدوجت الاشــعرية بالتصوف على مدى خمسة قرون فساد التخلف حتى حركاتنا الاصلاحية الاخيرة منذ أكثر من مائة عام التى حاولت النهوض من جديد والاعلاء من شأن العقل والحرية والدفاع عن وحدة الامة الاسلامية فى مواجهة الاطماع الاستعمارية فى الخارج وتسلط أمراء المسلمين والاقطاع فى الداخل • ولكن للاسف هذه الحركة التى بدأها الافغانى خبت الى النصف على يد محمد عبده ثم خبت الى النصف على يد رشيد رضــا حتى انتهت كلية بالرغم من محاولة حسن البنا تلميذ رشيد رضــا النهوض بها من جديد نظرا لما حدث لجماعة الاخوان فى ربع القرن الاخير • ففكر الجماعات الاسلامية وسلوكها يعبر اذن عن هــذه المحافظة التقليدية التى تشع من تراثنا القديم • وربما أن يتغير هذا الفكر الا بعد عودة أجيال أخرى • فما ضاع فى ألف عام لن يعود بين يوم وليلة أو فى جيل واحــد •

٤ ــ الثورة المضادة مؤامرة استعمارية •

● لا علمانية ولا دينية بل لقمة العيش •

● الثــورة ••• لمــاذا ؟

ــ فى حقيقة الامر أن المعركة فى الخمسينات والستينات كانت معركة واضحة جدا بين شعوب تسعى نحو التحرر الوطنى وبين استعمار مهيمن حيث بدأت حركات النضال الوطنى منذ أوائل القرن ، ثــورة عرابى فى مصر وحركات الاستقلال فى الجزائر وتونس والمغــرب والسودان وغيرها مما هو معروف من الحركات السنوسية والمهــدية وحركة علماء الجزائر وعلال الفاسى و •• و •• فأثناء وجود عــدو

---

(١) الموقف العربى ، السنة الحادية عشر ، العدد ٩١ ، ربيع الاول ١٤٠٨ هـ نوفمبر ١٩٨٧ . وقد أجرى الحوار جمال الجمل ، وصدره بالفقرة الآتيــة :

بينما شهدت سنوات الخمسينات وبداية الستينات ازدهار الثــورة وانطلاق شرارة التحرر معلنــة نهاية عصر الاســتعمار ، شهدت نهاية الستينات بداية السبعينات انطفاء شعلة الثورة وتزامن انكسار الثــورة المضادة فى العالم الثالث مع عصر الاستعمار الجديد فما الاسباب التى أدت الى نشوء ظاهرة الثورة المضادة ؟ وما العوامل الخافيــة التى تقف وراء استمرارها وهل ثمة أمل حقيقى فى العودة الى زمن الانتصار ؟

هذه بعض الاسئلة التى حملتها الموقف العربى الى المفكر المعروف د. حسن حنفى فى محاولة للاجابة عن هذا اللغز من منظور « اليســـار الاسلامى » الذى يطرحه الرجل .

و « الموقف العربى » اذ تقدر أهمية المفكر والفكر الذى طرحه فى المقابلة ستنشر نص الحوار دون تدخل من جانبها .

ومع احترامنا للدكتور حنفى تبقى القضايا الخلافية قائمة ويبقى مبــدأ الحوار الذى يزكيه ويرحب به ونحن أيضا .

وفيما يلى نص الحوار :

خارجى يسهل تجنيد المجتمع كله والوطن بأكمله فى مواجهة هذا العدو بصرف النظر عن التركيب الطبقى للمجتمع وبصرف النظر عن قضايا العدالة الاجتماعية وقضايا التنميـــة ، وبصرف النظر عن كون السلطة الحاكمة تمثل من ؟ هــذا لان هناك معركة وطنية واضحة المعالم ، وعلى هذا الاساس أيضا خرجت الثورة المصرية فى الخمسينات وفى بنودها الاولى التحرر من الاستعمار — قبل التحرر من الاقطاع — وقد ساعد تباين طرفى المعركة وضوح مثالب الاستعمار والهيمنة الغربية على انتشار شرارة الثورة فى معظم بلاد العالم الثالث ، ولم يكن هناك من يجرؤ على الجهر بالدفاع عن الاستعمار بطريقة أو بأخرى . وهكذا شهدت هذه الفترة انطلاق مارد التحرر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وطبعا كان تأميم قناة السويس هو العامل الرئيسى الذى فجر كل حركــات التحرر حيث انتصرت الشعوب الصغيرة على القوى الكبرى فى العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ وبدأ يتكون وعى عالمى جديد،بينما تحولت افريقيا مثلا من ثلاث أو أربع دول مستقلة الى حوالى ٤٠ دولة وأصبح العالم الثالث فى الامم المتحدة يكون ثلاثة أرباع الاصوات ، حيث تكاتفت القوى الاجتماعية جيشا وشعبا ضد قوى الاستعمار وذلك لسهولة التفريق بين العدو والوطن سواء كان العدو خارجيا (استعمار) أو داخليا (الاقطاع والرأسمالية) وهكذا عمت العالم الثالث المرحلة الرومانسية الثورية (ناصر ، نيكروما ، نهرو ..) .

● الثورة المضادة ... لمــاذا ؟

— اذا نظرنا الى تغير الابنية الاجتماعية والاقتصادية فى فترة الثورة سنجد أنه تم بفضل قيادة ثورية قادرة على أخذ سلطة القرار (كما تم فى الاصلاح الزراعى الاول — ستة أسابيع ثم الاصلاح الثانى

ثم الثالث) وهذا التغير لا يمكن ضمان استمراره الا فى حضـــور واستمرار القيادة الثورية ذاتها لانها هى أداة التغيير • معنى ذلك أنه لا يمكن حدوث تغيير حقيقى لا فى ثقافات الناس ولا فى تركيبة الطبقات الاجتماعية لانه اذا ما تغيرت القيادة الثورية بانقلاب أو نتيجة تغيرت موازين القوى الدولية أو غيرت القيادة الثورية من نفسها ومن تصورها للامور فهذا يعنى أن تتحول الثورة « ١٨٠ درجة » الى ثورة مضادة • وهذا ما حدث للثورة المصرية حيث كانت المعركة واضحة فى الستينات • وكانت القيادة الثورية موجودة ، وكانت هى الحارسة « الوحيدة » على القرارات الثورية فيما يتعلق بمواجهة الاستعمار والعنصرية والصهيونية والتأكيد على قضايا العدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية و •• و ••

لكن الثقافة الوطنية ظلت فى تيارها التاريخى المحافظ لم تتغير وظلت التركيبة الاجتماعية ــ كما هى تقريبا ــ بصرف النظر عن ضرب الاقطاع الذى كان يمثل نصفا بالمائة (٥ر٠٪) من المجتمع ، بالاضافة الى الفئات التى نشأت على مدى فترة الثورة خاصة من جهاز الدولة والبيروقراطيين الذين استفادوا من الثورة ، وأذكر أننا فى عام ١٩٦٦ كنا نناقش عبد الناصر فى مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية ــ قبل الهزيمة ــ وأشرنا كثيرا الى وجود طبقة جديدة من الضباط والتكنوقراط وملاك الريف الذين كانوا يملكون من ١٥ ــ ٥٠ فدانا ، وأن هذه الطبقـــة تتكتل مع الثورة وترفع شعاراتها دون الايمان بمضمون هذه الشعارات•

أقول اذن انه تكونت فى حضن الثورات العربية طبقات جـــديدة بينما ظلت ثقافة الشعب محافظة كما هى وبالتالى بدأت عوامل ــ لا أقول الفناء ــ النكوص والردة تبدو شيئا فشيئا حيث عاد الاستعمار من جديد ، أخذ « ينقر » على جدار الثورة ليعرف أية منطقة خاوية وأية

منطقة يسهل اختراقها ووضع الاستعمار خطـته المحكمة فى ١٩٦٧ بالتهديد ـ المزعوم أو الحقيقى ـ على سوريا ، فلو لم يتكاتف عبد الناصر مع سوريا لسقط وسقطت شعاراته التى يرفعها باعتباره زعيما عربيا ولو وقف الى جوار سوريا لهزم عسكريا . هكذا أرادوا التخلص من الزعامة الثورية وتخطئتها وهذا ما تم فى ١٩٦٧ . وأثبتت الفترة التى تلتها أنه كانت هناك مرحلة ثورية ولكن لم تنشأ ثقافة ثورية موازية للقيادة الثورة أى لم تكن هناك أيديولوجية ثورية على نفس مستوى القيادة الثورية ، فكل ما قيل عن الاشتراكية العربية والقومية العربية والعالم الثالث والحركة الوطنية كل ذلك كان خطابة وشعارات .

● من المعروف تاريخيا أن ثورة يوليو لم تكن تمتلك نظريـة مسبقة لكن مع انغماسها فى الواقع وعلاقتها الحميمة بالمجتمع بدأت تمسك خطاأيديولوجيا محددا واضح المعالم ولم تقف عند مجرد الشعارات أو الاهداف الستة الاولى التى قامت عليها ...

ـ لا توجد ثورة تأتى فى سياق تاريخى يقوم على التقطع والانقطاع ومعنى ذلك أن هناك قوى أخـرى كثيرة ـ ورئيسية ـ غير الضباط الاحرار ساهموا فى صنع الثورة أو التحضير لها . بمعنى أدق كان يجب أن يكون هنـاك حوار بين كل هذه القوى ، ولكن نظرا لان الضـباط الاحرار كانوا شغوفين بنجاح الثورة وبالتـالى حاولوا احتكار السلطة ولم يحاولوا التحاور مع كل التيارات الوطنية التى بدأت قبل ١٩٥٢ وفى مقدمتها الاخوان المسلمين ، الوفد ، والشيوعيون . وهم فى رأيى بالاضافة الى حركة الضباط الاحرار بتطورها من التمصير الى الاشتراكية العربية المكونات الاربعة الرئيسية للحركة الثقافية والسياسية ـ لان السياسة فى مصر هى ثقافة . وهكذا ما لبثت أن جاءت سـنة ١٩٥٤

حاملة معها الصدام بين الاخوان والثورة كل منهما يريد السلطة ، وكلاهما يرى أنه أحق بالثورة وخاصة أن حركة الضباط الاحرار كانت تضم بين صفوفها بعض عناصر الاخوان مثل « رشاد مهنا » و « عبد المنعم عبد الرؤوف » . وهكذا حدث الصدام بين الثورة وبين المكونات التاريخية للشعب المصرى . فنشأت الثورة فى فراغ نظرا لان التراث الدينى وهو المكون الرئيسى للثقافة الوطنية لم يعد واضح الوجـود والفعالية بعد أن تعرض ممثلوه منذ سـنة ١٩٥٤ للاعتقال والاضطهاد . وبالرغم من تقدمية الشعارات والعلمانية كان هناك رد فعـل محافظ من داخـل الحركة الاسلامية . واشتدت المحافظة بعد استشهاد سيد قطب أواخر سنة ١٩٦٥ . وتكونت حركات اسلامية داخل السجون تريد الانتقام وتريد هدم كل شىء بهدف اعادة بنائه من جديد ، كل ذلك من الاسباب الرئيسية للثورة المضادة فبمجرد غيـاب القيادة الثورية لم يعـد هناك من يدافع عن المكتسـبات ، ولا تنظيمات شعبية لان التنظيمات الشعبية الثلاثة « هيئة التحرير » و « الاتحاد القومى » و « الاتحاد الاشتراكى » كانت تنظيمـات بيروقراطية هرع اليها أول المنـافقين والباحثين عن المناصب والسلطة كما تم فى تحول الأمبراطورية الرومانية الى المسيحية فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين حيث تحول كل موظفى الدولـة الرومانية الى الدين الجديد لمجرد أن الامبراطور قسطنطين قد آمن به ، نفس الشىء حدث فى تنظيمات الثورة ، وهذا عجل بالارتداد على الثورة اذا أضفنا مسألة عدم تغير الثقافة الى ثقافة ثورية ، واصطدام الثورة بالتيارات الرئيسية المكونة لتاريخ مصر السياسى والثقافى مما عزل الثورة عن جذورها وجعلها تنشأ فى الفراغ . وهذا هو السبب الرئيسى « الداخلى » .

● **السادات ... لماذا ؟**

ولكن هناك أسبابا أخرى خارجية . فبمجرد نجاح الثورة — برغم هذه المثالب — فى القيام بانجازات ضخمة فيما يتعلق بالتنمية والاصلاح الزراعى والتصنيع وتأسيس القطاع العام .. الخ ، وعندما بدأ يتكون لها رصيد على المستوى العربى وبدأت تبشر بحدوث الوحدة العربية وعندما برزت على الصعيد الدولى وريادتها لكتلة عدم الانحياز هنا بدأ الغرب يشعر أنه لابد من الالتفاف حول هذه الثورة التى خرجت فى البداية من منطلق قطرى بحت ثم ما لبثت أن تحولت الى مركز لتصدير وانتشار التحرر واحياء العروبة خاصة بعد الاعتداء الثلاثى سنة ١٩٥٦، وبعد تجربة الوحدة مع سوريا ٥٨ — ٦١ ، وبعد تأسيس المجتمع الاشتراكى — القوانين الاشتراكية ٦١ — ١٩٦٤ . بدأ الغرب يخطط لضرب هذه الثورة مستغلا وموظفا معرفته ببواطن الضعف فى التجربة وهى الجيش والاطماع الموجودة بداخله والطبقة الجديدة وعدم وجود تنظيمات قادرة على الحماية ، وبدأ ذلك بالعدوان الثلاثى حيث تحالفت اسرائيل العدو الاول وفرنسا — لان مصر كانت تساعد الجزائر — مع بريطانيا للقضـــاء على الثورة ، ثم محاولة ضرب الوحدة بين مصر وسوريا لان الغرب لا يستطيع ابتلاع قطعة كبيرة كالوطن العربى الا بعد تقسيمها وتجزيئها حتى يسهل ابتلاعها وهــذا معروف من أيام الخلافة العثمانية ومسألة الرجل التركى المريض . ثم جاءت ٦٧ ثم تغيرت القيادة الثورية ذاتها فى سبتمبر ١٩٧٠ وأتت الردة من الداخل بصرف النظر عما يقال الآن فى مذكرات عبد السلام الزيات « أن أمريكا كانت تضع أملها على السادات منذ فترة طويلة » لاننى أعتقد أن عبد الناصر قد اختار السادات نائبا له وهو فى الطريق الى موسكو لظروف بعينها حتى انه جعله يحلف اليمين فى المطار وسافر عبد الناصر ليهدد

القيادة السوفيتية بعد تغلغل الطيران الاسرائيلى فى مصر وضربه لابى زعبل وبحر البقر . فقد كان عبد الناصر فى أمس الحاجة الى نظام حديث للدفاع الجوى ليدافع عن عمق البلاد . ونوه للسوفيت أن رفضهم اعطاءه سام ٣ ونظام الدفاع الجوى الذى يطلبه معناه التخلى عن القيادة لنائبه « الموالى لامريكا » . وكانت محاولة ناجحة للضغط على القيادة السوفيتية . ولكن عبد الناصر مات بعد عودته بشهر واحد ، واستطاع السادات أن يغير الثورة ١٨٠ درجة وبدا واضحا أن كل أدبيات الاشتراكية والاسلام كانت مجرد دعاية . فأين هم الذين كتبوا آلاف الصفحات وملايين الاسطر حول الاشتراكية فى الاسلام ؟ أين هم الذين دافعوا عن الثورة واتفقوا مع كل ما قاله عبد الناصر ؟

انهم هم أنفسهم الذين اتفقوا بعد ذلك مع « اسرائيل » ومع الانفتاح الاقتصادى ومع قوانين القهر والقوانين الاستثنائية .. الخ . وهذا يعنى أن الادبيات لا تصنع ثقافة ثورية . فقد تحولت الثورة من معاداة الاستعمار والصهيونية الى التحالف معهما ، ومن قضايا العدالة الاجتماعية والبناء الاشتراكى الى قضايا الانفتاح والرأسمالية والتهليب الذى لم يعد جريمة ومرسيدس لكل مواطن ، من قضايا الوحدة العربية الى تكريس التجزئة والطائفية ، من قضايا التنمية المستقله الى الاعتماد على الخارج كلية (٧٠٪ من غذاء مصر يأتى من الخارج) ، من قضايا تجنيد الجماهير فى تحالف قوى الشعب العامل الى قضايا استئثار طبقة السماسرة والمضاربة على العقارات والاتجار فى العملة وتهريب رؤوس الاموال الاجنبية والبنوك الخاصة و .. و ..

● **الرأسمالية الغربية وراء الثورة المضادة .**

اذن تمت تصفية الثورة لان الغرب الذى عانى من توحيد المنطقة

واستغلالها لن يسمح باعادة التجربة من جديد لانه كان الخاسر الاكبر حيث تحررت كل المستعمرات القديمة بل وستتوحد المنطقة العربية وتعتمد على ذاتها وعلى مشاريع التنمية المستقلة • فأين اذن يعيش الغرب ؟

ولان الرأسمالية الغربية لها القدرة على اعادة التأقلم ، فبعد بداية لا أقول فشل المشروع القومى ، ولكن بعد أزمة الطاقة وسيطرة الدول الوطنية على المواد الاولية وزيادة الاجور فى الغرب لان العامل هناك أصبح ينتمى الى الطبقة المتوسطة بل والعليا بدأت الشركات المتعددة الجنسيات تقوم ببناء مصانعها فى الدول المتخلفة (تايوان — سنغافورة — تلايلاند — اندونيسيا — الملايو — مصر ••) فقد قرر الغرب اعادة تنظيم الرأسمالية بشكل يسمح لها بتجاوز أزمتها • وكانت مصر — لاعتبارات كثيرة — بالاضافة الى مجموعة الدول الاخرى فى ذهن الغرب من المراكز التى يجب أن تفقد تنميتها المستقلة وتصبح مجرد مركز لرؤوس الاموال الغربية ولبعض الصناعات علاوة على تنمية غريزة الاستهلاك لدى الشعب المصرى • وهكذا وقعت مصر كلية والعالم العربى أيضا فى أتون الثورة المضادة لان مصر بالنسبة للعرب هى بمثابة القلب للاطراف ، — أنا لست أديبا ولكن هذا التشبيه صادق الى حد كبير — واذا ما ضعف المركز (العقل أو القلب) فان الاطراف تفقد اتجاهها •

● قلت ان غياب الايديولوجية الثورية أدى الى الثورة المضادة • الملاحظ الآن أن الساحة تعج بالعديد من الايديولوجيات المتفقة فى بعض الاهداف والمتناحرة على أرض الشارع • فهل يمكن أن تتبلور كل هذه الايديولوجيات لتصنع خطوة واحدة فعالة للتخلص من خط الثورة المضادة ؟ وكيف ؟

ان أى تحليل سياسى بلا وعى ثقافى وبلا وعى تاريخى يكـــون ضيق الافق ، يكون تحليلا أمريكيا قصير النظر ، فأهمية التحليل الذى يستهدف الوصول الى طريق للخلاص هـــو أن يرتبط بمزاج الشعب وبتوكينه الثقافى وفى الوقت نفســـه بتطوره ووعيه التاريخى . وهذه فى رأيى ماركسية وطنية أفضل من الماركسية الغربية لان أهم دروس الماركسية هـــو الوعى التاريخى ، وللاسف فان سياستنا العـــربية الآن لم تعد قائمة على وعى تاريخى ووعى ثقافى (أى على أيديولوجية)، فالماركسية نشأت بنقد الايديولوجية الالمانية وتحويلها الى علم ، أما نحن فلم نستطع بعـــد نقد الايديولوجية الاساسية لمجتمعنـــا وهى « الموروث الدينى » ولم نحاول ربط المرحلة الحالية بالتاريخ الوطنى للبـــلاد ...

ما الموقف الحضارى الحالى ؟ دون الدخول فى اجابة مباشرة ، نحن نعيش فى اطار معركة ذات ثلاث جبهات مترامنة ولا تقل جبهـــة أهمية عن الجبهة الاخرى ومن الخطأ الدخول فى جبهة واحدة فقط .

الجبهة الاولى هى « الدينية » : ونحن قد وصلنا تراثا طويلا من الموروث الدينى ، الاسلامى ، والاسلامى — المسيحى ، واليهودى ، وأصبح الدين جزءا لا يتجزأ من الشعب . وكل من يريد الكسب ينشر كتابا فى احياء علوم الدين ويتاجر باسم الدين (الريان وغيره ..) ، كل من يريد تقديم برنامج تليفزيونى ناجح يسميه « العلم والايمان » وهكذا وهكذا ..

فالموروث الدينى واضح . فهو المكون الرئيسى للشخصية القومية والشخصية الشعبية والوطنية وهذا لا يمكن انكاره . وبالتالى فأية

دعوة علمانية فى هذا الاطار الثقافى تكون مجرد نقاش فقهى غربى غير سياسى قصير النظر • وهذا يقودنا الى الجبهة الثانية وهى «العلمانية» : ولا يخفى على أحد أنها نشأت فى الغرب فى ظل ظروف تاريخية خاصة وبعد جهاد طويل (من ٢٠٠ — ٣٠٠ سنة) من القرن الخامس عشر الى السابع عشر وحتى استطاعت الثورة الفرنسية أن تنتصر فى القرن الثامن عشر بعد صراع طويل يتعلق بالكنيسة ، ونحن ليس عندنـــا كنيسة وانما عندنا الموروث الدينى بتصورات دينية للعـــالم ، وهذه التصورات الدينية للعالم ورثناها منذ ألف عام أى من القرن الخامس الهجرى عندما هاجم الغزالى العلوم العقلية أى ما تسمى بالعلمانية الآن ، أن الانسان قادر بعقله على فهم الظواهر الطبيعية وبارادته على السيطرة عليها وأن مركز الكون هو الانسان ومصالح الانســـان و ••• الخ • وهذه هى العلمانية أى المعتزلة التى أحـــاول ابرازها فى « انيسار الاسلامى » فأقول :

نحن منذ ألف سنة نعيش فى الاشعرية أى الله المسيطر الذى يتدخل فى قوانين الطبيعة ويقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا • لو رميت حجرا من أعلى لا يسقط الى الارض لان الله يمكن أن يمسكه ، ولو رميت سهما لا يمكنه الوصول الى الرمية لان الله يمكن أن يوقفه فى الهواء •• الى آخر هذه التخاريف التى تقولها الاشعرية • وقد ازدوجت الاشعرية مع التصوف خلال الالف سنة الماضية وسكنتنا وعينا القومى دون أن ندرى وأصبحنا نتحرك سياسيا وثقافيا واعلاميا من خلالهما بحيث أصبحت الاشعرية أيديولوجية السلطة • هنـــاك سلطة مركزية تسيطر على كل شىء ولا يستطيع أن يهرب منها أحد •

هذه الايديولوجية تستغلها الدولة وأجهـــزة الاعلام للتأكيـــد

على سلطة الرئيس وسلطة جهاز الدولة والمخابرات والبوليس والجيش والامن المركزى وهذه هى الاشعرية الجهازية •• وهناك أيديولوجية أخرى هى « التصوف » وهى ايديولوجية للاستلام والخنوع والصبر والتقوى والورى و •• وهى التى تعطى للشعب • وبذلك يصبح الوضع غاية فى الانسجام بين سلطة قاهرة مركزية وشعب خانع زاهد متواكل وهذا يتعلق بالجبهة الاولى •

اذا عدنا الى الجبهة الثانية سنجد أننا على علاقة بالغرب الحديث المعاصر منذ ٣٠٠ عام مما شكل لنا تراثا لا ينكر من الفكر الليبرالى الماركسى والقومى والاشتراكى وما الى ذلك من المذاهب المعاصرة • ولكن هذه الجبهة ضعيفة اذا ما قيست بالجبهة الاولى ٣٠٠ سنة فى مواجهة ١٠٠٠ سنة • لذلك فأنا أقول دائما ان وعينا الوطنى أعرج له ساق طويلة جدا فى الموروث الدينى وأخرى قصيرة جدا فى الموروث العلمانى العقلانى السياسى الغربى • لذلك فاذا سرنا فلا يكون سيرنا طبيعيا وسوف نميل الى أحد الاتجاهين •

أما الجبهة الثالثة والتى أراها فى رأيى الاهم فهى « الواقع والتحديات العصرية التى نعيشها » •• لانها فى حقيقة الامر هى التى تحرك رجل الشارع ولا يحركه « ابن تيمية » ولا « جون استيوارت ميل » ولا « ماركس » ولا « سعد زغلول » ولا غيرهم بل يحركه لقمة العيش والخبز والرزق والضنك •

وفى رأيى أن التحدى الاساسى الآن بالنسبة للمثقفين والسياسيين العرب هو امكانية ادارة الصراع بين الجبهات الثلاث بحيث نبدأ بالثقافة الوطنية ورافدها الاساسى « الموروث الدينى » مع الاستفادة بالتراث

العلمانى ومكوناته الثقافية — ذات التأثير القصير — وبشرط أن يؤدى ذلك كله الى مواجهة التحديات الرئيسية والاقلال من تلاحم ازدواجية أيديولوجية السلطة (الاشعرية) وأيديولوجية الشعب (التصـوف) بحيث يمكننا فك الارتباط بينهما بأن نعطى للحاكم ايديولوجية المساواة وأن السلطة ليست منة وانما هو مفوض من الشعب ، ونعطى الشعب ايديولوجية الثورة والتمرد والغضب والمراجعة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . كما يجب أن نؤكد للعلمانيين الغربيين أنهم سيظلون وربما لعدة أجيال طويلة منعزلين لان التيار التاريخى ليس معهم (٣٠٠ سنة فى مقابل ١٠٠٠ سنة) . وهكذا يمكننا تقليل خطورة الالف عام «الاشعرية» بمحاربتها من داخلها بواسطة العقلانية الاعتزالية وقوانين الطبيعـة والعلم ، كما نحارب العلمانية الغربية من داخلها بردها الى ظروفهـا الطبيعية التى نشأت فيهـا أثناء محاربة المفكرين الغربيين للكنيسـة والكهنوت .. الخ . ثم نبدأ بالتركيز على الجبهة الثالثة بحيث نبنى الموروث الدينى ونجعله حاملا ثقافيا لاهدافنا القومية فى اطار خطة محكمة واعية تسمح لاكبر قدر ممكن من تعدد الأطر النظرية مـع الاتفاق على برنامج عمل وطنى موحد ، وهذا أحد دروس الفقه القديم، « الحق النظرى متعدد ، لكن الحق العملى واحد » . أن تحرر فلسطين باسم الله لانك من الاخوان أهلا وسهلا ، أو تحررها باسم الليبرالية لان العمال العرب فى فلسطين ليس لهم حق الانتخاب .. أهلا وسهلا ، أو تحررها من أجل الطبقة العاملة وحقوق العمال العرب فى الهيستدروت لا مانع ، أو تحاربها باسم القومية العربية أهلا وسهلا . اذن لا خلاف أن تكون اشتراكيا أو قوميا أو ليبراليا أو اسلاميا ، لا خلاف فى الحق العملى وهو تحرير فلسطين رغم تعدد الاطر النظرية . ويجب أن نعى

ــ ونعترف ــ أن المكونات المتعددة لثقافتنا العربية الراهنة شيء واقع وموجود بشرط أن نقر أنه يمكن عمل برنامج عمل موحد .

في رأيي هذا يمكن أن يحدث وله مؤشراته . ولنسأل أنفسنا لماذا سقط السادات في المنصة سنة ١٩٨١ ؟ لان بوادر الوحدة الوطنية ظهرت في الافق والقاء نظرة واحدة على صحف ومجلات تلك الفترة تثبت ذلك. تمسك « الدعوة » تجدها تتحدث عن رفض الصلح مع اسرائيل ورفض الارتماء في أحضان أمريكا ورفض قوانين القهر والحديث عن الوحدة سواء كانت عربية أو اسلامية ــ ونفس الكلام بصورة أو بأخرى في « الموقف العربي » و « الاهالي » و « الشعب » . اذن هنــاك امكانية لبرنامج عمل وطني واحد رغم التعدد الايديولوجي . أما من الذي سيدير ذلك ؟ حكومة جبهة وطنية متحدة لانه لا يمكن أن يتصدى واحد بمفرده لحل هذه القضايا المصيرية فلابد من اجتماع القوى الاربع الرئيسية في البلاد ــ الاخوان (الاخوة في الدين) ، الليبراليون (الاخوة في الحرية) ، الشيوعيون (الاخوة في الوطن) ؛ الناصريون (الاخوة في الثورة) ، فمازال الشعب ــ من وجهة نظري ــ يرفضها جميعا لانه مازال ينتظر شيئا جديدا هو تراثه كحامل لاهدافه أي روحه كمحققة لمطالب جسده وهذا ما أحاول الاهتمام به في « اليسار الاسلامي » .

أهمية اليسار الاسلامي أنه يتحدث للاغلبية الصامتة ، حقيقــة أنه بلا منبر ــ سوى مجلة صدر منها عدد واحد ــ وبلا تنظيم شعبي لكنه يمتلك رؤية ، خذ مثالا من الجامعة المصرية لو أن هناك مدرجا به ١٠٠ طالب سيكون من بينهم من ٥ ــ ١٠ طلاب ينتمون الى الجماعة الاسلامية و ٥ ــ ١٠ طلاب ينتمون الى الناصرية أو الفكر القــومي أو العلماني أو الليبرالي أو الاشتراكي أو الماركسي . أما المســاحة

الفارغة بين التيارين الدينى والعلمانى — ويمثلها ٨٠٪ هى المساحة التى يأتى من أجلها اليسار الاسلامى كى يحاول التعبير عن الاهداف القومية من خلال الثقافة الوطنية وبالتالى يحمينا من الوقوع فى ازدواجية الثقافة وازدواجية التعليم وازدواجية السلطة والحرب بين ما يسمى بالدينيين والعلمانيين و ٠٠ و ٠٠

● هل يمكن أن يكون هناك برنامج عمل وطنى تلتقى حوله القوى الاربع الرئيسية ٠٠ وما هو ؟

الاتفاق على برنامج عمل وطنى موحد ليس مشكلة كبرى لان التحديات الرئيسية للمعركة تفرض نفسها علينا بقوة ووضوح منذ الافغانى وتتلخص فى قضايا سبعة رئيسية هى :

١ — تحرير الارض ٠

٢ — القهر والطغيان والدفاع عن الحريات ٠

٣ — الفقر والغنى واعادة توزيع الدخل على الامة (العدالة الاجتماعية) ٠

٤ — الوحدة والتجزئة ٠

٥ — الهوية والتغريب ٠

٦ — التقدم والتخلف ٠

٧ — تعبئة الجماهير وتجنيد الامة ٠

وكل هذه القضايا لازالت مطروحة بقوة ٠ فمزيد من الاراضى فى فلسطين والضفة الغربية وسبتة ومليلة وأفغانستان والاسكندرونة وأخيرا كشمير محتلة ٠ وبخصوص التحرر من القهر والطغيان الداخلى لازلنا

تعاسى . فأىَ نظام أتى بالاختيار الحر ؟ وكم عدد المسجونين فى كل نظام ؟ وكم نظام أتى بموافقة الشعب واختياره ؟ فحكامنا اما ملوك وارثون أو عسكريون . أما قضايا العدالة الاجتماعية فنحن شعب يضرب به المثل فى التباين الشديد بين الغنى والفقر . فلدينا أكبر الاغنياء الذين يموتون تخمة وأوسع عدد من الفقراء الذين يموتون قوعا وقحطا وعطشا وعريا، وهكذا لازالت قضايا التجزئة والوحدة والتنمية والتخلف والهـوية والتغريب ملحة وضرورية وهكذا فى قضايا تعبئة الجماهير وتجنيـد الامة ، فلازال الكيان الصهيونى (٥ر٣ مليون مواطن) يهزم ٢٥٠ مليون عربى و ١٠٠٠ مليون مسلم مما يذكرنا بقول الافغانى « والله لو كنتم ذبابا وحططتم على الجزيرة البريطانية لاغرقتموها » هـذا من ثقل الذباب فما بالك بالبشر .

● الازدواجيات المتعددة التى طرحتها تقع فى ازدواجية أكبر هى الفصل بين القول والفعل ، فاليسار الأسلامى موجود نظريا لكن أين هو فعليا ؟ وكيف يتم التئام كل هذه القوى المتنافرة ــ سياسيا على الاقل ــ فى برنامج واحد ؟

هذه الازدواجيات ورثناها من خلال الموروث الدينى « اعطـاء الاولوية للفضائل النظرية على الفضائل العملية » ، « تصورنا للايمان على أنه مجرد قول » كل من قال « لا اله الا الله محمد رسول الله أصبح جزءا من الامة » وهو التعريف « المرجئى » الذى اخترنــاه ورفضنا تعريف الخوارج وهو اتفاق القول والفعل ليصدق الايمان ، اذن لابد من التصدى للاصل الموروث واعادة النظــر فى كل الاختيارات السابقة . ولقد تحدثت عن ذلك فى « التراث والتجديد » فيما أسميته باعادة الاختيار بين البدائل . فالاختيارات السابقة تمت فى ظروف معينة

من المؤكد أنها تغيرت الآن وعلينا أن نراعى ذلك فنحن لسنا متفرجين ولا مستشرقين بل مثقفين وطنيين أصحاب دار • ونحن لسنا أقل من الشافعى ولا ابن حنبل ولا الاشعرى ولا واصل بن عطاء ، ويجب أن نعبد الاختيار وفقا لرظوفنا الجديدة • قديما اختاروا مثلا ان العـالم مخلوق فلماذا لا أختار أنا أن العالم قديم اذا أحسست أن الاختيار الاول سيدفع الناس نحو الاحساس بفناء العالم وانعدام قيمته « أتى من لا شىء وسيذهب الى لاشىء » ؟ وربما أشعر بالتحليل العلمى أن القول بقدم العالم وثباته قد يعطى الانسان قدرة على الاحساس بأهميـة هذا العالم • وربما اختاروا قديما أن الله ليس كمثله شىء بعيدا عن الناس ، بعيدا عن الشعب ، بعيدا عن الارض ، فقد أختار أنا كما اختارت الصهيونية — وأنا أكون هنا صهيونية مضادة — أن الله والارض شىء واحد ، ان الله والشعب شىء واحد ، الله والعدالة الاجتماعية شىء واحد • وسوف أجد فى القرآن ما يؤيدنى — كما يجد الآخرون مـا يؤيدهم — « اله السموات والارض » ، « رب السموات والارض » ، « وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله » ، فمن يأخذ أرضى يأخذ نصف الهى ، •• وقد اختاروا قديما أن النقل أساس العقل عنـد الاشعرية وربما أختار أنا ان العقل لا وصاية عليه لا من نقل ولا من حاكم ولا غيره •• أقول اذن ان لدينا الامكانيات لاعادة الاختيار بين البدائل بما يتفق ومصلحة الامة حاليا من واقع المسئولية ومن حق الفقيه فى الاجتهاد طبقا للظروف • فلا يوجد فى الفقه حل أبدى صالح بحذافيره لكل العصور •

● من الملاحظ أن التيار الدينى فى فترة الستينات كان فى حالة انحسار شديد لكن مع بداية العقد السبعينى وبداية وضوح خط الثورة

المضادة انتعشت التيارات الدينية وانتشرت أفقيا على ساحة المجتمع المصرى ، فهل ثمة علاقة بين ذلك الانتشار وبين التبعية للغرب التى تعتبر أبرز سمات الفترة الحالية ؟

فى حقيقة الامر أنه اذا كان هناك مشروع قومى واحد باسم الوطن أو باسم القومية ، بناء اجتماعى ، تحول اشتراكى ، تحرر وطنى ، عدالة اجتماعية ، فهذا يعنى اختفاء كثير من الامراض الطائفية والعرقية و .. و .. فلم نكن نسمع فى الستينات عن شىء اسمه الطائفية لانه كان هناك مشروع قومى واحد . وقد يرى البعض أن مصر الآن يمكن أن يكون لها مشروع قومى لكن لا أحد يلقى اليه بالا وهو تعمير وبناء المرافق والخدمات الرئيسية فيها وعمل خريطة جديدة لمصر عن طريق غزو الصحراء واقتحام ٩٦٪ من أراضى مصر (الصحراء) وانشاء واد آخر للنيل وربط الواحات الخمس ببعض وتعمير سيناء . فهذا وان كان صحيحا الا أنه لا يعبر عن وزن مصر وثقلها التاريخى فى المنطقة .

٥ ــ اغتصاب السلطة وغياب العقد الاجتماعي وراء العنف •

هناك نوعان من العنف السياسى هما : العنف الاولى أى القاهر ، والثانى يسمى المحرر وهو رد فعل للاول ، لكن أجهزة الاعلام تجسد العنف الثانى على أنه القاهر لاهداف سياسية ، رغم أنهـــا تمارس أبشع أنواع العنف الفكرى والاعلامى عن طريق توجيه الرأى العام نحوه وجهة واحدة وعدم السماح لاى وجهة نظر أخرى ، وبالتالى لا يجد أصحاب الرأى الآخر سوى الخروج على هذا الارهاب الاعلامى الفكرى الايديولوجى السياسى ، وهذا منطبق ــ أيضا ــ على مؤسسات التعليم والمصالح العامة •• الخ •

والاعلام أيضا يركز على ما يسمى بالجماعات الاسلامية ، لكنه لا يذكر المخدرات واختطاف النساء واغتصابهن ، كشكل من أشـــكال العنف ، كذلك عنف أجهزة الاعلام التى أصبحت مهمتها « غسل مخ » المشاهدين وعنف الرئيس (فى أى هيئة) مع مرؤوسيه ، نقص الخدمات أيضا نوع من أنواع العنف الاجتماعى •

وأرجع الى ما قاله « برودون » فى فلسفته السياسية عن : من هو السارق ؟ فقد قال : هل جان جاك روسو يعتبر ســـارقا لانه وضع يده على قطعة أرض وقال هذه ليست لك أو لى ؟ ! أم السارق الحقيقى هو المالك ؟ ! والذى يرتكب العنف انما هى أجهزة الدولة والاعـــلام والعنف المضـــاد نتاج طبيعى للعنف الذى تمارسه السلطة على المواطن

---

(١) الموقف العربى ، السنة الحادية عشرة ، العدد ٩٠ ، صفر ١٤٠٨هـ ، أكتوبر ١٩٨٧م ملف ، العنف ، ماذا ؟ ولماذا ؟ والى اين ؟

يوميا ، وغياب الحوار ، واحتمال الخطأ والصواب من كلا الطرفين ، والذى يبدأ العنف هو الطرف الرافض للحوار وأساليب الاقناع ، ولا يستخدم الا أداتين هما السلطة والقوة ، ومن ثم مرتكب العنف المضاد لا يجد وسيلة أمامه سوى مقابلة العنف بالعنف •

والعنف الاول القاهر مقسم الى عدد من الاشكال منهـا العنف السياسى والاقتصادى والاجتماعى وغيرها ، وبالنسبة للعنف السياسى نجده فى جميع الانظمة الحاكمة فى العالم العربى والاسلامى ، فهى أما نظم ملكية وراثية أو عسكرية ، أى لا يوجد نظام أتى باختيار حـر من الشعب بناء على بيعة وعقد واختيار ، وهذه الانظمة تبرر هـذا العنف ببناء بعض المؤسسات لاضفاء صـفة الشرعية عليها . فبرغم الاشكال الديمقراطية والمؤسسات الدستورية والنقاش الدائر داخل الاحزاب ! هى فى النهاية تندرج — جميعها — تحت النظام • فجميع الانظمة سواء الملكية أو العسكرية تنقصها الشرعية برغم من مظاهر عديدة مثل الانتخابات والاستفتاءات والمبايعات ، التى أصبحت محـل السخرية •

والشباب المسلم يرفض تلك الانظمة لانها غير اسلامية ، فالامامة بيعة وعقد واختيار ، ثم ان الحاكم تجب له الطاعة طالما هو ملتزم بالشرع والقانون فاذا عصى على المسلمين تذكرته ، ثم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم الذهاب للقضاء ، فاذا لم يستمع الحاكم •• وجب الخروج عليه شرعا •

اذن هناك نوع من اغتصاب السلطة وهذا هو السبب الحقيقي للعنف الثانى أى المحرر •

وطالما هناك غياب لنظرية العقد الاجتماعى ، حتما سيظل هناك عنف سياسى •• فستخرج دوما طوائف لديها نظرية شرعية للحكم ، وشرعية تاريخية ودينية أمام أنظمة مهترئة •

أما العنف الاقتصادى فيتمثل فى الاوضاع الاقتصادية الراهنة، فهناك ٥٪ من المجتمع يملكون ٣٥٪ من الاملاك ، وأموالنا مهربة الى الخارج ، الغنى يزداد غنى والفقير يزداد فقرا ، من له القدرة الآن ليتحدث عن العدالة الاجتماعية وتذويب الفوارق بين الطبقات ؟ فلم تعد الرأسمالية جريمة بعد الانفتاح • واذا قسمنا الدخل القومى فسنجد أن نصيب الفرد ١٠٠ جنيه شهريا تقريبا ، أى الذى يأخذ ١٠٠٠ جنيه شهريا يأكل نصيب عشرة ومن يأخذ ١٠٫٠٠٠ يأكل نصيب مئة •• وهكذا.

وهناك عنف اجتماعى أيضا ، فلم يختر الشعب جميـــع النظم الاجتماعية مثل مؤسسات التعليم ، أجهزة الاعلام ، معايير السلوك ، الفنى المعروض •• الخ ، ففى كل لحظة يمارس العنف ضد المواطنين ، وجميع القوانين تعمل ضدهم وليس لصالحهم ، وهى ليست من اختيارهم بطبيعة الحـــال •

لذا يصبح المواطن فريسة لكل أيديولوجيات الخلاص ، أى التى تعد بالخلاص القريب •

وقد مرت علينا أنظمة متعددة : الليبرالية ثم الاشتراكية والقومية ثم الانقلاب والثورة المضادة وجميعها فشلت فى تحقيق أحلام الشعب المصرى مما أدى الى الكفر بكل المطروح والانسحاب الى الداخل حيث التراث ، لانها جميعا أنظمة أخذت من الفكر المادى وليس الاسلام •• هنا تجد الجماعات الاسلامية التربة الصالحة لقبول أيديولوجيتهم !

أكثر من هذا فان الجماعات الحالية أغلبها من الجيل الثالث داخل السجون ، فالذى يعذب ويقضى سنوات طويلة داخل السجن ، يؤثر هذا على نظرتـه للامور ، فالمرحوم سيد قطب صاحب « العـدالة الاجتماعية فى الاسلام » و « معركة الاسلام والرأسمالية » أى الذى كان يعبر عن الاسلام الثورى التقدمى ، خرج من السـجن ليكتب « معالم فى الطريق » !

ولا حل الا باعطاء الفرصة لجميع التيارات السياسية لان تصبح حركة شرعية ، وهناك أربعة تيارات رئيسية هى الليبرالية (الوفد) ، كذلك القومية الاشـتراكية (الناصريون) ، والماركسـية ، والتيـار الاسلامى .. فلابد من تواجد تنظيماتها السياسية الشرعية ومطبوعاتها، ولا يستطيع أحد الادعاء بأن الحل أحادى الطرف ، فليس هناك تيار واحد قادر على حل قضايا الوطن وحده ، كما أن الاتفاق على برنامج موحد للعالم العربى مسئولية وطنية عامة للجميع .. بلا اتهام بالخيانة أو العمالة ، قد يخرج من هذا حكومة وطنية قادرة على مواجهة التحديات الرئيسية للعصر .

أما ما يتم الآن من توجيه الدولة والاجهـزة البوليسية لبعض العناصر من المتعاونين معها بالحوار مع الجماعات الاسلامية داخـل السجون لاقناعهم بنظم الدولة غير الشرعية ، فهذا طريق مسدود وعمل اعلامى دعائى صرف ، لان لا حوار مع سجان ومسجون ، فالحـوار يتم بين أحرار متساويين لكل منهما شرعية الوجود وحرية التعبير .

٦ ـ سيختفى عنف الجماعات الدينية عندما تمارس السياسة !

● غياب الدولة .

الازمة الحالية يمكن توصيفها فى عدة نقاط . فنجد حاليا غياب الدولة كليا عن الحياة العامة والخاصة ، وفى الوقت الذى تحاول الدولة فيه أن تحضر تنشأ مشكلات . فلا حضور للدولة لا فى الاقتصاد ولا فى الاجتماع ولا السياسة ولا فى الجامعة والتعليم . ويبدو أن من أوائل السبعينات وحتى الآن أصبحت الدولة بالفعل بلا هوية وبـــلا حضور وبلا مشروع . وتحولت مصر الى نوع من القطاع الخاص ليس فقط فى الاقتصاد ، ولكن أيضا فى شتى مظاهر الحياة . والذى يحدث الآن ان الانسان فى مصر بقدر الامكان يتصور الوطن طبقا لمصالحه الخاصة ، فالتاجر والصانع والعامل .. جميعهم يريدون أن يتصـــوروا الوطن طبقا لما يستطيع الوطن أن يقدم اليهم من مصالح خاصة ، أما الانتماء للوطن الام فهذا لا وجود له ، ربما بسبب غياب القضـــية ، فحاليا مصر بلا قضية ، مصر لم تعد فى مركز الحياة السياسية والثقافية والوطنية وهذا ما سماه البعض احتجاب دور مصر . مصر كالقلب فى الجسد والقلب وحده لا ينبض لابد أن يعمل فى محيط ومصر فى حاجة الى جسد وروح وأطراف ، وبالتالى يعود دور مصر . وما نســـميه

---

(١) صباح الخير ، ١٩٨٨ وقد صدرته الصحفية دعاء يسرى بالفقرة الآتيـــة :

لا ينفى أحد وجود أزمة فكرية ملحة نعانى منها منذ سنوات طويلة ، ولا يجادل أحد فى أن تحديد أبعاد هذه الازمة هو الخطوة الاولى تجـــاه الخروج من المأزق الفكرى الذى نعيشه . ويقدم د. حسن حنفى أستاذ الفلسفة والمفكر العربى المعروف ، رؤيته لقضايا الفكر والوطن والانسان .

قضية العروبة ، قضية التحرر العربى ، قضية عدم الانحياز ، هذه الاشياء التى ربما لا يسمع عنها الشباب كثيرا هــذه الايام ولكن فى الحقيقة هذه الاشياء هى التى تصنع القضــية وهى التى تحيى شعب مصر •• فالازمة هى غياب الدولة وغياب الوطن •• غيــاب المشروع القومى أو غياب القضية •

● عودة الاختيارات •

نحن نحاول الآن اصلاح ما أفسده الدهر ، لكن ستظل اختيارات مصر لم تتولد أى هل اختيارات مصر أن تكون تابعة للغرب أم تعترف بالصهيونية أم تدخل فى أحد أطراف النظام الرأسمالى العالمى أم تنعزل عن محيطها • فى مصر هناك سياسات دائمة لا تتغير ، وهى أن مصر مركز الثقل لا تنحاز شرقا ولا غربا ، وبالتالى أصبحت سياسة عدم الانحياز هى التى تعبر عن جوهرنا ، ان مصر فى الوقت الذى تنحاز فيه الغرب •• تميل المنطقة كلها الى الغرب ، وفى الوقت الذى تنعزل فيه تصبح الاطراف كلها غير موجهة ينازع بعضها بعضا : العراق وايران ، الجزائر والمغرب، السودان شماله وجنوبه وهكذا • اذا غاب مركز التآزر الحركى العضلى تتبعثر الاطراف • وفى الوقت الذى تعاد فيه الاختيارات الرئيسية لمصر وتعاد فيه الثوابت الدائمة فى السياسة المصرية أى عدم الانحياز وسيطرة الدولة على مظاهر الانتاج وديمقراطية المؤسسات فى رأيى يمكن لمصر أن تقوم بدورها •

● حرب الاجتهادات •

فى رأيى أن الصحوة الاسلامية لها مسار تاريخى منذ نشــأة الاسلام وحتى الآن ، فنحن الان فى أوائل القرن ١٥ الهجرى ومررنا

بسبعة قرون الاولى ازدهر فيها الاسلام ونشأت الحضارة حتى القرن الرابع الهجرى ، عصر ابن سينا والبيرونى وأبو حيان التوحيدى • بعد ذلك بدأت الحضارة فى الانهيار عندما حارب الغزالى كل العلوم والاجتهادات ودعا الناس الى التصوف والاستسلام • كما انتشر المذهب الاشعرى وتحولت المذاهب الاشعرية الى سياسة رسمية للدولة وتحول التصوف الى عبودية للناس • الاول يأمر والثانى يطيع • الاول يعزز السلطان القاهر والثانى يدعو الى الاستسلام ، لذلك ظهر ابن خلدون فى القرن الثامن يؤرخ للحضارة الاولى بعد أن عجز العقل عن الابداع ، ونحاول أن نسأل وأن نجيب عن هذا السؤال : لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟ سأل الافغانى ممثل الحركة الاصلاحية الدينية هذا السؤال وسأله الطهطاوى ممثل الفكر السياسى الاجتماعى ، فالصحوة الاسلامية فى حقيقة الامر هى تعبير عن هذا المسار التاريخى الطويل •• نريد ونحاول بقدر الامكان أن نستعيد ما افتقدناه •• فنحن فى نهاية السبعة قرون الثانية •• وبداية سبعة قرون جديدة من القرن الـ ١٥ وحتى القرن الـ ٢٢ ، فربما نحن على مشارف نهضة إسلامية جديدة • ونحن مازلنا فى البداية أى أول عودة الى تاريخ الاسلام التليد والماضى العريق ونهاية ٧ قرون من التخلف والاستكانة والانحلال والضياع •

الصحوة الاسلامية فى نظرى هى محاولة لاعادة النظر •• لماذا انهارت الحركات الاصلاحية ؟ وما سميته بدراسة فى هذا الشأن « كبوة الاصلاح » أى لماذا كبا الاسلام ؟ فهناك ثلاثة روافد رئيسية فى فكرنا المعاصر ابان عصر النهضة وهى فكر الاصلاح الدينى عند الافغانى والفكر السياسى الاجتماعى عند الطهطاوى والفكر العلمى العلمانى •• كل هذا كان من حوالى ١٥٠ — ٢٠٠ سنة •• مررنا بأربعة أجيال •• كل جيل أقل من الجيل السابق له •• الافغانى وتلميذه محمد عبده

وتلميذه رشيد رضا ثم حسن البنا حتى الجماعات الاسلامية • الافغانى بدأ بداية جيدة •• الاسلام فى مواجهة الاستعمار فى الخارج والقهر فى الداخل • ثم جاء محمد عبده وأحداث الثورة العرابية فخاف مقال الثورة والسياسة لسه بدرى ، نبدأ بالتعليم واللغة العربية •• وجاء رشيد رضا ورأى ضياع الخلافة العثمانية ، الاسلام ضاع والخلافة ضاعت •• نرجع للحركة السلفية أى تحول الاصلاح الدينى لحـــركة سلفية • وتعرف حسن البنا على رشيد رضا وبدأ فى احيـــاء الحركة الاسلامية الاصلاحية الدينية وجماعة الاخوان المسلمين ، ونجح حسن البنا فى تأسيس حزب أو جماعة الاخوان المسلمين • وكان الحلم الذى طالما حلم به الافغانى ولم يستطع أن يحققه لانه لم يكن له مســـتقر ولا وطن • فحاول حسن البنا احياء الحركة الاصلاحية من جديد • وهنا نأتى للعنصر الثالث فى الصحوة الاسلامية فبعد أن وصل الاخـــوان المسلمين قبل سنة ٥٢ على درجة من الانتصار بدأ الصراع بين الاخوان والثورة سنة ٥٤ ودخل الاخوان السجن وخرجوا سنة ٧٠ ، ٧١ حتى بعد وفاة عبد الناصر •• خرج الاسلام ثائرا غاضبا والى الآن هــذا الاسلام الثائر الغاضب المنتقم الذى خرج من جدران السجون هــو الذى تعانى منه الانظمة السياسية وهــذا الذى يسمى بالعنف • ان الصحوة الاسلامية تســتعمل وسائل العنف ولكن هذا شىء طبيعى لان هؤلاء الناس لم يعيشوا عيشة طبيعية • كانوا باستمرار مهشمين • معتبرين انهم يدعون الى العنف ولم يشاركوا فى الحياة الســياسية العامة • لكن فى الوقت الذى ينتقلون فيه من الاطراف الى المــركز يمارسون فيه الحياة السياسية الطبيعية فوق الارض ويكــون لهم جرائدهم ومجلاتهم ومنتدياتهم وتنظيماتهم الشرعية سوف يتغيرون من أنفسهم ، فى الوقت الذى تتحول فيــه الصحوة الاسلامية من الثأر

والغضب وذكريات السجن والتعذيب الى النزول الى الساحة والدخول فى التحديات العصرية •• تتغير الحركة الإصلاحية نحاول أن نجعلها تعمل فى جو صحى •

● **ميــاه راكـــدة •**

هناك مجموعة من الظواهر فى الحياة الفكرية تتبلور فى تيارات فكرية • فالذى يعلم تاريخ مصر جيدا •• يعلم أن هناك مدارس فكرية ثابتة فى تاريخ مصر • ناتجة عن الوضع الجغرافى والحضارى • مصر بلد الاسلام •• فهناك ما يسمى بالاله الواحد بصرف النظر عن الاسلام فالاسلام هو بلورة الاله الواحد فى أزهى صـــوره • فى المسيحية •• توحيد • وعندما انقسمت على نفسها حول طبيعة المسيح • اختارت مصر الرأى القائل بأن المسيح له طبيعة واحدة وليست طبيعتين ، كذلك ديانات مصر القديمة • اذن الفكر الاسلامى أو الحضارة الاســلامية جزء لا يتجزأ من تاريخنا • فالحركة الوطنية فى مصر بنت الحــركة الاسلامية ، حزب مصر الفتـــاة •• شـــعار مصر للمصريين وضـــعه الافغانى • كذلك فى تونس والمغرب والجزائر فى كل هذه الروافد فى الشمال الافريقى الاسلامى • اذن المدرسة الفكرية الاولى هى المدرسة الاســـلامية الاصـــلاحية والســـلفية الدينيـــة المزدهـــرة • كذلـــك فى نفس الوقت الليبراليـــة • فمنـــذ حملـــة نابليـــون والاتصـــال بالغـــرب وانشـــاء أول برلمـــان فى مصر أيـــام اســـماعيل وعرفنـــا الاحزاب السياسية والانتخابات والوزارة المسئولة • قطعنا شوطا بعيدا ليبراليا ، المدرسة الليبرالية وفكرة انشاء الدولة الحديثة على النمط الغربى • والماركسية انتشرت فى المنطقة العربية منذ أوائل القـــرن وأصبح لها تراث ضخم وتجند شبابا وعمالا • قد تكون أقلية لهـــا

أهميتها كمدرسة فكرية فى تطبيق المنـاهج الاجتماعية ورؤيتهـا فى الاقتصاد • وهناك الاشتراكيون أو الناصريون فمصر طائر بجناحيه الماركسية والاسلام ، ذيله الماضى فى الليبرالية ورأســه الاشتراكية أو الناصرية • ولا يطير الطائر الا بهذه المدارس الفكرية الاربعة • والازمة كما قلت تتمثل فى أن هذه المدارس الفكرية الاصولية التأسيسية غير موجودة فى الساحة • فى صحفنا أين هذه الصحيفة التى تعبر عن أى من هـذه المدارس ؟ فهى لا تجـد وسـائل للتعبـير عن نفسها • ليست لها أحزاب أو حوار فيما بينها • الكل موجود من خلف الستار ولكن حدثت أزمة أو ما يسمى بغياب المدارس الفكرية من السـاحة • أقول أحيانا أشياء اسلامية لا تثير الحركة العلمانية •• لا شىء !! وأقول أشياء ليبرالية — علمانية لا تثير الحركة الاسلامية •• لا شىء !! الكل مرهق أمام الغلاء والاسعار • فمصر لم يعد لها فكر كما قلت فى البداية •• فى المياه الراكدة لن تتجدد الحياة •• فمصر كالسفينة •• فى حاجة الى ربان •

● أزمـة مصر •

محاسبة ٢٣ يوليو بدأت من أوائل السـبعينات باختفـاء عبد الناصر • ونظرا لطول القهر فى مصر من أيام فرعون (مات الملك عاش الملك) فحدث فى أوائل السبعينات وباختفاء عبد الناصر من الساحة بدأ التحول من داخل الثورة أى من انقلاب ثورة ٢٣ يوليو على نفسها من داخلها • فالجهاز الذى يصفق هو نفسه الذى بدأ ينقلب فى كل عام عندما تشتد أزمة مصر • يبدأ الهجوم على ثورة يوليو على أساس أنها (كبش الفداء) وعلى أنها هى التى أودت بمصر الى هذه الازمات ومثال على ذلك ديون مصر التى كانت فى أوائل السبعينات من ١ الى ٣

ملايين دولار والآن ربما ٤٠ بليون دولار ! فى كل مرة تشعر مصر بأنها فى أزمة تجىء ثورة يوليو كالمرآة وترى مصر فيهـا وجهها فتكسر المرآة حتى لا ترى نفسـها • النظام السياسى كان من أجل الفقراء ومازلنا ننعم بمزايا ثورة ٢٣ يوليو : مجانية التعليم ، تدعيم المواد الغذائية ، القطاع العام والصناعة • شىء طبيعى أن الانسان لا يريد أن يرى وجهه القبيح فى المرآة الناصعة فيكسرها • يريد أن ينسى ماضيه الناصع حتى لا تزداد رؤيته لواقعه الاليم • ثـورة يوليو باستمرار هى التحدى لمصر كلما ازداد الالم ازداد التكسـير • وفى السنوات الأخيرة •• هناك طبقات الانفتاح والمنتفعين من انهاء ثورة يوليو • وهم باستمرار فى كل عام الذين يقومون بهذا الهجوم لتستمر مكاسبهم • السد العالى بتقرير كل الخبراء لو لم يوجد لماتت مصر من الجفاف فى السنوات الاخيرة •• صناعة الدواء مثلا •• كان الدواء بـ ٥ أو ١٠ قروش والآن أصبح ٣ ، ٤ جنيهات ، استيراد الادوية •• استيراد العسل الاسود •• نحن نعتمد على ٧٠٪ من غذائنا من الخارج فأى استقلال هذا ؟ فالهجوم على ثورة يوليو باعتبار أنها المرآة • والانسان لا يريد أن تكشف عوراته فيزداد التحطيم •

فهـرس الموضوعات

الاصـولية الاسـلامية

لنفس المؤلف

اولا — تحقيق ونقديم وتعليق :

١ — ابو الحسين البصرى : المعتمد فى أصول الفقه ، جزءان . المعهد الفرنى بدمشق ١٩٦٣ — ١٩٦٥ .

٢ — الحكومة الاسلامية للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٧٩ .

٣ — جهاد النفس او الجهاد الاكبر للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٨٠ .

ثانيا — اعداد واشراف ونشر :

١ — اليسار الاسلامى ، كتابات فى النهضة الاسلامية ، العدد الاول ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

ثالثا — ترجمة وتقديم وتعليق :

١ — نماذج من الفلسفة المسيحية (المعلم لاوغسطين ، الايمان باحثا عن العقل لانسليم ، الوجود والماهية لتوما الاكوينى) ، الطبعة الاولى ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دا التنوير ، بيروت ١٩٨١ .

٢ — **اسبينوزا :** رسالة فى اللاهوت والسياسة ، الطبعة الاولى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ .

٤ — لسنج : تربية الجنس البشرى واعمال اخرى ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .

٤ — جان بول سارتر : تعالى الانا موجود ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير بيروت ١٩٨٢ .

رابعا — مؤلفات بالعربية :

١ — قضايا معاصرة ، الجزء الاول ، فى فكرنا المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ ، الطبعة الثانية . دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧ .

٢ — قضايا معاصرة ، الجزء الثانى ، فى الفكر الغربى المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة

الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٨ .

٣ — التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ، الطبعة الاولى المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ ، الطبعة الثانية دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، الانجلو المصرية القاهرة ١٩٨٧ .

٤ — دراسات اسلامية ، الطبعة الاولى ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ .

٥ — من العقيدة الى الثورة ، محاولة لاعادة بناء علم أصول الدين ، (خمسة مجلدات) الطبعة الاولى ، مدبولى ، القاهرة ١٩٨٨ .

٦ — دراسات فلسفية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٨ .

خامسا — مؤلفات بالفرنسية والانجليزية :

1 — Les Méthodes d'Exégèse essai sur la science des fondements de la Compréhension, ilm usul al-Fiqh, Le Caire, 1965.

2 — L'exégèse de la phénoménologie, l'Etat actuel de la méthode phénoménologique, et son application au phénoméne religieux (Paris, 1965). Le Caire, 1980.

3 — La Phénoménologie de l'Exégèse, essai d'une herméneutique existentielle à partir du Nouveau Testament, (Paris, 1966), Le Caire, 1988 (sous-press).

4 — Religious Dialogue and Revolution, essays on Judaism, Christianity and Islam, Anglo-Egyption Bookshop, Cairo 1977.

5 — Dialogue Religieux et Révolution Vol. II, Anglo-Egyptian Bookshop, Le Caire, 1988 (sous-presse).

6 — Religion, Ideology and Development, Angloy-Egyptian Bookshop, Cairo, 1989 (In print).

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٩/١٥٧٨

ترقيم دولى : ٤ — ١٠٩ — ١٣٣ — ٩٧٧

دار النمـر للطبـاعة

الدين والثورة

فى مصر

١٩٥٢ - ١٩٨١

١ - الدين والثقافة الوطنية

٢- الدين والتحرر الثقافى

٣- الدين والنضال الوطنى

٤- الدين والتنمية القومية

٥- الحركات الدينية المعاصرة

٦- الأصولية الإسلامية

٧- اليمين واليسار فى الفكر الدينى

٨- اليسار الإسلامى والوحدة الوطنية

مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة ت : ٧٥٦٤٢١

طبع الغلاف بالمطبعة الفنية ت ٣٩١١٨٦٢